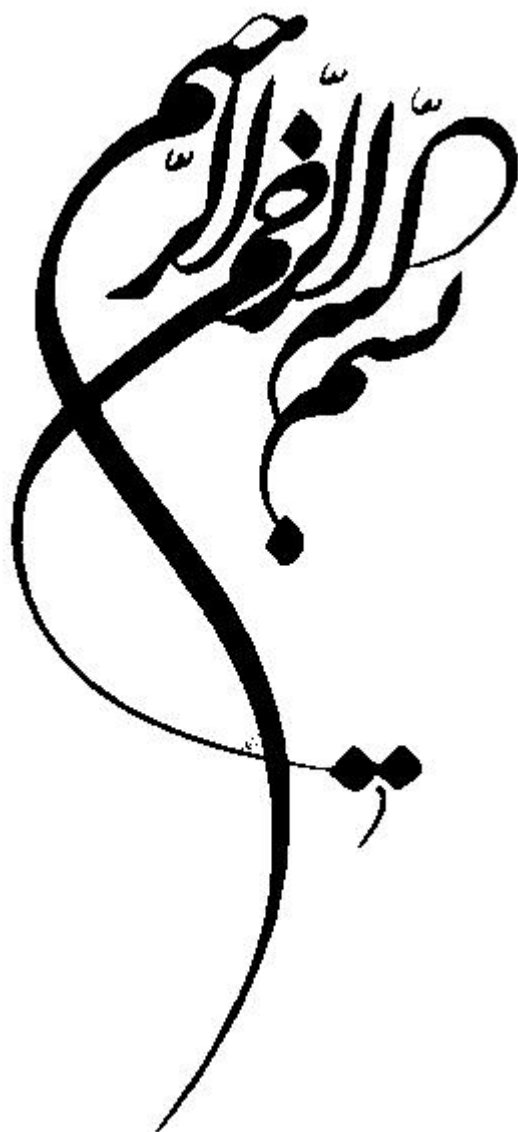




الاسره و نظامها فد الاسلام

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 3

مقدمة الناشر

دارُ المحجَّة البيضاء دارُ الرُّسُول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم

الحمد لله الذي رفع السماء العلم وزينها ببروجها للناظرين، وعلق عليها قناديل الأنوار بشموس النبوة وأقمار الامامة لمن أراد سلوك مسالك اليقين حمداً دائماً سرمداً فنشكره على نعمه التي لا تُحصى وأفضل صلواته وسلامه على رسوله وعلى آله آل الله الذين هم أئمة الأنام ومفاتيح الكلام وغيوث الانعام الذين جسدوا أوامر رسول الله صلى الله عليه و آله.

لا شك في ان الاسرة تمثل حجر الاساس في المجتمع البشري، ومن المعتذر الحصول على مجتمع صالح دون اصلاح واقع الاسرة، يقول تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» «1».

إنَّ المجتمع الاسلامي مثل أعلى لجميع الأمم وعليه أن يكون قدوةً ونموذجاً يحتذى به في جميع المجالات لا سيما فيما يتعلق بالأسرة والزواج وما قد يطرأ بعد ذلك من طلاق وانفصال، إذ ينبغي أن تنعدم فيه هذه الظاهرة أو تنخفض إلى ادنى المعدلات، وهذا لا يتيسر إلا من خلال ادراك الأزواج لمسؤولياتهم المتقابلة ومسؤولياتهم ازاء أبنائهم وكذلك ادراك الأبناء لمسؤولياتهم تجاه الوالدين.

وكثيراً ما نشاهد ان اغلب المشاكل التي تعاني منها الاسر والتي قد تؤدي إلى الطلاق، سببها جهل الناس لواجبات الحياة الزوجية والذي من شأنه أن يؤدي إلى القيل والقال أو التدخل غير المبرر من قبل الاقارب والآخرين.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 6

بناءً على ذلك وشعوراً بالمسؤولية، فقد توجه مسؤول مؤسسة أم أبيها إلى طهران برفقة عدد من طلبة الحوزة العلمية بقم خلال أيام شهادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام وذلك للقاء سماحة العالم المدقق والمحقق الأستاذ حسين أنصاريان لاستئذانه في تحرير محاضراته المسجلة على الأشرطة والتي كان قد ألقاها على مدى ثلاثين درساً تناول فيها نظام الاسرة في المنظور الاسلامي بأسلوب جذاب وبلغ ينم عن الحرص وجمعها في كتاب ليكون في متناول أيدي الجميع.

وافق الأستاذ على ذلك وباشر بتحرير ما تحتويه الأشرطة على الورق فاستغرقت عملية تدوين المواضيع والفهارس مدة أربعة أشهر وبالرغم مما كان يعانيه من ضيق الوقت حيث الانشغال بالمحاضرات والتدريس والمقابلات والتصنيف إلا أنه استقبل ذلك برحابة صدر ووجه بشوش وراجع ما قد تمّ انجازه ومن ثمّ أعاده بغية طبعه.

وفي الختام نرى لزماً علينا أن نتقدم بوافر الشكر والامتنان للاخوة العاملين في مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر لا سيما سماحة السيّد المسؤول محمد تقي أنصاريان لما بذلوه من جهود في هذا المجال.

دارالعرفان

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 7

مقدمة المؤلف

نظراً لما لمسته من حاجة في المجتمع فقد باشرت في العام 1363 وخلال مجالس شهري محرم وصفر وكذلك شهر رمضان المبارك بالقاء محاضرات حول نظام الاسرة في الاسلام في ضوء الآيات القرآنية والروايات والأخبار الواردة في الكتب المعتمدة.

وكان اقبال الناس على تلك المجالس - وحسب شهاداتهم - منقطع النظير لا سيما من قبل الشباب، ولم يكن ذلك الاقبال الاّ تجلياً لفضل الله ورحمته إذ انه قد تكفل بحفظ هذا الدين وأحكام الشريعة الاسلامية.

فانتشرت اشربة هذه المحاضرات التي بلغت ما يناهز الثلاثين بسرعة في جميع انحاء البلاد، كما نُشرت مواضيعها في احدى صحف طهران المسائية وبنفس الاسلوب الذي القيت به وأصبحت في متناول أيدي القراء، فكان لها ابلغ الأثر لدى العوائل، وهذا ما كنا نتوقعه لأن مضامينها كانت نابعة من القرآن الكريم وعلوم أهل البيت (عليهم السلام)، الذين يتسقن مع فطرة الانسان ويلبيان حاجاته على كافة الاصعدة المادية والمعنوية.

وقد اقترح عليّ الاخوة الأعزاء ان اطبع هذه المحاضرات في كتاب كي ينتفع به أبناء الشعب الايراني المقدم أكثر فأكثر، ألا ان تصنيف كتاب العرفان في الاسلام باثني عشر جزءً الذي استغرق سبع سنوات، وشرح الصحيفة السجادية الذي جاء تحت عنوان ديار العاشقين واستغرق خمساً من السنين، وتأليف بعض الكراسات، وكتابة المقالات للصحف، كل ذلك لم يمهني كي أنجز هذا العمل،

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 8

بالاضافة إلى ان الاسفار المتعددة من أجل التبليغ في جميع مناطق البلاد قد أخذت جانباً من وقتي، ألا ان اصرار الاصدقاء بقي على حاله.

وخلال أيام شهادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) - وهي أسمى مثل للزوجة والأمام على امتداد التاريخ البشري وسيرتها العائلية تعد المثل الأعلى لنظام الاسرة في الاسلام - حضر إلى طهران الأخ الفاضل رضا كلهر صاحب مؤسسة للطباعة والنشر وهو شاب مؤمن مهذب يتصف بالحيوية ويعمل في الحوزة العلمية بقم المقدسة - وأنا أحد طلبتها - فطلب مني الاذن لتحري هذه الاشربة وطبعها، فوجدت في اقتراحه ما يحق طموحي القديم وطموح اصدقائي، فطلبت منه تولي هذه المهمة حيث لا زلت حينها اعاني من ضيق الوقت، فجرى تحرير ثلاثين شريطاً بجهود خاصة من الأخ كلهر، وقام بتحقيق مصادر الروايات الواردة في المحاضرات بشكل دقيق وراجع كافة المصادر الواردة في الهوامش.

ثم سلّمني ما حرر من الاشربة، وأثناء مطالعتي لها رأيت من الضروري القيام بعملية حذفٍ وازافة وتبديل لبعض العبارات، واستغرقت عملية مراجعة النصوص المحررة ما يربو على الشهرين حتى خرج هذا الكتاب الذي بين أيديكم، فتبين ان تصنيف كتاب أهون بكثير من تحرير المحاضرات من الاشربة.

ان ما في هذا الكتاب من جمال انما يكمن في آيات القرآن الكريم والروايات والقصص التي تتناول حياة الأولياء، وما فيه من نقص فهو يعود إلى تعبيرتي وما سطره قلبي، فتقبلوا جماله باحسن القبول، واصفحوا عن قبيحه بلطفكم، آملا منكم تنبيهي على كل زلل صدر مني وذلك من خلال الاتصال بمؤسسة ام أبيها للنشر وعنوانها:

قم - ص. ب 37185 / 913

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 9

على أمل أن يكون هذا الكتاب نافعاً ومفيداً لجميع العوائل لا سيما الشباب من كلا الجنسين الذين دخلوا عش الزوجية حديثاً، أو في نيتهم ذلك ويتمكنوا من تسيير حياتهم العائلية وفقاً لما يريده الباري تعالى كي ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة.

وقد القيت المحاضرات وفق نسقٍ يتضمن الحياة منذ انطلاقتها وحتى نهايتها على أساس النظام الخاص بها، واختير ثلاثون عنواناً لنصوص المحاضرات ستقرأوها في فهرست الكتاب.

ويوسعكم تقديم الكتاب هدية لمن دخلوا القفص الذهبي توأبداً عن باقة الورد التي تذبل بعد سويغات وتذهب هدرًا، كي تتجلى آثار رحمة الباري عزوجل في حياتهم، ويكون سبباً في حصولكم على الأجر العظيم.

حسين انصاريان

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 11

«وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»

الذاريات / 49

1

سنة التزواج في النظام الكوني

الاتحاد والتزواج عند الجمادات

لقد خلق الله سبحانه من كل شيء زوجين في نظام متقن لهذا الكون الواسع الفسيح، وعلى امتداد هذا العالم فإن الزوجية في كل شيء إنما هي حقيقة لا استثناء فيها؛ وقد أخبر عنها القرآن الكريم قبل أن يتوصل لها العلم البشري والدراسات العلمية

وذلك في آيات عديدة منها الآية التاسعة والاربعون من سورة الذاريات مؤكداً ان هذه الحقيقة تشمل كائنات هذا العالم جميعاً سواءً الجمادات أو الحيوانات أو الانسان.

ونظراً إلى ان هذا الإخبار العظيم والتصريح العلمي وهذا البيان الجلي فيما يخص الكائنات التي تعتاش في هذا العالم وهذه الارض يعود إلى قرون متطاولة سبقت النهضة العلمية، ونزل في منطقة - مكة والمدينة - كانت تخلو ممن يعرف القراءة والكتابة والكتب والمدارس فإنه يعد من معاجز القرآن الكريم ودليلاً قاطعاً على اصالته وبرهاناً دامغاً على علميته وحجة بالغة على صدق نبوة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله).

وفي القرآن الكريم ثمة آيات تتناول غير ذلك من شؤون الخلق تقف أمامها العقول البشرية المعاصرة حائرة مندهشة يلقها الدهول، ولا تدع لأحدٍ من بني الانسان وأياً كان مستواه ومنزلته مجالاً بان يشك في احقيتها وكونها نبأاً لهداية البشر. يقول تعالى:

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 14

«الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» «1».

لقد أودع الباري تعالى برحمته وفضله في صلب الأزواج ومن كل جنس التجاذب وعلاقة من الود والتقارب المتبادل، كي يؤول ذلك وفي ظل نظام خاص وظروف معينة سواءً في الجانب التكويني أو التشريعي إلى التزاوج والتناسل والتكاثر النوعي، ومن خلال ذلك يحافظ نظام الخلق على بقاءه وتناول جميع المخلوقات - ومن كل الأجناس - السعادة والهناء في حياتها وتمتع بوجودها ووجود الآخرين.

ان علاقة التكاثر والتناسل في عالم الجماد وبائي نحو كانت تتم بصورة اتحاد عنصر مع عنصر آخر وفي النتيجة ينتج عنصر ثالث، كما في اتحاد الا وكسجين مع الهيدروجين، فاحدهما يشتعل والآخر يساعد الى الاشتعال، فتكون نتيجة اتحادهما ماءً بارداً تتوقف عليه الحياة والنشاط، أو يحدث ذلك بشكل جاذبية تتبعها نتائج جمّة، أو على هيئة تيارين احدهما موجب والآخر سالب ينتج عنهما ما لا يُعد ولا يُحصى من العجائب الكونية وتدرّبه رحمة الله على الناس.

والعلاقة بين عنصرين أو عدة عناصر وحالة الميل المتبادل، وباختصار حالة العشق السائدة بين الجمادات هي التي تؤدي إلى التكاثر في النسل والاستمرار بالنوع، واقامة النظام الشامخ لعالم الخلق واضفاء الجمال على عالم الوجود.

أيّ قدرة جبارة وارادة عظيمة هذه التي تقيم مثل هذا التآلف والانشداد وحالة العشق بين عنصرين احدهما يشتعل والآخر يساعد على الاشتعال حيث

(1) - البقرة: 1- 2.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 15

ينتج عن ذلك التزاوج ماء فرات يشكل انهاراً جارفة وبحاراً متلاطمة ومحيطات شاسعة ويتكون منه المطر اللطيف؟!!

أي قوة عجيبة هذه التي تؤدي إلى ان تتحد عناصر متعددة مع بعضها بين ثنايا الارض اليابسة وفي جوف الصخور الصماء واعماق طبقات القير التي تفوق في سوادها ظلمة الليل البهيم فيخرج من ذلك معدن الالماس؟!!

وأي ارادة قاهرة تلك التي تُخرج لنا من اتحاد عدة مواد من معادن اليمن عقيقاً احمرّاً، ومن طيات التراب في نيشابور الفيروز الازرق، وتهب لنا آلاف المواد التي يحتاجها البشر وذلك من خلال امتزاج التراب مع فضلات الحيوانات؟!!

وأي رحمة تلك التي تمنحنا محصولاً نافعاً مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد من خلال اتحاد الاحجار مع التراب ومواد اخرى مع الحجر؟!!

أي ارادة وحكمة هذه التي تهب عبادالله كل هذه النعم بواسطة اتحاد وتزاوج العناصر فيما بينها؟ وأي ارادة وحكمة هذه التي أودعت كل هذا التآلف والوئام والانسجام بين الشمس وعناصرها الملتهبة وبين الأرض حيث ينتج عن اتحاد عناصر الشمس وعناصر الأرض وتزاوجهما نعمٌ نعجز عن أحصائها كما أكد ذلك القرآن الكريم حين قال: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا».

إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ* وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ* وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ* «1».

(1) - ابراهيم: 32- 34.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 16

ان مستوى الجاذبية بين العناصر وإيجابيتها أو سلبيتها والعلاقة الحميمة القائمة بينها لغرض التكاثر والتناسل كل ذلك يقوم على أساس نظام محدد وقوانين ومقررات عادلة، والجاذبية هذه خارجة عن نطاق الإفراط والتفريط، وهذه العلاقة لا يعترها الفتور ابداً ولا معنى للجفاء والتخاصم والاختلاف في هذا العالم الجميل الوداع ولا وجود للانفصال بعد هذه التزاوج الروحي. فلو كان وجود للاختلاف والجفاء والانفصال في هذا العالم فلا شك في ان الفساد والافساد سيلقي بظلاله ويعقد الامور ويضرب باطنابه في أساس هذا العالم.

ان للعناصر المكونة لعالم الجماد حجماً ووزناً معينان وفواصل محددة ونمواً يتناسب مع وضعها، واتحاد كل منهما مع الآخر يقوم على أساس الكفاءة، فلا تتمرد العناصر على النظام المحدد لها ولا تبادر إلى المشاكسة والتخاصم فيما بينها، بل تحافظ على القانون وحدود وجودها اينما كانت في هذا النظام.

«لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» «1».

وفي تقدير وزن الاجرام في الفضاء الخارجي وحجمها وطولها وعرضها وعمقها ولونها ومواصفاتها والمسافات التي تفصل بينها - ومنها المسافة بين الشمس والكرة الارضية التي تناهز (150 / 000 / 000) كم ولا تتغير هذه المسافة على الإطلاق حيث ان زيادتها تعني تجمد كافة الكائنات على وجه الارض، ونقصانها يعني احتراق ما على الارض - لا يُري شيء سوى علم الله سبحانه وحكمته الازلية التي تقوم على أساس ارادته ومشيئته في جميع

(1) - يس: 40.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 17

الكائنات، ومتى ما نظر اهل البصائر والمنصفون واصحاب الضمائر الحية والصالحون إلى نظام الكون ببصائرهم وبقلوب واعية حينذاك ستخشع قلوبهم لذكر مبدع هذا الخلق والكون ويرددون من اعماقهم:

«رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا» «1».

نعم، ان النظام والقانون والحقيقة تتجلي في ظاهر وباطن عناصر عالم الوجود قاطبة، واسماء الله وصفاته تعلو كافة الكائنات، وان صورتها وإحياءها من الوضوح بحيث تيسر قراءتها وادراكها لكل بسيط واميّ من البشر، والأعجب من ذلك كله ان هذه

المخلوقات جميعاً تسير سيراً حثيثاً بنظام خاص من أجل الوصول إلى محبوبها ومرادها وهو رب العالمين، وهذا ما يؤيده قوله تعالى:

«وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ» «2».

نظام التعايش بين النباتات

ان طريقة التزاوج أو بعبارة اخرى التلاقح والتكاثر والتناسل بين النباتات يحدث بنحوٍ يدفع كل من يشاهدها ويتأملها فيه ان يغوص في بحرٍ من الدهشة والانبهار، والمجال لا يتسع هنا لشرح تفاصيل هذه العملية وتوضيحها.

وسوف اعرض لكم بإيجاز تفاصيل هذه العملية العجيبة التي تقتزن بطروف خاصة وطريقة عجيبة وابين لكم طريقته التي تسير بانتظام ودقةٍ خارقةٍ.

لو تفحصتم الزهرة لوجدتم في وسطها خيوطاً وسيقان رفيعة تسمى الاسدية يتفاوت عددها من زهرة إلى اخرى وفي نفس الوقت فهي تخضع لبرنامج

(1) - آل عمران: 191.

(2) - النجم: 42.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 18

خاص، وفي أعلى هذه الخيوط ثمة نتوء صغير اصفر اللون وفي وسطه كيس صغير يطلق عليه المتك فيه اربع بؤرٍ تستقر فيها حبوب اللقاح التي لا تُرى بالعين المجردة لها شبهٌ بنطفة الحيوانات إلى حدٍ بعيد!!

وبعد حصول عملية التلقيح بين الجهازين الانثوي والذكري تتكون البيوض، وحبوب اللقاح رغم صغرها فإن تركيبها الداخلي وفعاليتها من الدقة ما يثير العجب، وفيها مقدار من المواد البروتينية والدهنية والسكرية والنشوية والازوتية، وفي وسط كل منها نواتان واحدة صغيرة والاخرى اكبر منها، فالكبيرة تسمى نواة النمو والصغيرة نواة التوليد ستعرفون عملها لا حقاً.

الجهاز الانثوي: وهو القسم الذي يستقر أعلى مركز الزهرة، ويعلوه نتوء يسمى الميسم تغطيه مادة لزجة يتلخص عملها في استقطاب الحبوب الذكورية والمحافظة عليها والمساعدة على تنميتها.

وفي أسفل الجهاز الانثوي الذي يتصل بالقسم الاسفل من الزهرة هنالك جسم منتفخ يسمى المبيض تشاهد فيه بويضات صغيرة لكل منها خيط خاص يتصل بجدار المبيض ومن خلاله تمتص الماء والمواد الغذائية الضرورية، والبويضات بدورها لها تركيب ملفت للانتباه.

طريقة التلقيح: بعد أن تتمزق أكياس حبوب اللقاح وتستقر حبوب اللقاح على المبيض فانها تبدأ بالنمو، وهنا لا بدّ من التذكير بأن هنالك طرقاً مختلفة لوصول حبوب اللقاح إلى القسم الانثوي تثير الدهشة لدى المتأم في عالم الخلق.

من ذلك، ان حشراتٍ مختلفة تؤدي هذه المهمة دون علمٍ منها، أي انها تطير نحو الازهار وتقف عليها لما فيها من لونٍ ورائحة جذابة ولوجود المواد السكرية وسط الازهار، وبذلك فانها تحمل حبوب اللقاح بارجلها وتنقلها من مكان إلى

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 19

آخر، وهذا العمل مهم جداً لا سيما بالنسبة للازهار التي ينفصل فيها الجهاز الانثوي عن الذكري ويستقر كلٌ منهما على ساقٍ منفصل.

وكما اسلفنا فإن حبوب اللقاح حينما تستقر على القسم الانثوي تبدأ حينذاك بالنمو والتكامل وتزامناً مع نموها تنمو النواة الكبيرة فتمتد نحو المبيض وتنتهي كلياً على مقربةٍ منه وتنقرض تماماً، الا ان النواة الصغيرة وهي نواة التوليد تنفذ من خلال هذا الانبوب الدقيق وتدخل إلى المبيض وتتحد مع البويضات فتحدث عملية التزاوج في ظل ذلك الجو المظلم السري، فتعقد نطفة الزهرة وتتكون البيضة الاصلية.

في عالم النبات كما هو الحال في الجمادات تأخذ قوانين التزاوج واسباب الاتحاد والتكاثر والتناسل طريقها وفقاً لارادة الحق تعالى بعيداً عن الاختلاف والاجحاف والنزاع والانفصال، وعبر هذا الطريق تمتلئ موائد الكائنات الحية لاسيما البشر بانواع الثمار والحبوب والفواكه!!

التزاوج والتكاثر والتناسل عند الحيوانات

ان میل الذکر نحو الانثی ومیل الانثی نحو الذکر عند الحيوانات وعلاقة المحبة التي تجمعها من اجل التلذذ بالحياة والتكاثر والتناسل والحفاظة على النسل تعتبر من العجائب التي يعجز عنها الوصف.

فإرادة الحيوانات وشعورها واهتمامها بهذه القضية الحساسة، والتنظيم والانضباط السائد في عملية التزاوج والتعايش فيما بينها مما يذهل المتأمل فيها ويبهره.

ان حالة التعاون بين الذکر والانثی في بناء الاوکار والبيوت والحفاظة على الاسرار واختيار المكان والزمان والأهم من ذلك اجراء عملية التلقيح والاهتمام

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 20

بالفراخ وتوفير الغذاء لها وتلقيحها الامور الضرورية والحفاظة عليها من الحوادث والاحطار وسائر الاحوال التي تسود عالم الحيوان، انما هي في الحقيقة تجسيد لارادة الحق تعالى ويتعين اعتبارها في عداد عجائب عالم الوجود.

ان عالم اللبائن والزواحف الملىء بالاسرار وطريقتها في التلقيح والولادة والحفاظة على البيوض أو الاجنة والفراخ كل ذلك مما يحير المرء ويثير لديه الدهشة، وظروف التزاوج والتكاثر والتناسل لدى الحيوانات هي ظروف متجانسة ومنبثقة من القوانين الالهية، يقول تعالى:

«مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «1».

فليس هنالك حيوان ينزو على انثى من غير جنسه رغم امتلائه بالشهوة الجنسية، فالذكر لا يلوث شهوته بعمل خبيث وقبيح ولا ينحرف عن الصراط المستقيم، وليس هنالك انحراف لدى الحيوانات في مجال الغريزة الجنسية، فنطفة الذكر من الحيوانات تختص بانثاه وهو لا يلتفت إلى غيرها، ولا وجود بينها لنظرة السوء والاعتداء على الآخرين، والتجاوز على انثى تخضع للذكر آخر، ولا فرق في هذا المجال بين الزواحف واللبائن.

ان قصة النظام والانضباط الذي يتحكم في كافة مفاصل الحياة لا سيما التوالد والتكاثر عند الطيور والزواحف والوحوش والحيوانات البحرية انما هي قصة عجيبة تثير الدهشة لدى أهل التأمل والتفكير، وطريقة حياة الحيوانات المقترنة بالقوانين التي تحكمها تعد درساً بليغاً لمن نأوا بأنفسهم عن اجواء الهداية الربانية، وانعزلوا عن مصدر النفحات المعنوية والنورانية، فالحيوانات

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 21

شأنها شأن الجمادات وسائر عناصر الكون كالشمس والقمر والسماء والارض، ومثلها مثل النباتات في التنظيم والانضباط.

الانسان والزواج

ان عملية التزاوج والتوالد والتناسل في عوالم الجماد والنبات والحيوان تسير وفقاً للقوانين التكوينية والتوجيه الصحيح للغرائز، بيد ان هذه العملية المهمة وهذه السنّة الطبيعية السامية يجب ان تأخذ مجراها في عالم الانسان على ضوء القوانين والأحكام الشرعية والاوامر الالهية الواردة في القرآن الكريم والروايات الواردة عن الأنبياء والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

فقد اودعت بذور هذه النزعة في نفس الرجل والمرأة على شكل غريزة ورغبة ومحبة ورحمة، بناء على ما اقتضته ارادة الحق عزوجل، يقول تعالى:

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»
«1».

ويقول أيضاً:

«وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا وَ كَانَ رُبُّكَ قَدِيرًا» «2».

ان اختيار الزوج في نظر الثقافة الاسلامية يعد بحد ذاته امراً مستحباً ومحبذاً للغاية وعملاً حسناً، الا ان ما يترتب على المرء إذا ما بقي اعزباً ان لا يلوث الحياة بالمعصية والزيلة والفحشاء والمنكرات، وفي غير ذلك يصبح الزواج امراً ضرورياً ومسؤولية لا مفر منها.

وهنا لا مناص من تنفيذ الاوامر الالهية بشأن الزواج بكل ما اوتي المرء من

(1) - الروم: 21.

(2) - الفرقان: 54.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 22

قوة وان لا يدع الخوف من المستقبل يتسرب إلى نفسه لا سيّما فيما يتعلق بالامور المادية وتكاليف الحياة فإن ذلك من احابيل الشيطان وناشئ عن وهن في النفس وفقدان الثقة ببارئ الكون ومدبره.

وفي الآية التالية من سورة النور تلمسون الامر الالهي بشأن الزواج وتكفله بتأمين تكاليف الحياة الزوجية، إذ يقول تعالى:

«وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» «1».

و «وَأَنْكِحُوا» من الناحية النحوية فعل أمر، وهذا الأمر موجه إلى ابناء المجتمع فرداً فرداً رجالاً ونساءً، ويستفاد من هذه الآية الكريمة وجوب الزواج لمن هم بحاجة له ولا يتسنى لهم المحافظة على سلامتهم وطهارتهم الآ من خلال هذه الطريق، هذا من جهة، ومن جهة اخرى ضرورة مبادرة العوائل لا سيما الوالدين ومَنْ تتوفر لديهم القدرة المالية إلى تسخير امكانياتهم في هذا المجال من اجل بناء الحياة الزوجية لابنائهم وبناتهم.

لا تتشددوا في الزواج

ان حاجة الرجل للمرأة وحاجة المرأة للرجل لا سيّما اوان تفتح براعم الغرائز والشهوة، واشتدادها وتساعد قوتها حين الحاجة إلى الزواج، هي من الامور الطبيعية والانسانية المهمة ولا يمكن لأي انسان انكارها.

فالآمال والرغبات والتطلعات المشروعة الكامنة في نفوس الشباب ذكوراً كانوا أم اناثاً ازاء المستقبل وفي مقدمتها بناء الحياة الزوجية، هي من الحقائق

(1) - النور: 32.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 23

الواضحة للجميع كوضوح الشمس في رابعة النهار لا سيّما الوالدين ممن لديهم ابناء وبنات في سن الزواج.

والأهم من ذلك كله، ان السبيل الامثل والمنهج الاسمى للحد من الموبقات، واكوى تدبير لصيانة المجتمع من الانحدار في مستنقع الفحشاء والمنكرات هو تزويج الابناء والبنات في الوقت المناسب لحاجتهم إلى ذلك، وهذه حقيقة لا يتوقع انكارها الا من قبل الحمقى والجهلة وفاقدى الشعور.

بناءً على ذلك فإن المسؤولية تقع في بداية الأمر على الوالدين والاقربين ومن لهم دور في مسألة زواج أبناء الاسرة وبناتها، وذلك يتمثل في تيسير مقدمات هذه السنّة الالهية وتوفير الارضية الملائمة للزواج بأيسر السبل واحسن الطرق، ومن ثم يأتي دور الابناء والبنات ممن توفرت لديهم الرغبة في الزواج، إذ يتعين عليهم تجنب الطموحات غير المبررة وفرض الشروط المهرقة، كي تأخذ الرغبات والغرائز والطموحات طريقها الطبيعي بيسر وسهولة، ويوضع حجر الاساس للحياة السعيدة، ويُشيد البناء الذي يُرتجى منه خير الدنيا والآخرة.

مما لا شك فيه واستناداً للآيات القرآنية والروايات والاحبار ان الله سبحانه سيتسامح مع الذين يتساحون في شؤون الحياة لا سيما قضية زواج ابنائهم وبناتهم، ويسر امورهم في الدنيا والآخرة وبالذات عند الحساب وتطير الكتب والميزان في عرصات يوم المحشر، وان الغضب الالهي في الدنيا والآخرة وسوء الحساب وعذاب جهنم سيحقق بالمتزمتين والمعرقلين لهذا الأمر ويتسببون في ان يغن ابنائهم وبناتهم تحت وطأة الغرائز والشهوات، ويتلون بالامراض العصبية والنفسية، وتسوء اخلاقهم ويتلوثون بالمعاصي والموبقات، ومن ثم تذهب امالهم وطموحاتهم ادراج الرياح.

ان التدقيق الزائد في مسألة الزواج يجز الانسان إلى التشدد دون علم منه،

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 24

فالتزواج بين اثنين في النظام الكوني يجري بسهولة بالغة، فلو كان التزواج في عالم الحيوان صعباً وعسيراً لفقد النظام القائم حالياً رونقه وصورته المشرقة.

فيا ايها الاباء والامهات، وايها الابناء والبنات! لا تشددوا في تمهيد مقدمات هذه السنّة الالهية، من قبيل فرض المهر واقامة المراسيم واجراء احتفال عقد القران والزفاف والتمسك بالعادات والتقاليد، ولا تفرضوا ما هو خارج عن طاقة اسرتي العريسين كي يجري الزواج بسهولة وبمن عليكم الباري تعالى بتيسير امورك في الدنيا والآخرة.

تعالوا واقتدوا بمنهاج اهل التقى، وخذوا من منابع الخير والبركة تلك درساً وعبرةً وشيّدوا حياتكم على أساس سيرة اولئك الأولياء، إذ ان السعادة والهناء وبلوغ خير الدنيا والآخرة، والحصول على الشرف والكرامة، كل ذلك انما يتأتى في ظل الاستلھام من اولئك الذين عشقوا الجمال الازلي، يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) واصفاً المتقين:

«أنفسهم عفيفة، وحاجاتهم خفيفة، وخيراتهم مأمولة، وشروطهم مأمونة» «1».

على اية حال، الحري بالقائمين على أمر الزواج أن يتجنبوا الطموحات غير المبررة وفرض الشروط المرهقة، واتباع الهوى والميول النفسية، والتمسك بالتقاليد والاعراف الخاطئة، وتقليد الآخرين والتشدد في شؤون الزواج، وعليهم اقامة بناء الزوجية منذ الوهلة الاولى على أساس التقوى والخير والصلاح وتيسير الامور وان يجعلوا غايتهم نيل رضى البارئ تعالى.

بعد ان تنتهي مراسيم الزفاف يتعين على الزوج مواصلة الحياة الزوجية مع المرأة التي سبق أن التقى بها اثناء الخطبة ورضيها زوجة له وابرم معها عقد

(1) - هداية العلم: 651.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 25

النكاح، وان يعمل على ضمان استمرار المودة والرحمة الالهية القائمة بينهما، ويتوجب على الزوجة ان تفتح امام زوجها - الذي كانت قد التقت قبل اجراء عقد الزواج - ابواب الرأفة والتسامح وان ترعى حقوقه على كافة الاصعدة.

ان المحافظة على الشأنية لا تكمن في المهر الباهض والاحتفالات المكلفة وكثرة المدعوين والتمسك بالتقاليد والاعراف الخاطئة المنافية للمنطق، والتشدد في الشروط، بل تكمن في اختيار الكفو واجراء المراسيم على بساطتها، ومراعاة الاخلاق الاسلامية من قبل كلتا الاسرتين، والمحافظة على الحقوق الالهية والانسانية من قبل الزوجة والزوج ازاء بعضهما البعض، والعمل على استمرار اجواء المحبة والمودة من قبل الزوجين بغية استمرار الحياة الزوجية، والنأي بحياتهما عن الفوضى والاضطراب والعوامل التي من شأنها اثاره الامراض العصبية والنفسية.

ان الحياة الزوجية التي عاشها أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) تمثل افضل درس في الحياة بالنسبة لكل مسلم ومسلمة، فقد كانت فاطمة (عليها السلام) مصدر الاستقرار لاسرتها لا سيما بالنسبة لزوجها، وراسية لدعائم الحياة في البيت، وكان علي (عليه السلام) مثلاً أعلى للزوج والاب، والمربي الرؤوف لاولاده، ومعيناً حريصاً في تسيير شؤون البيت والعائلة، فلم يأت يوماً عن انجاز الاعمال اليسيرة في البيت من قبيل التنظيف واعداد الخبز ومد يد العون لابنائهم، ولم يدع زوجته تشقى في انجاز اعمال البيت وتقع جميع شؤون العائلة على كاهل الزهراء (عليها السلام) لوحدها.

ينبغي للزوج والزوجة ان يراعي كل منهما حقوق الآخر وان يساعد احدهما الآخر في جميع شؤون الحياة، ولا يتصوروا ان اطلاق صفة الظلم ينحصر فيما فعله فرعون والنمرود وسائر الطغاة على مر التاريخ، بل ان كل عمل يرتكز على

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 26

الباطل من شأنه خدش مشاعر الآخرين فهو ظلم، وان الله سبحانه ييغض الظلم والظالمين ولا يرضى باي نوع من الظلم مهما قل وأياً كان مصدره.

سنشير ان شاء الله تعالى خلال كلامنا واحاديثنا المقبلة إلى جميع ما يرتبط بنظام الاسرة في الاسلام، وفي هذا المقطع من الحديث نكتفي بنقل بعض الروايات المهمة الواردة في الكتب المعتبرة والمتعلقة بالزواج واهميته وفوائده ومكانة الاسرة وبنائها واهميتها في الثقافة الاسلامية، وندعوكم إلى التأمل في هذه الروايات كي تقفوا على قوة الاحكام الالهية ويتبين لديكم خلو جميع الثقافات الاخرى من المفاهيم التي تتضمنها الثقافة الاسلامية.

أهمية الزواج في الروايات

عن النبي (صلى الله عليه و آله) قال: يُفتح ابواب السماء في أربعة مواضع: عند نزول المطر، وعند نظر الولد في وجه الوالد، وعند فتح باب الكعبة، وعند النكاح «1».

قال النبي (صلى الله عليه و آله):

«تزوجوا و تزوجوا الأيتام فمن حظ امرء مسلم انفاق قيمة أئمة، وما من شيء أحب إلى الله من بيت يعمر في الاسلام بالنكاح» «2».

قال النبي (صلى الله عليه و آله):

«تزوجوا أيامكم فإن الله يُحسن لهم في أخلاقهم، ويوسع لهم في أرزاقهم، ويزيدهم في مرواتهم» «3».

قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني» «4».

قال النبي صلى الله عليه و آله:

«من تزوج فقد احرز نصف دينه، فليتيق الله في النصف الباقي» «5».

(1) - الزواج في الاسلام، ص 17.

(2) - نفس المصدر، ص 7.

(3) - نفس المصدر، ص 8.

(4) - بحار الأنوار: 103، ص 220.

(5) - بحار الانوار: 103/219.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 27

عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: جاء رجل إلى أبي فقال له: هل لك من زوجة؟

قال: لا، فقال أبي: ما أحبّ أنّ لي الدنيا وما فيها أنّي بثّ ليلة وليست لي زوجة، ثم واصل أبي حديثه فقال: الركعتان يُصليهما رجلٌ متزوج أفضل من رجلٍ أعزب يقوم ليلة ويصوم نهاره، ثم اعطى أبي سبعة دنانير إلى ذلك الرجل وقال له اقض بها ما تحتاجه لزواجك فقد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«اتخذوا الاهل فإنّه ارزق لكم» «1».

قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فإنّه اغضّ للبصر، واحصن للفرج».

وقال صلى الله عليه و آله:

«ما من بناء في الاسلام أحبّ إلى الله من التزويج» «2».

وقال صلى الله عليه وآله:

«مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ اعْطَى نَصْفَ السَّعَادَةِ» «3».

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«ما من شاب تزويج في حادثة سنة الآ عَجَّ الشيطان يا ويلَهُ يا ويلَهُ عصَمَ في ثلثي دينه فليترك الله العبد في الثلث الباقي» «4».

فما هي القيم التي في الزواج؟ وما هي الفوائد العظيمة التي يجنيها كلُّ من الزوج والزوجة؟ وأي أهمية وشأن يوليها الاسلام للزواج؟

ليت عوائلنا تبذل قصارى جهودها لتمهيد السبيل من أجل تيسير هذه السنة الالهية والانسانية، ويُقلعوا عن التشدد وفرض الشروط المرهقة، والمبادرة إلى اقامة مراسيم الزواج وفقاً لامكانياتهم، وسلوك طريق القناعة بما توفر وتجاوز به الايدي، كي ينال ابناؤنا وبناتنا طموحاتهم الطبيعية وتحقق آمالهم، ولا يكفر

(1) - الوسائل: 7 / 14.

(2) - البحار: 222 / 103.

(3) - مستدرك الوسائل ابواب المقدمات الباب الاول.

(4) - البحار: 221 / 103.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 28

بنعم الله الكامنة في غرائزهم وشهواتهم، ولا تتلوث انفسهم بالمعصية والرذيلة.

اين تكمن جذور الكبت وانحراف الغرائز والشهوات، وانتشار الفساد والرذيلة، واطلاق العنان للبصر والاهواء النفسية، والزنا والتجاوز على نوااميس الآخرين، والتخلف في المستوى الدراسي والتقاعد عن اداء العبادات وبروز الامراض العصبية والنفسية وسائر الابتلاءات؟

ان الاجابة على هذه الأسئلة لابد أن يتولى امرها في بداية الأمر الاباء والامهات المتصلبون الذين وقعوا بين مخالب التقاليد والعادات الخاطئة، وتكبلوا بتقليد الآخرين، ويأتي بعدهم دور الابناء والبنات ممن ابتعدوا عن التقوى، واخيراً أولئك الذين تتوفر لديهم الامكانيات اللازمة لتزويج الشباب ويدخلون عن بذل اموالهم في سبيل الله، كل هؤلاء عليهم ان يقدموا ما لديهم من جواب منطقي وعقلي مقنع في هذه الدنيا وكل ما يقدمونه الآن من اجابة يتحتم تقديمه حين تقام محكمة العدل الالهي يوم يقوم الناس لرب العالمين!!

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 29

«وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكْ خَيْرٌ»

الأعراف ذاريات/ 26

2

التقوى في الأسرة و المجتمع

حقيقة التقوى

ان المصدر اللغوي لهذه الكلمة التي تنطوي على أجمل مفهوم هو «وقي»، وهي تعني صيانة النفس ازاء المحرمات والنواهي.

وفي الحقيقة فإن «وقي» تعني الروحية والقدرة المكتسبة من خلال الممارسة المستمرة على ترك الذنب والريضة النفسية والانضباط أمام المعصية والذائد المحرمة.

ان السعي لغرض تحصيل التقوى وعدم ارتكاب المعاصي يعدّ من أفضل المساعي، ومن الأعمال المستحسنة، وتحصيل التقوى عبادة أمر الباري تعالى بها، ومن الافعال التي تجلب رضاه.

والفلسفة من القيام بالعبادات على الصعيد المالي والبدني والأخلاقي انما تتبلور في حصول التقوى في مجمل حياة الانسان، فالعبادة والنشاط والعمل لا تعدّ عبادة ما لم تثمر التقوى التي تمثل مصدر الكرامة والشرف والسعادة ومفتاحاً لخير الدنيا والآخرة.

ان المجتمع يتألف من مجموعة عوائل وكل عائلة تتكون من الزوج والزوجة والأولاد، وفي الحقيقة ان الافراد بمثابة اللبنات التي يقوم بها بناء الاسرة والمجتمع، ولو تحلّى كلٌ منهم بالتقوى فسوف نحصل على الاسرة الصالحة والمجتمع الفاضل، الاسرة التي يسودها الامان بكل نواحيها وتتوفر فيها أفضل الاجواء لتكامل أبنائها وذلك بفعل تحليهم بالتقوى، وبالتالي سيكون

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 32

لدينا مجتمع يمثل افراده مصدر خيرٍ بعضهم للبعض الآخر، ويأمنُ بعضهم شر ومكائد البعض الآخر.

المتّقون أحباء الله والمقربون لدى الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وهم النافعون الذين يفيضون كرمًا، قد حسّنت سيرتهم وتحولت صورهم إلى صورٍ ملكوتية الهية، واتصفوا بمكارم الاخلاق، وتنزّها عن المساوىء والقبائح والذرائل.

ان كرامة الفرد والاسرة والمجتمع إنّما تكمن في التقوى، وليس هنالك شخص او مجتمع اكرم على الله من المتّقين، وما يعرض له الزوج والزوجة والآباء والامهات والابناء وكافة أبناء المجتمع من اذاء من قبل بعضهم البعض الآخر انما هو نتيجة لانعدام التقوى، وحالة التوجّس التي يعيشها الناس في البيت أو المجتمع فيما بينهم إنّما هي من العواقب الوخيمة لفقدان التقوى، وما يشاهد من خسائر فادحة في حياة البشر فذلك بفعل انعدام التقوى.

فلحري بكلّ من الزوج والزوجة التحلّي من أجل تكوين الاسرة الصالحة، ومن الضروري ان يعملوا على أن تأخذ هذه الدعوة الالهية طريقها إلى نفوس ابنائهما، بل عليهما تمهيد السبيل بغية تحقّق التقوى لديهم منذ نعومة اظفارهم.

حبذا لو تأملتم الفوائد التي تنطوي عليها التقوى التي ذكرتها الآيات القرآنية والروايات ومن ثم تبادلوا إلى تقييم الواقع وتأمّلوا صورة الاسرة والمجتمع فيما لو تحلّى جميع ابنائنا وبناتنا بالتقوى وبادروا إلى الزواج متزوّدين بهذه الثروة الربانية.

التقوى ومراتبها

يذكر من عبّر عنهم القرآن الكريم بأولي الالباب والبصائر، ومن قطعوا اشواط السواك المعنوي والروحي، ثلاث مراتب للتقوى: التقوى خاص

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 33

الخاص، والتقوى الخاصة، والتقوى العامة.

وفي رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) يوضح فيها هذه المراتب:

المرتبة الاولى: التقوى بالله في الله، وهي عبارة عن ترك الحلال فضلاً عن ترك الشبهة وهذه التقوى خاص الخاص.

المرتبة الثانية: التقوى من الله، وهي عبارة عن اجتناب الشبهات جميعاً فضلاً عن الحرام وهي التقوى الخاصة.

المرتبة الثالثة: التقوى النابعة من الخوف من عذاب جهنم والعقاب الاليم وهي عبارة عن ترك المعاصي والمحرمات وهي التقوى العامة «1».

والمراد من ترك الحلال في قول الامام الصادق (عليه السلام) هو ان المتقين في هذه المرتبة لا يطلبون الامور المحللة لعدم شعورهم بالحاجة اليها، ويكتفون من الحلال بما يحتاجون لنيل الكمال.

ان القابلية على القناعة متيسرة للجميع، ومن ادعى عجزه عن التزام القناعة لا يُقبل منه هذا الادعاء، فالقناعة بالحلال والتزام الكفاف في الامور المادية الضرورية للحياة، والزهد في القصور الفخمة واللوازم النفسية والملابس الراقية والموائد المتنوعة، يعد ممارسة اخلاقية وعملاً مستحسناً وسبيلاً لسيادة التقوى في جميع مرافق الحياة.

الحاج السبزواري والقناعة

في عام 1362 توجهت إلى مدينة سبزوار لغرض التبليغ، وهناك سألت عن اسرة الحكيم والعارف الجليل الحاج ملا هادي السبزواري، فقبل ان احد احفاده

(1) - المواعظ العددية: 180.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 34

يسكن في المدينة وهو ممن يتصف بالعلم والمعرفة وله اضطلاع بالحكمة والفلسفة وتفسير القرآن وقد قام بتفسير القرآن الكريم مرتين في المسجد الذي يتصدى لامامة الجماعة فيه.

فأسرعت للقاءه، فكانت أخلاقه وسلوكه وحياته تعكس صورة عن الحياة المباركة للحاج السبزواري، واستفشرت منه عن احوال جدّه الجليل، فشرح لي اموراً تثير الدهشة عن صفاته وأحواله، منها: بالرغم من ان الحاج السبزواري كان محط اهتمام الشخصيات السياسية والعلمية في البلاد وانهم كانوا يقصدونه من مختلف انحاء البلاد وحتى من المناطق النائية للتزود من علمه ألا انه كان قانعاً بالقليل من ناحية الدار والمأكل والملبس!!

وربما كان يحتفظ ببعض ملابسه ويستخدمها لمدة عشر سنين بكامل شروط الصحة والطهارة، ولم يستنكف من ترقيع تلك الملابس، وهذه سيره الأنبياء والأولياء!

البهجة والاسراف

ان البهجة والاسراف - في نظر الباري تعالى - من الاعمال الشيطانية والامور المرفوضة، ومن الممارسات التي تتماشى مع الاهواء النسيّة والشهوات الحيوانية.

ما المانع في ان يلتزم المرء بالحدود الالهية لا سيما القناعة في جميع مرافق الحياة؟ فالقناعة مصدر الراحة، والدافع نحو الاعتقاد، والعلاج الناجع للاضطراب والقلق النفسي.

ان حاجة البدن تُسدُّ ببيتٍ مناسبٍ لشأن الفرد مركبٍ بسيطٍ وملبسٍ ومأكلٍ على قدر الحاجة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 35

ينبغي تجنب تقليد الآخرين في بناء الحياة، والاكتفاء بما هو متيسر من المصروفات، والابتعاد عن الاسراف واقتناء ما يُعدّ بهرجة واسرافاً.

عينا ان لا نفتدي بالغرب في الزي ونمط الحياة فانهم قد وقعوا بالكثير من الاخطاء، ولا يؤدي التطور الصناعي والفني الذي بلغوه إلى ان تتصور صواب وصحة كل ما يقولونه ويكتبونه وان ما هم عليه من اناقة، واسلوب في المعيشة مطابق للواقع.

ما يحظى بالاهتمام في الاسلام هو سلامة الروح والبدن والمدينة والمحلة، والذي تُعنى به الثقافة الاسلامية من الامور المادية والمعنوية، والاخلاقية، والايمانية للفرد والمجتمع هو ما يصب في مصلحة الانسان في الدنيا والآخرة، والاسراف والبهجة والانهماك بالمصاريف المرهقة وتحميل ظواهر الحياة بعيداً عن القناعة والاقتصاد - حتى في بناء المساجد التي هي مراكز العبادة بالنسبة للمسلمين - من الامور التي يذمها هذا الدين وهذه المدرسة التي تبني الانسان.

يجب ان تكون المساجد والبيوت زاخرة من الداخل بالروح المعنوية وباعلى درجاتها، وفي ظاهرها يجب ان تتصف بالبساطة والوداعة كي لا تبتلي القلوب بالوسوسة والتجبر ولا تبتعد النفوس عن ساحة الحق تعالى.

البسوا ما بسط من الملابس ولكم التزموا آداب اللباس، وكلوا ما يسد رمقكم من الطعام وتمثلوا آداب الطعام، واقتنوا ما يناسبكم من السيارات ولكن عليكم عدم الغفلة عن آداب السياقة، واستحصلوا الدار الضرورية لحياتكم على ان لا تصبحوا اسرى لهذه الدار، كل ذلك من ثمار التقوى والزهد والتوجه إلى الله تعالى.

ان حياة اليهود والنصارى هي التي يطغى عليها الاسراف، في اقتنائهم الدار والاثاث وواسطة النقل والملابس والطعام، فكنائسهم ومعابدهم تغص بالذهب

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 36

والزخارف والتماثيل والجواهر الاثرية واللوحات النفسية التي تبلغ قيمتها ملايين الدولارات.

وحياة الحاخامات والقساوسة بل وحتى البابا تضج بالاسراف والتبذير إلى حد يبعث الدهشة والتعجب، فلو بيع التاج الخاص بالبابا وملابسه لا مكن انقاذ الملايين من الجوع.

ان اكتناز الثروة وأكل الربا وممارسة السرقة في وضح النهار وغيرها من الفضائح هي اعمال اعداء الله، أما احباء الله فيتعين عليهم الالتزام بما اراده هو وصيانة انفسهم من الوقوع بين فكي الاسراف والتبذير.

والتقوى هي السبب في الحصول كل المحاسن وهي التي تحفظها، فالبيت العامر بالتقوى، والازواج الذين يتحلون بالتقوى انما يتوفرون على كنزٍ الهى وثروة ملكوتية، وبذلك تغدو حياتهم ترفرف عليهم السعادة والصفاء والمحبة وراحة البال والأمن والسلامة والانصاف والكرامة والشرف.

ينبغي ان يتمتع المسجد والبيت بوضعٍ بحيث يشعر فيهما الانسان بالأمن والاطمئنان ويتخذ منهما منطلقاً للعروج نحو محبوبه.

وباختصار، يمكن تشييد بناء الزوجية عن طريق التزام التقوى والقناعة والتوجه نحو الله تعالى والاستعداد ليوم الدين، بنحو يكون البناء وسيلة لبلوغ السعادة الاخرية ونيل رضى الحق تعالى.

وفي عصرنا الراهن أيضاً يمكن العيش بالقليل من الدخل بشرط التزام التقوى والقناعة، وإذا ما عرضت مشكلة أثناء ذلك وعجز المؤمن عن مقاومتها، بما توفر لديه من دخلٍ يتحتم على المؤمنين ان يهتّبوا لا عانته قبل فوات الاوان وانقاذه مما يلزم به ضيق ومحن.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 37

تواصوا بالتقوى

نظراً إلى عجز عامة الناس عن التزام التقوى بمراتبها العليا، أي التقوى خاص الخاص والتقوى الخاصة، ينبغي والحالة هذه عدم دعوتهم إليها، لأن هاتين المرتبتين من شأن الأنبياء والأئمة وأولياء الله.

الآن من اليسير تحليّ عامة الناس بالتقوى العامة، أي ترك المحرمات بجوانبها الاخلاقية والشهوانية المالية.

بناءً على ذلك ينبغي لعامة الناس دعوة بعضهم بعضاً إلى التزام التقوى وذلك بالقول اللين والاحلاق الحسنة، وتشجيع بعضهم بعضاً على ترك المحرمات بجميع جوانبها كي تبسط التقوى ظلالها الملكوتية على شؤون الحياة وتنعم جميع المخلوقات لا سيما الاسرة والمجتمع بما تدر به من منافع.

ان التزام التقوى من قبل الزوجين في جميع شؤون الحياة وتربية الاطفال عليها يعدّ واجباً الهياً، إذ يقول الذين سلكوا طريق الحق والحقيقة: ان الطفل امانة وان قلبه وروحه وباطنه بمثابة الجوهرة والصفحة الناصعة الخالية من كل كتابة ورسمٍ ولها القابلية على استقبال ما يرسم عليها، فإن تربي بين أكناف عائلة تعلمه المنطق الحسن والاعمال الصالحة والاحلاق الفاضلة وتفتح امامه سبيل استلهاهم الحقائق فإن هذا الطفل سينال السعادة في الدنيا والآخرة وبذلك يشاركه الوالدان في الاجر والثواب حيث كانا السبب في بلوغه هذا المستوى الرفيع، وكذا المعلمون ممن كانوا عاملاً في تأديبه.

اما إذا طبع الوالدان - نتيجة تلوثهم وافتقارهم للتقوى - الصور الشيطانية على صفحات قلب الطفل وروحه وابتلي الطفل معهم برذائل الاخلاق وقبائحها واصبح كالبهيمة همه الوحيد البطن والفرج والقي بنفسه في مهلوي الشقاء

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 38

والتهلكة، فلا شك في ان وزر ذلك ووباله يقع على عاتق والديه أو معلمه ومربيه، يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» **«1»**.

فكما يهتم الوالدان في الحؤول دون سقوط الطفل في نار التنور أو الاحتراق بلهيب الغاز ويمنعونه من الاقتراب من الخطر، فالأولى بهم ان يحولوا دون احتراقه بنار الغضب الالهي يوم القيامة نتيجة لعدم التحصن بالتقوى وسوء اعماله واخلاقه وضياع ايمانه واعماله الصالحة، والسبيل العملي للمحافظة على الطفل من العذاب الاخروي يتمثل في تحلي الوالدين بالتقوى في بداية الأمر ومن ثم تربية الطفل عليها.

على الوالدين ان يلعبا دور المبلغ الوقور والمعلم الامين ويتمتعوا بالحرص ويكونا بمثابة داعيتين إلى الخير في سبيل تربية اطفالهما. عليهما بادىء ذي بدء تزيين وجودهما بالتقوى والايمان والعمل الصالح ومن ثم السعي لتهديب الطفل وتأديبه وتعليمه محاسن الاخلاق والمحافظة عليه من صديق السوء والمعلم ذي الاخلاق المذمومة، ويجب عليهما العمل على عدم تعلق قلب الطفل بالزخارف والزينة المفرطة والبهرجة والاسراف وحب الثروة والمال لئلا يتحول في المستقبل إلى انسانٍ مسرفٍ وطماعٍ وبخيلٍ وناهبٍ واناني، إذ ان بناء المجتمع إذا قام على لبنات خاوية أو بعبارةٍ اخرى شُيد على افراد تنقصهم التقوى فإن ذلك البناء سينهدم على رؤوس أبناء ذلك المجتمع ولا تطاق الحياة فيه بالنسبة لجميع ابناءه. لو كانت التقوى اساساً يقوم عليه بناء كافة الاسر، وتحلى الزوجان به،

(1) - التحريم: 6.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 39

وسرت منهما إلى الابناء لانتفت حاجة المجتمع للسجون وقوى الامن والمحاكم، وحينها يخف كاهل الدولة والامة من الميزانيات المرهقة التي نبيغي تسخيرها في سبيل توفير الرفاهية للجماهير وليس توظيفها في التصدي للناهيين والمفسدين واللصوص.

یرى عظماء ديننا- مستندين إلى الآيات الكريمة والروايات- ان سيماء المتقين تتلخص بالامور التالية:

- كسب العلوم الدينية بما يحتاجه المكلف في اعماله و اخلاقه ومعاملاته وعلاقته بالاسرة والمجتمع.
- المحافظة على سلامة البدن عن طريق الالتزام بالتعاليم الصحية والعمل بآداب الاكل والشرب.
- التحلي بالذكاء والفطنة في جميع شؤون الحياة والتمسك بالامانة على كافة الاصعدة الحياتية.
- المحافظة على عفة النفس والصدق في الكلام، والتحلي بفضائل الاخلاق وتجنب الرذائل والنزاهة عن الرياء والنفاق، والزهد في الامور الدنيوية الزائدة، والتجرد عن المكر والغدر والخيانة، وتكریم أهل العلم والفضل، والاقبال على أداء الوظائف الشرعية سواء الفرائض أو النوافل، والالتفاف حول العالم الرباني الذي يعمل على تعريف المسلم بدينه وتعليمه الحلال والحرام ولا هم له سوى الاخذ بيد الانسان نحو الكمال، إذ ان اتباع العالم غير الرباني انما يمثل الشقاء والهلاك بعينه.
- وضمن وصيته بهذا الأمر، اي اتباع العالم الرباني، يقول الامام الصادق (عليه السلام):

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 40

«إن آية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض فاذا سُئل عن شيء من مسائل الحلال والحرام لم يكن عنده شيء» «1».

ومن علائم المتقين أيضاً، الصبر ازاء الاحداث، ومراعاة الآداب والاحكام الاسلامية في كافة الامور، وملازمة الذكر ودوام التفكر المقترون باخلاص النية وصفاء الباطن، ومراقبة النفس كي يصل الانسان من خلال طيّه لهذا الطريق إلى علم اليقين وبعده إلى عين اليقين ومن ثم حق اليقين.

الازواج المتقون

المتقي من الرجال لا ينهمك الا على كسب الحلال لسد مصاريف عائلته، فهو ملتزم بمراعاة حقوق جميع الذين يتعامل معهم في الكسب والاتجار، وبعبارة اخرى فهو لا يتسبب في الحاق ابي ضرر بالعباد خارج البيت، ونتيجة لتزوده بالتقوى فهو لا يقترب من الحرام ولا يفرط بما يمتلكه من كنز القناعة والعفاف.

وحینما فی من العمل ویعود إلى بیته یُلقی بجمیع همومه واتعابه عند الباب ویدخل الدار. مفعماً بالنشاط والحيوية یعلوه الانشراح والسرور ویقابل زوجته بثغرٍ باسم ویبادرها بالسلام والتقدير لما بذلته من جهود على مدار الیوم بتنظیف البیت ومدارة الاطفال ویولیهما احترامه ویتعامل معها ومع الاطفال بلطف ومحبة ویبذل لها ولهم من الاحترام ما یتناسب وشأنهم. ویعلم امله بین الحین والآخر اصول الحلال والحرام والامر بالمعروف والنهی عن المنکر ومحاسن الاعمال ومساوئها ولا یدعهم یغطون فی غفلةٍ عن

(1) - الکافی: 2/ 340، المحجة البیضاء: 5/ 140.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 41

امور دینهم.

ولا یستهلك وقته وحياته خارج البیت، ولا یجعل ابتسامته وحيويته حكراً على اصدقائه ولا یفرط فی ارتیاد المساجد والمجالس الدینیة، فهو یدرك بیان الاسلام یحث على التزام الاعتدال فی جمیع الامور حتی فی العبادات ونهی عن التقصیر بحق العیال بذریعة التزاور مع الاصدقاء أو حضور المجالس.

وهنا یجدر بی ان اوصی اخوتي القائمين على المساجد والهیئات ان یختصروا اوقات المجالس فیها والاكتفاء بصلاة الجماعة وبعض الوقت لبيان الاحكام الشرعیة والمعارف الاسلامیة ودقائق لذكر اهل البیت (عليهم السلام) وهذا ما جرت علیه سیرة الرسول الاكرم (صلی الله علیه و آله) والأئمة الاطهار (عليهم السلام) فهم قد ربوا العظماء من الرجال والنساء بقلیل من الوقت وإيجاز فی البیان.

ان الاسفاف فی التعبد لا سیما فی المستحبات واطالة المجالس یقضي على نشاط المستمع ویؤدي تدريجياً إلى تنامي حالة التذمر فی نفسه من الامور الدینیة وهذا لا یخلف سوى الخسارة بالنسبة للمساجد والهیئات وكذلك للناس لا سیما ذوي القابلیات المحدودة.

على اية حال، المتقي الآداب فی جمیع مرافق الحیاة وبهذا فهو یساعد فی ترسیخ بناء الاسرة وكسب محبة الزوجة والاطفال.

اما الزوجة المتقية، فهي تحافظ على عفتها وطهارتها وتبادر إلى انجاز الاعمال المنزلية بكل شغف و شوق، وتمهد الارضية لازاحة ما يُثقل كاهل زوجها من متاعب اثناء عمله خارج المنزل، وتداري أطفالها بأفضل نحو، وتتعامل مع زوجها واطفالها وفقاً للاخلاق الاسلامية ولا تعقل عن عبادتها وتجعل من البيت روضة عامرة بالمحبة والصفاء والرأفة والحنان والحيوية والنشاط.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 42

وهي تطيع زوجها مستندة في ذلك الى القواعد والاصول الالهية وتلي رغباته المشروعة وتتجنب العصبية والغضب والتكبر وتتعامل مع أقارب زوجها برأفة وعطف واخلاق اسلامية، وإذا ما عاد زوجها من العمل فهي تهب لاستقباله عند الباب، وتودعه إذا غادر إلى محل عمله، وتدعوه ان لا يُدخل شيئاً إلى بيته إلا من حلالٍ مؤكدة قناعتهم بما يهبهم الله من الحلال وان قلّ، وعدم لجوئهم إلى الحرام وان لا يتجاوز الزوج حدود ما انزل الله متذرعاً بالزوجة والاطفال وتكاليف الحياة فيلوث حياتهم بالحرام.

والمرأة التي تتحلّى بالتقوى تتجنب التقليد الاعمى ولا تدع زوجها يئن تحت وطأة الضيق والاحراج من اجل مماشاة اقاربه أو اقاربها في طريقة الحياة.

مثل هذا الزوج وهذه الزوجة هما ممن يرضى الله تعالى عنهم، ويمثلون مصدر الخير ومثالاً بارزاً للانسان الرباني، وفي ظلّهما يُشيد البيت الذي يرتضيه الباري تعالى، وفي رحابه يترى مَنْ يرتضيه الحق جلّت قدرته من الذريّة.

على اية حال، ينبغي على الزوجين الانسجام فيما بينهما وفقاً لما تقرره المعارف الالهية والسنن الاسلامية والاحكام الفقهية، كما هو حال أولياء الله.

الكاسب المثالي

حدثني جدّي قائلاً: عندما كان السفر يتم بواسطة الحيوانات سافرت مع اصدقائي من خوانسار - وهي من ضواحي اصفهان - قاصداً زيارة الامام الرضا (عليه السلام) في مشهد، وكنت مكلفاً بشراء ما نحتاجه من سلع، وفي صباح أحد الايام ذهبت إلى أحد الحوانيت في مدينة دامغان للتبضع، فدعاني صاحبه إلى الداخل واخذ يرحب بي لكوني زائراً، وفي هذه الاثناء جاءه رجل ينوي الشراء وبكميات كبيرة فطلب منه صاحب المحل التوجه إلى المحل المقابل لشراء هذه

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 43

المواد، فذهب المشتري، فسألت صاحب المحل عن سبب امتناعه عن البيع فلديه ما يفوق الحاجة، فاجابني: رأيت صاحب ذلك المحل مغموماً اول الصبح فسألته عن السبب فاجابني اني مدينٌ واليوم موعد اداء الدين الا انني لم أبع شيئاً منذ الأمس ما يكفي لأداء الدين.

ولا قدرة لي ان أرى ما يكابده لذلك وجهت المشتري نحوه كي يتخلص من وطأة الدين إذ لا بدّ للمؤمن ان يشعر بما يعانيه اخوه المؤمن.

نعم يجب أن نشعر فيما بيننا بما يعاني بعضنا البعض، لا سيما الزوجين، إذ ينبغي أن تشعر المرأة بما يعاني الرجل ويشعر الرجل بما تعاني المرأة كي يعمر المنزل بالآداب الالهية والانسانية وتخرج منه ذرية توشحها الكرامة والرشاد.

فيا ايها الاخوة الاعزاء! عطّروا منازلكم بقراءة القرآن لا سيما اثناء وقت صلاة الصبح، فاصواتكم الملكوّية عند قراءة القرآن تداعب افئدة اطفالكم واسماعهم وتحثهم نحو العبادة وتلاوة القرآن وتصنع منهم منبعاً للخير والتقوى والكرامة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 45

«يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ»

النساء/ 28

3

أهداف الزواج في الاسلام

البيت الطاهر

يبدو من المستحيل المحافظة على الشاب ذكراً كان ام انثى بمنأى عن الفساد والافساد بدون الزواج، والعثور على شاب طاهر وعفيف يتورع عن ارتكاب الذنب وهو لم يتزوج بعد من بين الملايين من الرجال والنساء يعدّ قضية صعبة.

ولو وجدنا شاباً طاهراً نزيهاً في الظاهر والباطن وهو غير متزوج فيجب حينها القول انه من أولياء الله، وان اجتناب الذنب والتحصن من الرذيلة وعدم ارتكاب المعاصي والموبقات في حالة عدم الزواج هو عمل مَنْ تأسى بيوسف (عليه السلام).

ولا يخلو بيتٌ يسكنه رجلٌ أو امرأة دون زواج من الفساد، والرجل بلا زوجة والمرأة بلا زوج لابد أن يتعرضا للفساد وإن قلَّ ولمختلف المشاكل الروحية والعائلية والاجتماعية إذا ما تأججت غرائزهما واخذت تضغط عليهما بشدة.

فالزواج، هذه الحقيقة الالهية هي التي تذلل بعض المشاكل وتساعد في المحافظة على طهارة الشباب وعفتهم وتقواهم.

والبيت الذي يقوم بناؤه على زوجين يراعي كلٌ منهما حقوق الآخر هو البيت الذي تعمّره السلامة والامان.

ان منزل المسلم حيثما كان يجب أن يكون مظهراً لوحي الله ومحلاً يتجلى

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 48

فيه ذكره ومثال الرفعة والسمو والعظمة وثمرة لتسبيح الحق تعالى في الليل والنهار، يقول تعالى:

«فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» «1».

وهكذا بيت فيه مثل هذه الاوصاف هو بيتٌ مؤمنٌ تزدهر فيه طاعة الله وعبادته، قد حصل فيه الزواج وفقاً للأمر الالهي، ويلتزم فيه الزوجان بكافة الواجبات الالهية والانسانية.

اجل، ان القرآن الكريم يأمر بالزوج للتخفيف من المشاكل التي يعاني منها كلٌ من الرجل والمرأة، وليسلما من الفساد وليعملا بواسطة الحياة الزوجية والانسجام بينهما على جعل البيت مكاناً لذكر الله وتسبيحه.

ان الرجل والمرأة في اجواء مثل هذا البيت عبدان حقيقيان لله، وأولادهما ثمار الفضيلة، واعمالها وسلوكهما واخلاقهما مظهر للاداب الالهية وسنن الأنبياء الكرام ومنهجيتهم.

وحين تقترب المؤمنة بالمؤمن ويرى كلٌ منهما انه مكلفٌ بمراعاة الأوامر الالهية فإنهما يحافظان على اجواء الحياة الزوجية من المشاكل بوصفهما خليلين يعين احدهما الآخر، وصديقين شفيقين ورفيقي دربٍ ومنبعين للايمان وركيزتين للحب والمودة، وحينما تحصل مشكلة ما يبادران إلى حلها بسهولة وبساطةٍ ويعالجان الموقف بسلاح الصبر والحلم وسعة الصدر.

(1) - النور: 36.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 49

شر الناس

ان الانزوا والانعزال والابتعاد عن المصاحبة يؤدي إلى الكثير من المشاكل والكآبة وقسوة القلب يعدّ سبباً في اثاره التشنجات النفسية والعصبية ويورث امراضاً نفسية وبدنية.

والعزلة تجعل الانسان يغرق في بحر من الاوهام والخيال والافكار البعيدة عن المنطق والامراض الاخلاقية والنفسية، وتجلب له امواجاً من المشاكل على اختلاف انواعها.

قال النبي (صلى الله عليه و آله):

«أكثر أهل النار العزّاب».

وعنه أيضاً (صلى الله عليه و آله):

«شرار موتاكم العزّاب» «1».

وفي رواية اخرى عنه (صلى الله عليه و آله):

«رذّال موتاكم العزّاب» «2».

وقال في حديث آخر:

«شراركم عَزَابِكُم والعزّاب اخوان الشياطين» «3».

وفي موضع آخر قال (صلى الله عليه و آله):

«خيار امتي المتأهلون وشرار امتي العزّاب» «4».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«لو خرج العزّاب من موتاكم إلى الدنيا لتزوجوا».

وقال (صلى الله عليه و آله) في حديث آخر:

«لعن الله من لم يتزوج».

ان وصف الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) العازفين فن الزواج باهل النار والردال واخوان الشياطين والاشرار والملعونين إنما يأتي بسبب حتمية وقوعهم في الفساد والافساد والشيطنة والمعصية والموبقات، وبذلك يصبحون عاملاً في

(1) - البحار: 100/220 - 221.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 50

اثارة المضايقات لمجتمعهم ويتسببون بخلق مشكلات جمّة في كافة مرافق الحياة.

واستناداً إلى الآيات والروايات وما أثبتته تجارب الحياة فإن الزواج يكرّم الانسان ويرفعه ويخلصه من بواعث استحقاق العذاب الالهي ويحفظه من الرذيلة والانحدار ويحصّنه من الوقوع في شرك الشيطان، ويصون المرء من ان يصبح مصدراً للشر والفساد وبالتالي يتعرض لسخط الله ولعنته، وكل ذلك مدعاة لشيوع الاستقرار والطمأنينة والأمن والطهارة والتقوى والرخاء في شؤون الحياة وتخفيف اعبائها، ولهذا السبب اشار تعالى إلى العلّة من تشريع الزواج في كتابه الكريم قائلاً:

«يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ» «1».

تفتح القابليات

عندما يتزوج الشاب أو الشابة استجابة للفتوة واتباعاً لأمر الله وسنة الأنبياء، وينجيان من منزلق العذاب الالهي والشرور الباطني واحبايل الشيطان واللعنة الالهية - وكل ذلك مما يُبتلى به الرجل الاعزب والمرأة العزباء وينعمان بالطمأنينة الفكرية والامان النفسي في ظل الزواج ويتغلبان على المشكلات الناجمة عن حياة العزوبية ويتخلصان من المتاعب التي خلقتها حياة العزلة ويشقان طريقهما إلى جو ملكوتي الهي وتتوفر لهما الارضية للتفكير الصحيح والرؤية السمتقبلة ويخبو طغيان الشهوات والغرائز فلا شك في ان السبيل سيتفتح لنمو الطاقات الكامنة لديهم وتثمر دوحة الحياة ثماراً ومعطيات ونتائج ممتازة.

(1) - النساء: 28.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 51

وتشير صفحات التاريخ إلى ان الكثير من رجال العلم والعظماء وعلماء الاسلام قطعوا بعد الزواج مسيرة مئة عام في ليلة واحدة، وارتقوا في ظل الزواج الذي كان سبباً في استقرارهم وراحة بالهم إلى مقامات شامخة وعظيمة من العلم واشتهروا لدى العامة والخاصة بالعلم والتقوى والطهارة والكرامة والخدمة والعبادة.

نقرأ في الصفحة 95 من كتاب حياة آية الله البروجردي: في عام 1314 وكان عمره آنذاك 22 ربيعاً، كتب اليه والده كتاباً يستدعيه إلى بروجرد، وظن ان والده ينوي ايفاده إلى النجف الاشرف حيث كانت هناك أكبر حوزة علمية للشيعة، بيد أنه فوجيء عند وصوله واللقاء بوالده واقربائه بأنهم قد اعدوا له مقدمات الزواج، فتأثر وحزن، وحين لا حظ والده ذلك سألته عن السبب، فأجابه: كنت منكباً على طلب العلم بكل جدٍ وراحة بالٍ، اما الآن فاني اخشى ان يحول الزواج بين وبين هديي ويصدني عن مواصلة الطريق وبلوغ غايتي.

فقال له ابوه: اعلم يا بُني إنك ان عملت بما يأمرك والدك فإن هناك أملاً في أن يوفقك الله لنيل ما تطمح اليه من الرقي، وضع في بالك احتمال فشلك في تحقيق ما تصبو اليه من دراستك ان انت أهملت ما يتمناه ابوك رغم حديثك!!

فترك كلام أبيه أثراً طيباً في نفسه وزال كل ما لديه من شك، وبعد الزواج والمكوث قليلاً هناك عاد إلى اصفهان ليواصل الدراسة والتدريس في مختلف العلوم والفروع لمدة خمس سنوات اخرى.

وفي اصفهان وقّرت له زوجته الوفيّة اسباب الراحة والاستقرار، وكانت له بمثابة الصديق العطوف والمعين الشفيق والخادم الرصين والناصح الرؤوم ما جعله ينطلق نحو الرقي بشتى ألوانه وراح ينهل من العلوم على مدى تلك السنوات الخمس التي قضّاها في اصفهان إلى جانب تلك المرأة الكريمة،

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 52

وواصل دراسته بنشاط وجدّية إلى درجة انه كان يقضي بعض الليالي ساهراً حتى الصباح منهمكاً بالمطالعة، وكان «رحمه الله» يكرر بانه كان يهتم بحفظ القرآن الكريم اثناء اوقات فراغه فاستطاع خلال فترة وجوده في اصفهان حفظ القرآن من اوله إلى آخر سورة التوبة وواظب على حفظه حتى آخر عمره المبارك، واستمر في المواظبة على حفظ القرآن وتلاوته.

وكان العلامة الطباطبائي «رحمه الله» صاحب تفسير الميزان يرى ان جانباً مما بلغه من كمالٍ ورقيٍّ علمي ومعنوي مرهون لزوجته الكريمة.

نعم، ان الزواج يعد سبباً في الراحة والامان وقاعدة لتحقيق الكمال وتنامي القابليات.

السعي من أجل العيال عبادة

ان الزواج والعناية بالعيال يهب الانسان معطيات معنويةً عجيبةً بالاضافة إلى الآثار الدنيوية البناءة.

فالعمل والسعي لتأمين متطلبات المرأة والعيال يعد في نظر الشرع الاسلامي المقدس عبادة لا تضاهى تعدل في درجاتها الجهاد في سبيل الله، وقد روي عن المعصوم.

«والكالدّ على عياله من حلّ كالمجاهد في سبيل الله» «1».

ولما كان اداء حق الزوجة والأولاد والاهتمام بشؤونهم الروحية، ومراعاة حق الزوج من قبل الزوجة، وحق الأولاد من قبل الام يعد امراً صعباً ومضنياً وهو في حقيقته استجابة لما أمر الله به شأنه شأن الاهتمام بامورهم المادية فقد

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 53

عُدَّ عبادة وسبباً في الحصول على الاجر والثواب الاخروي.

ان تربية الذرية الصالحة واعداد الابناء اللائقين والمحسنين هو عملٌ عظيمٌ يؤدي إلى نيل رضوان الله جل وعلا.

ومن أهم الامور وافضل العبادات هو المحافظة على الدار وأهلها بعيداً عن الفساد والافساد وتوفير الارضية اللازمة لتكامل الزوجة والابناء وتربيتهم.

على اية حال، فالمجتمع هو ثمرة البيت، والبيت والاسرة هما المنطلق الذي منه النائب في البرلمان الوزير ورئيس الدولة وكوادر الشعب، والبيت وارباب البيوت هم المصدر الحقيقي في تربيتهم وتبلور شخصياتهم، والبيت كالارض، فإن كانت الارض بمعزل عن الحق والحقيقة فهي ارض جدداء قاحلة لا تثمر سنابلًا أو زهوراً، وإذا كانت مرتبطة بالحق والحقيقة فمن العقول والمنطقي ان نتوقع منها السنابل والزهور.

ان سعادة المرء أو شقاءه تنتقل اليه من ابويه بالدرجة الاولى، فاذا ما سعى الابوان لتحقيق سعادة ولدهما فإنهما بذلك يؤديان عبادة عظيمة وحينها سينهلان من معطيات الزواج إلى الابد، أما إذا اصبحا عامل شقاءٍ فإنهما لن ينتفعا من شجرة الزواج الطيبة بل سيسطان بايديهما مائدة خسراهما.

من هنا جاء في الروايات عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من سَعَدَ في بطن امه» ¹.

ليكن هدفكم من الزواج هدفاً سامياً

يجب ان يكون هدف الانسان من الزواج هدفاً معنوياً مقدساً وطاهراً،

وينبغي ان يقع الزواج طاعةً لما أمر الله به واتباعاً لسنن الأنبياء (عليهم السلام) وتوفير السعادة للزوج وتربية الأولاد تربية الهية صالحة.

على الزوجين ان يتأهبا عن طريق الزواج للدخول في عبادة كبرى، وان يستهدفا من زواجهما بلوغ رضى الله، ويعلما انهما يحملان أمانة الهية تتمثل بما يضمه صلب الرجل ورحم المرأة.

عليهما ان يعلما ان ولدهما بمثابة الامانة الالهية، وهو ضيف في صلب ابيه لفترة وجيزة ثم يحل ضيفاً في رحم الام لفترة تتراوح ما بين ستة إلى تسعة شهور، وخلال كلتا المرحلتين يكتسب بلا ارادة منه كل ما لدى الابوين من طبائع ومزايا وذلك من خلال ما وهبه الله من قوة استلام دقيقة.

يُروى ان رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كان يأذن احياناً للنساء الحوامل بالذهاب لمشاهدة مواقع القتال ضد الكفار كي يشاهدن صور الجهاد الرائعة والمبارزة بالسيف ويستمعن لما يردده المجاهدون من شعارات كي يقمن بتغذية ما في ارحامهن عن طريق السمع والبصر حتى يصبح الطفل وهو في رحم امه مخلوقاً ماهراً يتربى على الشجاعة والهمة العالية وينمو محاطاً بالنداء المللكوتي.

ألم تسمعوا ان النبي (صلى الله عليه و آله) امر بالصوم لمدة اربعين يوماً قبل تبلور وجود فاطمة (عليها السلام) في صلبه وفي الليلة الاخيرة افطر بطعام من الجنة ثم انتقلت نطفة تلك البضعة الكريمة إلى رحم الام؟!!

لا تكن العين هي الوسيط بينكم وبين الزواج، ولا تكن الشهوة الدليل الذي يقودكم نحو الزواج، ولا تكن الغاية من الزواج الحصول على المال والثروة والجاه عن طريق العائلة المقابلة، ولا يكن الغرض من هذا العمل الظفر بوجه جميل وظاهر خادع، فقد اثبتت هذه الامور لحد الآن سوء عاقبتها وضالة ثمارها.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 55

اجعلوا الله هو الغاية من الزواج وضعوا نصب اعينكم الجوانب المعنوية والعبادية والسعي لاداء حق الزوج وتربية الذرية الصالحة، وخلاصة القول نيل رضى الباري تعالى ليكون هذا الزواج ذا منافع ابدية وخالدة، ولتكن اللذة والمتعة والشهوة المحللة تابعة لهذه الغايات السامية كي تكتمل اللذة والمتعة ومن خلالها تنالون الاجر الاخروي.

فإن كان الزواج الهياً لا يؤول إلى الطلاق إذا ان الارتباط الالهي والمللكوتي دائمي وابدي.

ان مَنْ يَتَزَوَّجَ قَرِيبَةً لَوْجِهَ اللَّهِ يَرعى حق الزوج بكل وجوده ولا يصدر منه ادنى إذى تجاه شريك حياته.

والمحافظة على شخصية الزوج امام الأولاد والأقارب يعد واجباً شرعياً، كما ان احتقار الزوج للزوجة والزوجة للزوج يعتبر حراماً.

على الرجال والنساء من المسلمين التأسي بزواج أمير المؤمنين وفاطمة الزهرا (عليهما السلام)، ذلك الزواج الذي جرى قرية إلى الله وقد لوحظت فيه الغايات الالهية، فكانت ثمرة ذرية طاهرة ربانية، وفي روايات الشيعة جرى تأويل الآيات التالية إلى هذا الزواج الطاهر، إذ يقول تعالى:

«مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ».

فالمراد من البحرين، أمير المؤمنين، وفاطمة الزهراء، فهما بحران من المعرفة والبصيرة والحلم والصبر والايمان، والمراد من البرزخ هو رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ومعنى اللؤلؤ والمرجان الامامان الحسن والحسين (عليهما السلام) «1».

(1) - نور الثقلين: 5/ 191 ح 19.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 56

يجب ان يكون نظام الاسرة نظاماً اسلامياً واهياً بكل معنى الكلمة كي يستقطب رحمة الله سبحانه وفضله.

ان عدم اجتناب السنن الذميمة والعادات المنافية لاحكام الالهية، والاجواء الشيطانية والثقافة الجاهلية التي أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) باماتها بقوله:

«أُمِّتُ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَا سَنَّهَ الْإِسْلَامُ» «1».

يكشف عن ما في الوجه من قبائح وستكون الثمار التي تعطىها هذه الشجرة فاسدة.

نظام الاسرة في الغرب

ان نظام الاسرة في امريكا واوربا نظام خاطيء يفتقد للقاعدة والمضمون، وتقليده يعدّ عبثاً وتمهيداً لأن تنغمس الحياة في وحل الشقاء.

انهم لا يصبون من خلال الزواج إلى هدفٍ مقدس وطاهر، فالدليل الذي يأخذ بأيدي الرجل والمرأة عندهم هي الشهوة وارضاء الغرائز، ويندر لديهم الصالحون من الرجال والنساء، من هنا فإن الفساد ينهمر على امريكا واوربا كأنهمار مطر الربيع. وغالباً ما يتزوج الغربيون بعد قضاء وطراً من الفساد والعلاقات غير المشروعة، ثم يسلمون فلذات اكبادهم بعد الولادة مباشرة إلى دور الحضانة ليستلموهم بعد مدة فاقدن لعطف الاب وحنان الام مفتقرين للعواطف والمشاعر ويجلسونهم على موائد الفساد، عندها يُدخلونهم المدرسة لطبيّ مراحل التربية الظاهرية والتعرف على بعض المصطلحات، وفي الثامنة عشر من العمر يبعدهم

(1) - البحار: 128 / 77 ح 32 «ب» 6.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 57

عنهم ويتركونهم على ذمة البيئة والمجتمع!

وإذا ما علّموا ابناءهم الاخلاق - سواء في البيت أو المدرسة - فانهم يعلمونهم الاخلاق على الطريقة الجنتلمانية والاخلاق الاقتصادية والمنافع المادية دون الاهتمام بجذور الباطن وحقيقته، فهم عاجزون عن تربية الانسان تربيةً مقبولة.

الا ترون انهم حين يننون مجتمعاً وقيمون حكماً، يكون مجتمعهم مصدراً للفساد وحكومتهم مصدراً لاستعمار المستضعفين في الارض.

ان الجرائم التي ارتكبها حريقو البيوتات والمدارس والجامعات الغربية مما لا يمكن تلافيه إلى يوم القيامة.

وإذا ما اتصفوا بالوقار والهدوء والرصانة في بعض الاحيان، وظهروا ملتزمين بالآداب فالأنهم لم يعثروا على فريسة ولم يقع نظرهم على لقمة دسمةٍ وسائغة، وقصتهم تشبه قصة الذي قال لصديق له انه ادب قطته وهذبها بحيث يعطيها شمعةً تحملها قرب مائدة تعجّ بانواع الطعام ليستمتع الضيوف بما في تلك المائدة على ضوء تلك الشمعة، فاجابه صديقه: لا يمكن الوثوق بهذه الخصلة لدى القطّة وإذا دعوتني سوف اثبت لك ذلك عند المائدة، فدعاه فنظر إلى القطّة وهي واقفة تمسك بالشمعة لاضاءة الغرفة للضيف لا طمع لها في الطعام ولا تنوي الهجوم على المائدة، وبينما هم يتناولون الطعام اخرج الضيف فاراً من

جیه ووضعه وسط المائدة فحاول الفار الهروب وهنا القت القطة بالشمعة جانباً وقفزت كالاسد الغاضب إلى وسط المائدة واطاحت بتنظيم المائدة من أجل الإمساك بالفار فعكّرت الاجواء على صاحب الدار وضيغه!

أجل، ان التربية في أوروبا والغرب كترية القطة، فهم مؤدبون ووادعون ما داموا لم يعثروا على طعامهم الخاص وما ان تقع أعينهم على الذهب والنفط واما

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 58

إلى ذلك من معادن الشعوب الضعيفة حتى يلقوا مصباح التربية جانباً من أجل نهب حقوق الآخرين ويهجمون كالحیوانات المفترسة لابتلاع جميع الاعتبارات المادية والمعنوية للشعوب الضعيفة ويعبرون انهاراً من دماء الابرياء لتحقيق مآربهم المادية.

ان تغشي الفساد وغلبة النزوات المحرمة ورذائل الأخلاق والقتل والنهب والفحشاء والمنكرات بين شعوب الغرب هو نتيجة للدمار الذي ضرب نظام البيت والاسرة.

لو كانت البيوت في اوربا وامريكا قد تمتعت بالسو وزخرت بذكر الله وبيوتاً يُسبَح الله فيها، لكانت ثمارها اناساً يتصفون بالسمو والكرامة والرشاد مفعمين بالعاطفة متخلقين باخلاق الله، غير ان ثمارها قد تعفنت واصبحت كريهة الطعم والرائحة بسبب ابتعادها عن الحق والحقيقة، ومثل هذا النظام المنهار ليس جديراً ان يكون قدوةً، ومن يتبعهم سيصبح اسوء منهم لا محالة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 59

قال الصادق (عليه السلام): «أكثر الخير في النساء»

وسائل الشيعة: 11 / 14

لقد تعرضت الامم والشعوب للانحراف الفكري على صعيد الامور الكونية والانسانية نتيجة ابتعادها عن التعاليم الالهية التي كانت تُبلّغ عن طريق الكتب السماوية على لسان الانبياء، وذلك اثر ابتلائها بحالة الكبر والعصبية، وغالباً ما سلكت طريقاً مظلماً عند تقييمها للكون وما فيه من كائنات، وطرحت مسائل بعيدة عن الحقيقة وقضايا مخالفة للواقع، فعاشت حياة قائمة على أساس ذلك الفهم الخاطيء والتقييم الظالم، وبذلك فقد مارسوا ظلماً كبيراً بحق انفسهم وبحق الآخرين وخطّوا تاريخ الحياة على صفحات سوداء.

وكان تقييمهم للمرأة أحد تلك التقييمات البعيدة عن الحقيقة، فقد كان أمراً يتعارض مع الاخلاق والانسانية ومسيره تتناقض مع الحق والحقيقة.

ومن خلال مطالعتي للكتب التي صُنفت في هذا المجال سواء منها التي كتبت في الغرب أو الشرق استنتجت ان الاقوام والشعوب التي ابتعدت عن الحق وانفصلت عن الوحي وانغمست في الاهواء النفسية والافكار الخاطئة في الشرق او الغرب كانت تحكم على المرأة بعشرة احكام ظالمة ومجانبة لمنطق العقل ولغة الانسانية، وهذه الاحكام هي:

1- ان المرأة كائن ضعيف وعاجز بتمام معنى الكلمة وعلى هذا الاساس يجب أن تكون تابعة ومطبعة للرجل في كافة النواحي دون اعتراض، ولا يحق لها التدخل في أي شيء حتى في اطار بيتها الشخصي.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 62

2- أنّها كائن ذو روح شيطانية؛ وهي على ضوء هذا المعيار إما ان تخرج عن حدود الانسانية أو تُقيّم بمستوى يشترك بين الانسان والحيوان، وعليه فلا قيمة لها ولا تستحق الاحترام ولا يمكن تصور اي لون من الوان الاعتبار لها.

3- لا يحق لها التملك والتصرف بما يتسنى لها تملكه، وبوسعها التملك في حالة رأى الرجل المصلحة في ذلك، وهذا لا يعني تملكها ما تشاء.

4- لا تحصل على ما يتركه الموروثون من ارث، بل هي من الارث أيضاً حيث تورث بعد وفاة الأب أو الزوج.

5- لا نصيب لها من التعبد وولوج الجوانب المعنوية لافتقاد عبادتها لاية قيمة، ولا نصيب لها من الأجر لانها تعد كائناً في غاية الضعف من الناحية العقلية.

- 6- لا يحق لها الانتساب إلى الاب أو الابن من الناحية القانونية والحقوقية ولا يربطها معها الا الدم، أي أنّها تستطيع الانتساب إلى ابيها أو ابنها من خلال اشتراكها معها في الدم فقط، لا لكونها بنتاً للاب واما للابن!!
- 7- إذا ما تزوجت فإنّ أولادها لا يعدون احفاداً لابيها، فالغربة هي التي تحكم العلاقة بين والد المرأة وأبنائها، والنسبة تنحصر في أبناء الذكور فقط.
- 8- ثمة تباين تام بينها وبين الرجل في قضية الموت، فالرجل يخلد بعد الموت والمرأة تغنى بعد انتهاء عمرها.
- 9- حكمها حكم الاشياء في التصرف، وعلى هذا كما يحق للرجل التصرف بأمواله وثروته يحق له التصرف بالمرأة، فهو يستطيع اعارتها أو اجارتها ووهبها وبيعها وطردها وبالتالي قتلها.
- 10- أنّها بمثابة سلعة للتلذذ، فهي مخلوقة لقضاء حاجة الرجل فقط، والرجل لا يعرف قانوناً يحدد تمتعه بها والاستفادة منها، وفي الفقرة العاشرة افترطت اوربا وامريكا بحق المرأة، بما يفوق التصور، فالمرأة في أغلب بلاد

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 63

الغرب تمثل سلعةً توظف في دور السينما والتلفاز والفيديو والاقمار الصناعية والمجلات على اختلاف انواعها لغرض استقطاب المزيد من الزبائن والحصول على المزيد من العوائد المالية!!

ردّ الاسلام على الانحرافات الفكرية تجاه المرأة

ان الاسلام دين الهي وثقافة تقوم على الفطرة، ومنسجمة مع كافة شؤون الانسان والانسانية، وقد شرّع الله تعالى الأحكام والقوانين الاسلامية بما ينسجم وكيان الانسان واعتباره ووجوده فهو الذي بنى الانسان ويعلم ماهيته وظاهره وباطنه وهداه إلى الحقائق التي يترتب عليه بلوغها.

وفيما يلي رد الاسلام على الابطال العشرة التي قيلت حول المرأة على مدى التاريخ ورسخت في أذهان الشعوب وتبلورت في اطار ثقافي:

- 1- ان خلق المرأة وكيفية صنعها شبيه بالرجل وهي مصداق تام للحقائق التي ارادها الله من خلقها وهي تحمل بكل وجودها حقيقة الانسانية، وباختصار فهي انسان بكل ما في الانسان من اعتبار، قال تعالى:

«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» «1».

وقال تعالى أيضاً:

«صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» «2».

وقال سبحانه:

«الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» «3».

(1) - التين: 4.

(2) - النمل: 88.

(3) - السجدة: 7.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 64

2- لقد اودعت في المرأة روح الهية وانسانية محضة، وهي الروح التي نفخت فيها من قبل الله سبحانه، وبسبب هذه الروح منحها ميزة خاصة وجعلها مصدراً لتجلي الكمالات، وهذه الروح لا تختلف عن روح الرجل، وهوية مماثلة لهوية الرجل وجوهرة توازي جوهرة الرجل قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» «1».

وقوله تعالى:

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» «2».

وقد روي في تفسير العياشي عن الامام الباقر عليه السلام ما مفاده: ان الله خلق حواء من ما فضل من طينة آدم.

مثل هذه الآيات عدم وجود نقص أو خلل في خلقه المرأة ظاهرياً وباطنيّاً، وروحها هي الروح التي نفخت فيها من قبل الله تعالى، والمرأة مخلوق كامل و مُتقن في أحسن تقويم وتجسيد لقوله تعالى «أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» وبوسعها الاستفادة من قابلياتها

وفطرته وروحها وعقلها في ظل الهداية الالهية لبلوغ اسمى المراتب المعنوية، كما بوسعها تجاهل كافة الحقائق والهبوط إلى اسفل السافلين.

3- للمرأة حق المالكية، وحيازة ما تحصل عليه عن طريق الاعمال المشروعة والمقبولة التي تؤديها، كما أنّها تماثل الرجل في مسألة مكليتها وتصرفها فيما يخضع لمالكيتها دون نقص، يقول تعالى:

(1) - النساء: 1.

(2) - الروم: 21.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 65

«وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» 1.

أجل، ان الانسان مالك لجهده وسعيه وعمله وحركته، وهذه حقيقة منحها الله لكل انسان رجلاً كان أم امرأة في الدنيا والآخرة، قال عزّ من قائل:

«لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا» 2.

روي عن الامام الصادق (عليه السلام):

«السَّرَاقُ ثَلَاثَةٌ: مَعَ الزَّكَاةِ، وَمُسْتَحِلُّ مَهْوَرِ النِّسَاءِ، وَكَذَلِكَ مَنْ اسْتَدَانَ وَلَمْ يَنْوَ قِضَاءَهُ» 3.

. قال تعالى:

«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ» 4.

وعد المهر والوصية بمصاريف المرأة بعد موت الزوج، فقد اوصى تعالى الرجال فيما بعد الطلاق أيضاً فقال:

«وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» 5.

4- المرأة ترث أبيها وامها وزوجها وأولادها: يقول تعالى:

«كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ» «6».

وقال تعالى:

(1) - النجم: 39.

(2) - البقرة: 229.

(3) - البقرة: 349 / 100.

(4) - البقرة: 24.

(5) - البقرة: 241.

(6) - البقرة: 180.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 66

«لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا» «1».

ان هذه الآية الكريمة تريد محاربة العادات والتقاليد الخاطئة التي كانت تحرم النساء والاطفال من حقوقهم المسلّم بها، وقد كان هذا التقليد الجائر سائداً لدى العرب فجاءت هذه الآية فابطلته.

5- عبادة المرأة عند الله كعبادة الرجل فهي تحظى بالاهمية ونتيجتها الجنة والأجر الالهي، والثواب المستحق نتيجة العبادة لا ينحصر بالرجال فالفضل والرحمة الالهية فوز خالده لعباده رجالاً كانوا ام نساء. تقرأ في القرآن الكريم:

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «2».

يستفاد من صريح الآية الكريمة، ان إيمان المرء وعمله الصالح الذي يعتبر ثمرة إيمانه، هو المعيار الوحيد في ميزان الله وليس هناك قيد أو شرط آخر لبلوغ الحياة الطيبة والاجر الاخروي، لا من حيث الذكورة والانوثة ولا من حيث العمر ولا من حيث العرق أو القبيلة أو القومية ولا من حيث المقام والمرتبة الظاهرية.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم» «3»

. فاذا كانت المرأة من أهل التعبد لله والايمان به ومعرفته فإنها ستنال حياة

(1) - النساء: 7.

(2) - النحل: 97.

(3) - المواعظ العددية: 201.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 67

طيبة وأجرًا عظيمًا من لدن الحق تعالى، اما إذا اتجهت نحو الفساد والاحاد كالفسقة من الرجال فستكون ممن يستحق العذاب الأبدى.

لقد استحققت امرأتا نوح ولوط العذاب والخلود في جهنم لكفرهما بدين الله وايغالهن في انكاره، وقد ورد في القرآن:

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَ امْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ» «1».

ان سورة مريم وسورة الدهر والآيات ذات الصلة بزوجة فرعون كلها تثبت ان المرأة تخطى بمنزلة رفيعة في الجانب العبادي، وفي الآخرة لها الاجر العظيم والثواب الجزيل، وكل ذلك يمثل صفة قوية في وجه ثرائه التاريخ الذين يزعمون افتقاد عبادة المرأة للمنزلة عند الله والاديان.

6- المرأة بنت أبيها وام أبنائها ولا يقوى أحدٌ على سلب هذا النسب عنها حيث يعتبر سلب هذا النسب اجحافاً بحقها وعملاً خبانياً، والقرآن الكريم يعتبر البنت كالولد أبناء حقيقين للابوين، وإذا ما تزوجت وانجبت ذريةً فهي امهم.

وقد اعرّب القرآن عن سخطه على العرب لما كانوا يرتكبونه من وأد البنات، ونهى نهيّاً مبرماً عن ذلك العمل القبيح قائلاً:

«وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ» «2».

تلاحظون ان الآية الكريمة عبّرت عن البنت بأنها ولدٌ، أو ما نقرؤه في الآية ذات العلاقة بالارث حيث يقول تعالى:

(1) - التحريم: 10.

(2) - الانعام: 151.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 68

«يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» «1».

بصريح الآية الكريمة عبّر تعالى عن البنت بأنها ولدٌ، وهذا يمثل رداً قاطعاً على مزوري التاريخ.

اما بشأن كونهن امهات أبنائهن فيقول تعالى:

«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» «2»

وفيما يتعلق بقصة موسى (عليه السلام) يقول تعالى:

«وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ» «3»

ويقول رسول الله (صلى الله عليه و آله) بحق فاطمة (عليه السلام):

«فاطمة بضعة مني» «4».

ويقول (صلى الله عليه و آله) في رواية اخرى:

«أولادنا أكبادنا» «5».

7- أما أولاد المرأة فهم احفاد ابيها بلا شك، والاهتمام الذي كان يوليه الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) للحسن والحسين (عليهما السلام) يعتبر دليلاً على بطلان ثروة الجاهلين الذين كانوا يزعمون ان أولاد المرأة ليسوا احفاد أبيها.

وقد أكد الفقه الاسلامي على ارتباط من كانت امهم علوية بالرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله)، بل ان مرجع الشيعة الكبير السيد المرتضى كان قد افق بجواز اعطاء الخمس لمن ينتسبون إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن طريق الأم.

8- المرأة لا تفنى بالموت، بل لها كما للرج دار بقاء و حياة خالدة، وهي

(1) - النساء: 11.

(2) - البقرة: 233.

(3) - القصص: 7.

(4) - البهار: 23 / 43.

(5) - سفينة البحار: 580 / 8.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 69

تخلد في الجنان إذا كانت عابدة لله تعالى، وتخلد في العذاب إذا ما نأت بنفسها عن عبادته، وتوضح هذا المعنى بصراحة أكثر من الف آية تناولت الآخرة.

9- المرأة ليست شيئاً، بل هي بصريح آيات كتاب الله مخلوق عاقل ذو ارادة وهي على حدٍ سواء مع الرجل في جوهر الخلقة ومصدر الطبيعة، وتمتع بكافة الخصائص والمزايا الانسانية والالهية.

10- المرأة ليست شهوة بل هي شريك الرجل وأحد اسباب بقاء النوع، وتمثل نصف المجتمع، والاقتران بها يعد عبادة إذا ما كان بنية صالحة، والتعامل الصحيح والسليم معها يعتبر محفزاً للتزود للآخرة ونيل السلامة في الحياة الاخرية.

يقول تعالى:

«نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتَّيْتُمْ وَ قَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» **«1»**

وقد اراد سبحانه من خلال التعبير ب «حَرْث» ان يجسد ضرورة وجود المرأة في المجتمع الانساني، وان المرأة ليست اداة لاطفاء الشهوة، بل هي قاعدة صالحة وأداة طاهرة للمحافظة على حياة النوع البشري.

ويعتبر هذا الكلام تحذيراً جاداً للذين ينظرون للانثى على انها دمية ووسيلة للهو.

وقوله تعالى: «وَ قَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ» أي اعدوا لآخرتكم زاداً من خلال ممارسة الجماع مع المرأة وهو اشارة إلى حقيقة ان اللذة واشباع الشهوة لا تعتبر الهدف المنشود من الجماع، ويترتب على المؤمنين الاستفادة من هذا العمل

(1) - البقرة: 223.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 70

لغرض تربية الذرية الصالحة، واعداد هذا العمل المقدس على انه ذخيرة معنوية لغدهم، من هنا فإن القرآن يوجه تحذيره بضرورة مراعاة قواعد اختيار الزوجة لتكون نتيجة ذلك تربية أولادٍ صالحين واعداد هذه الذخيرة الاجتماعية والانسانية العظيمة.

ونظراً لأهمية موضوع البحث الوارد في مطلع الآية وهو الواقعة الجنسية وهو يتحدث عن أكثر غرائز الإنسان جاذبية وهي الغريزة الجنسية فقد دعا سبحانه الانسان من خلال عبارة «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» إلى الدقة في عملية الواقعة والالتزام بالتعاليم الالهية، وفي آخر الآية يلفت النظر إلى انهم سيسرعون يوم القيامة إلى لقاء الله وتلقف نتائج اعمالهم، وفي القسم الاخير من الآية بشّر تعالى المؤمنين الذين يذعنون لهذه التعاليم التي تصب في صالحهم على الصعيدين المادي والمعنوي من حياتهم، فقال:

«وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» **«1»**.

وفي رواية مهمة عن الامام الصادق (عليه السلام) يبين فيها اهمية وعظمة هذا الكيان المفعم بالحبّة.

ان الله عزوجل خلق آدم ثم ابتدع له حواء فجعلها في موضع الفقرة التي بين وركيه وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فقال آدم: يا رب ما هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر إليه؟ فقال الله: يا آدم هذه امتي حواء أفتحب أن تكون معك تؤنسك وتحدثك وتكون تبعاً لامرك؟ فقال: نعم يا رب ولك بذلك عليّ الحمد والشكر ما بقيت **«2»**.

نعم، ان المرأة الصالحة والزوجة الوفية، نعمة الهية تستلزم شكر الله وحمده

(1) - تفسیر نمونه: 97 / 1.

(2) - الوسائل: 2 / 14.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 71

إلى آخر العمر، يقول الامام الصادق (عليه السلام):

«أكثر الخير في النساء» 1.

أما رواية عجيبة حيث اعتبر الامام (عليه السلام) المرأة منبعاً لأكثر الخير، نعم، فالزواج من المرأة حفظاً لنصف الدين، وإداء حقوقها عبادة، وحبها طاعة لله تعالى، والظفر بولدٍ صالحٍ منها زادٌ للآخرة، وخدمتها مدعاة لرضى الله، وكما يعبر رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«الجنة تحت أقدام الامهات»

، وذلك هو الخير الذي عبر عنه الامام الصادق (عليه السلام).

انني ادعو الشباب الأعزاء الذن يعتزمون الزواج أو قد تزوجوا، وكذلك أدعو المؤمنين إلى الاهتمام بهذه الحقائق الالهية حول المرأة، وان يتورعوا عن اجحاف حقوقها ويقدرُوا حياتهم مع هذه الجوهرة النفيسة، واوصي الفتيات اللواتي يعتز من الزواج أو اللواتي تزوجن وكذلك ادعو سائر النساء إلى معرفة قدرهن من خلال ادراك هذه الامور وليشكرن الله على انوثتهن ويكنّ زوجات لائقات لأزواجهن استناداً إلى هدي القرآن واحاديث النبي الكريم (صلى الله عليه و آله) والأئمة الاطهار (عليهم السلام) ويستفدن من عواطفهن ومشاعرهن في مجال الانوثة والحياة الزوجية والامومة، ويراعين الاوامر الالهية في جميع مرافق الحياة، كي ينعمن ببيتٍ واسرةٍ صالحةٍ وأولادٍ صالحين ويعشن حياةً ملؤها السعادة، وينلن عن هذا الطريق رضى الله، ويعطرن الحياة بالصفاء والمحبة والنور والجمال من خلال اعمالهن وسلوكهن واخلاقهن وتصرفاتهن.

(1) - الوسائل: 11 / 14.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 72

نظرة اخرى لحياة المرأة ومكانتها في التاريخ

ان ما تعرضت له المرأة على ايدي الجهلة على مر التاريخ امر يثير الدهشة، فالمرأة بنظر من كانوا يعيشون بعيداً عن منطق الحق ونور الوحي كانت بمثابة اداة ووسيلة لارضاء غرائز الرجل، ويعتبرونها سبباً في اثاره شهواته.

وكانوا يرون خطورة تعلمها القراءة والكتابة، ولا يسمحون لها بالخروج من الدار لقضاء الحاجات الحياتية وزيارة الارحام، ويحددون حياتها بين جدران المنزل، ويعدونها فاقدة للاختيار ازاء الرجل الذي يعتبرونه فعلاً لما يريد.

ففي المناطق المسيحية التي انحرف فيها الناس 180 درجة عن الديانة المسيحية كانوا يقولون: يجب كُفُّ فم المرأة كمائكم فم الكلب، وكانوا يشككون في روح المرأة هل هي روح بشرية ام حيوانية؟!

وكانت المرأة في افريقيا تعامل، كالبضاعة والثروة ولا يرون لها قيمة أكثر من قيمة البقرة أو رأس الغنم، والاغنى لديهم مَنْ تحت تصرفه أكثر عدد من النساء، ثم ان بيع المرأة وشراءها واستخدامها لحراثة الارض كان عملاً متعارفاً وعادياً.

وكانت النساء في كلدة وبابل تباع كسائر السلع، ويقام في كلِّ عامٍ سوقٌ لهذا الغرض حيث تعرض البنات ممن بلغن سنَّ الزواج انفسهن للبيع.

وفي الهند كانوا يزوجون الفتاة وهي في الخامسة من عمرها، ولا يرون لها حقاً، وكانوا يعتبرون حياة المرأة مرهونة بحياة الرجل فعندما يموت الرجل يحرقونها معه، وليس هنالك مخلوقٌ في نظرهم اسوء من الارملة.

وفي عصرنا الراهن تكتب الصحف ان الكثير من الهندوس يقتلون بناثمهم وهن في سنَّ الطفولة خشية عدم القدرة على توفير اثاث الزواج لهن.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 73

في الصين وهضبة التبت لم يكن للنساء حق سوى العمل في اطار المنزل، وكانوا يقيدون الاناث بقوالب حديدية بعد الولاة لاضعاف قدرتهن على المشي ثم يفصلون تلك القوالب عن اقدامهن عند بلوغهن الخامسة عشر!

وفي اليونان التي كانت مركزاً للعلم والفلسفة والحكمة، كان انجاب المرأة للانثى يعد جرمًا، وإذا ما انجبت انثى لمرتين فإنها تحكم وتجبر على دفع غرامة، وإذا ماكررت ذلك ثالثة فإنها تحكم بالاعدام!

اما في الجزيرة العربية فقد كان دفن البنات وهن احياء امراً عادياً وبسيطاً كما نوه اليه القرآن الكريم:

«وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» (1).

هذا بعض ما تعرضت له المرأة من جرائم على أيدي الجاهلين والحمقى، وقد وردت تفاصيل ذلك في الكتب التي تتناول حياة المرأة وبامكانكم الرجوع اليها.

لقد اطلعتم على رأي الدين الاسلامي الحنيف بشأن المرأة من خلال النقاط العشر التي طرحت آنفاً، واستناداً إلى ما ورد في القرآن والروايات من تعابير بحق المرأة من قبيل:

ام: مصدر ومنبع كل شيء «2» حرث: مبعث بقاع النوع «3».

لباس: غطاء الحياة «4».

(1) - النحل: 58- 59.

(2) - القصص: 7.

(3) - البقرة: 223.

(4) - البقرة: 187.

تسکین: سبب السکينة «1».

ریحانة: باقة ورد ظریفه «2».

نعمة: رحمة الله «3».

یتعین علی الرجال والشباب مَنْ تزوج منهم أو الذين يعتزّمون الزواج ایلاء المزیّد من الاهتمام بالمکانة المعنویة والآثار الوجودیة لهذا المخلوق الجمیل ذی المنافع الثرة، ولیعلموا ان انبیاء الله والاولیاء والعلماء والعارفین والحکماء والکتاب والمراجع والصالحین من عباد الله قد خرجوا من احضان الطاهرة إلى دائرة الوجود، وهنّ منبع کل هذا الخیر والبركة التي تعم حياة البشر.

وعلی الآباء والامهات التشدید أكثر فأكثر من اجل تبلور الکمال فی نفوس بناتهم، والسعی إلى حد التضحیة لتربیتهن تربية الهیة وانسانیة، وعلی الأزواج اداء حقوقهن بمنتهی الرصانة والادب حتی تنهیا احضانهن فی بیوت آبائهن أو فی ظل رعاية الأزواج لحقوقهن لتربية جیل صالح. وبذلك یتّم رفد المجتمع البشري معنوياً وعلی افضل نحو.

ألم یولد الامام الثاني عشر، ناشر رایة العدل علی العالمین فی الحضر الطاهر لامرأة كانت تعتنق المسیحیة وقعت اسیرة فی الحرب ثم دخلت بیت الامام الهادي (علیه السلام) وتلقت التربية الالهیة من قبله ومن السیدة حکیمة؟

هكذا هی المرأة، فهي ینبوع من الکمال والحقائق الکامنة التي تتفجر حین یشرق علیها نور هداية الوحي وتخضع لتربية معلم یتصف بالصلاح، وتصبح مصدراً لمعطیات خالدة ومناهل دائمیة.

(1) - الروم: 21.

(2) - الروایات الواردة فی الوسائل فی باب الأولاد.

(3) - نفس المصدر.

ان احتقار المرأة والتعرض لشخصيتها وتقييدها بامورٍ تخرج عن اطار التعاليم الاسلامية، وزجرها ومنعها من زيارة الوالدين والاقارب والتعايش معها بعنفٍ وحدة ونقل متاعب العمل ومشاكله إلى البيت وعدم تلبية حاجاتها لا سيما غرائزها الجنسية، كل ذلك مما يرفضه الدين وتعتبر اعمالاً قبيحة وظلماً فاحشاً.

ولو اردتم بناء الحياة على اساس الحب والمودة فعليكم احترام شخصية المرأة، والتعبير لها عن محبتكم ومودتكم، واعانتها في اعمال البيت، وتجنب اذائها، والتجاوز عن بعض الاخطاء الناجمة عن الاعمال اليومية والالتعاب التي تواجهها وطبيعة تكوينها، حتى تتذوقوا حلاوة الحياة، وبهذا تكونون قد عبدتم الله سبحانه عبادة لا تضاهى.

المرأة تمثل مصدر الخير وبنوعه وحرث الانسانية، وهي لباسكم في الدنيا ومدعاة الراحة وهي الريحانة التي تزين حديقة الوجود، وهي نعمة الله.

لقد قرن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حب المرأة إلى جانب حب الطيب والصلاة، فقال (صلى الله عليه و آله):

«حَبِّ اليّ من الدنيا النساء والطيب وقرّة عيني الصلاة» «1»

. وإذا ما ادى المرء حقوق المرأة واحترم شخصيتها، وظفر منها بولدٍ صالحٍ فإنّ ملف عمله لا ينقطع حتى بعد موته، بل ينعم بما يتمتع به ولده من صلاح وطهارة.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث: من صدقةٍ جارية، وعلمٍ يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» «2»

. فاعرفوا ايها الآباء والامهات قدر البنت، وقَدِّروا ايها الرجال زوجاتكم الطاهرات الصالحات، فالبنت والزوجة غدير خيرٍ لدنيا الانسان وآخرته.

(1) - البحار: 218 / 103.

(2) - المواعظ العددية: 138.

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»

البحار: 217 / 77

5

استقلال الرجل والمرأة في الاسلام

استقلال الانسان وحرية

ان خلق الانسان يتركز على تحرر الروح والاستقلال في شؤون الحياة والحرية في الاختيار، فلا يحق لأحد استعباد الانسان واسترقاقه وتسخير رهنه لما يراه.

وسلب الحرية والاستقلال والاختيار من اي انسان يعد ذنباً كبيراً وخيانة عظمى، وقد عُجنت الحرية والاختيار والاستقلال مع وجود الانسان، وخلقت مع فطرة الانسان وطبيعته، فالحرية والاستقلال من أعظم النعم التي من الله بها على الانسان واشرف مناهل الكمال وارتقاء مدارج السمو ظاهرياً وباطنياً.

والاجواء التي تتسم بالحرية هي أفضل الاجواء، والظروف التي تتوفر فيها حرية الاختيار والانعقاد هي من أروع الظروف بالنسبة للانسان.

وهذا الجانب يمثل اهم الدوافع في مقارعة الاسلام للظلم، اذ ان الاسلام قد أعلن حرباً ضارية ضد من يشيد كيانه على اساس استعماري واسغالي ويحاول استعباد البشر الذين خلَقوا احراراً، وقد انصبت التعاليم الاسلامية في مسألة الجهاد من أجل تحطيم عروش الظلم والظالمين الذين يتجاوزون على الحرية والاستقلال.

ان جميع ما لحق بالبشرية من دمار على مر التاريخ انما هو نتيجة لسلب الحريات والتجاوز على حرية البشر واستقلالهم.

وان الخضوع للاستبداد والقوة وارتضاء الظلم وهدر الحرية يعتبر من اعظم

الخطايا وسبباً في الحرمان من رحمة الحق تعالى وتعريض المصالح إلى الخطر بجانبها المادي والمعنوي.

ومن الواجب المحافظة على الحرية والارادة وحق الاختيار التي وهبها الله سبحانه للانسان في سبيل كماله وتفتح قابلياته، ويتعين الدفاع عنها إذا ما تعرضت للاخطار حتى وان كلف ذلك التضحية بالنفس.

قصة عن الحرية

ورد في كتب التاريخ: ان يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحج فبعث الى رجل من قريش فأتاه، فقال له يزيد: اتقرّر لي انك عبدٌ لي ان شئتُ بعثتُك وان شئتُ استرققتُك؟ فقال له الرجل: والله يا يزيد ما أنت باكرم مني في قريش حسباً ولا كان ابوك افضل من ابي في الجاهلية والاسلام، وما انت بافضل مني في الدين ولا بخير مني فكيف أقر لك بما سألت؟

فقال له يزيد: ان لم تقرّر لي والله قتلتك، فقال له الرجل: ليس قتلك إياي باعظم من قتلك الحسين بن علي (عليهما السلام)، ابن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأمر به فقتل «1».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أيها الناس ان آدم لم يلد عبداً ولا أمة وان الناس كلهم احراراً» «2».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً» «3».

وينبغي الالتفات إلى ان المراد من الحرية هو تحرر الانسان من عبودية أبناء جلدته والشهوات والنزعات المنحرفة والانحرافات الاخلاقية.

(1) - روضة الكافي: 313.

(2) - ميزان الحكمة: 351 / 2.

(3) - البحار: 214 / 77.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 81

عندما يأتي الانسان إلى الدنيا فهو يدخلها طاهراً مطهراً بمثابة الجوهرة النفسية، مخلوقاً متحرراً من عبودية الغير، كريم النفس، شريف الكيان، وباختصار منعقداً من الرذائل والموبقات مالكاً للارادة والاختيار، وقد جاءت الهداية الالهية عن طريق العقل والفترة والانباء وما ورد في القرآن الكريم وسيرة الائمة وجهود العلماء والحكماء لدفع الانسان من أجل الاستفادة من هذه الحرية والارادة والاختيار وبحسن الانتفاع من حريته في ظل هذه اللطاف والرعاية الالهية، ويبادر إلى اختيار ما حُسن من الامور لينال من خلال هذا السبيل سعادة الدنيا والآخرة.

وإذا ما غفل الانسان عن ذلك وتنكر للهداية الالهية فلا شك في أنه سيفقد ما بحوزته من جوهرة الحرية والارادة وحق الاختيار في مواجهة الفراغة والطواغيت ويستسلم ازاء الحرص والتكبر والحسد والغرائز والنزعات ويتحول إلى عبد لدنياه وللاخرين ولشهوته وغرائزه ويقع اسيراً للطمع والبخل ولن ينتهل من منهل الكرامة والسعادة ولا ينعم بخير الدنيا والآخرة. ان الذين يتشبثون بكل فعلٍ منافٍ للشرع وينغمسون بالمعاصي والذنوب ويطيعون ما هبَّ ودبَّ من البشر ويصورون الطيش والانفلات حرية، إنما هم عبيد جهلاء ورقيق أذلاء ومخلوقات دنيئة.

يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«من ترك الشهوات كان حراً».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«الدنيا دارٌ ممرٌ والناس فيها رجالان: رجلٌ باع نفسه فاوبقها، ورجلٌ ابتاع نفسه فاعتقها».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«خمس خصالٍ من لم تكن فيه خصلةٌ منها فليس فيه كثير مستمتع: أولها الوفاء، والثانية التدبير، والثالثة الحياء، والرابعة حسن الخلق،

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 82

والخامسة وهي تجمع هذه الخصال: الحرية» 1

. وعن علي (عليه السلام) أنّه قال:

«لا يسترقتك الطمع وقد جعلك الله حراً» «2».

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«من توفيق الحر اكتساب المال من حلّه» «3».

اشاره مهمه

بالنظر إلى ما تنطوي عليه الحرية من حقيقة ومعنى، وأهمية الإرادة وحق الاختيار، وأن الإنسان يصل إلى اسمى المنازل والمراتب والمقامات التي تفوق التصور إذا ما انتفع من حريته وإرادته وحق الاختيار الذي يتمتع به في ظل الهداية التي أنعم الله بها عليه، فالحري بنا السعي من أجل المحافظة على حريتنا ما دمنا على قيد الحياة وأزاء جميع الحوادث والابتلاءات اذ يترتب على ذلك نيل رضى الباري تعالى.

الكل يعلم ان الذرة مركبة من نواتين وعدة الكترونات، وهذه الاخيرة تتجاذب فيما بينها وتدور حول المركز الذرة وفق نظام خاص وسرعة محددة وفقاً لإرادة الحق سبحانه، وما دام هذا الدوران وهذه السرعة قائمان في ظل ذلك النظام والجاذبية فإنّ الذرة مستقرة في مكانها وتتولى القيام بكل عمل من شأنه المنفعة، ولكن ما ان تنقطع تلك الجاذبية وتخرج الالكترونات عن اطار نظامها الخاص وتحدث فجوة بينها وبين النواة المركزية فلن تورث الا الخراب والفساد والدمار.

(1) - المواعظ العددية: 268.

(2) - ميزان الحكمة: 351 / 2 - 352.

(3) - نفس المصدر.

الانسان شبيه بالذرة، فنواته المركزية فطرته وروح التوحيد والعبودية التي تنطوي بين جوانحه، وقوام كيانه يتمثل في انجذاب كافة قواه وجوارحه الظاهرية والباطنية نحو الحق تعالى وتحركها على ضوء المشيئة الالهية، ولا يتعد عن باري الكون وتعاليمه في كل حركاته وسكناته، اذ ان الابتعاد عنه تعالى والخروج عن نطاق معرفته ومحبته والانفصال عن محورته انما يعني الفساد والافساد في جوارح الانسان وباطنه وظاهره.

يقول تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» «1».

والزواج من جملة العوامل التي تمنع الانسان من الوقوع في بعض المفسدات، فعند ما يتمتع الانسان بالاهلية أي الايمان والأخلاق والعمل بما تتسع له طاقته ويظفر بالزوجة الصالحة الكفوءة حينذاك سيسيطر على كيانه ظاهرياً وباطنياً إلى حدٍ ما، وبذلك تُحفظ حرته ويصان من عبودية الشهوات المحرمة والموبقات واصدقاء السوء.

زوجة صالحة وكرمة

في عام 60 هـ توجه زهير بن القين البحلي وبعض ذويه إلى مكة المكرمة لاداء مناسك الحج، وبعد ان ادى الحج قفل عائداً بقافلته الصغيرة إلى دياره.

كان يدور في خلد زهير أنه عائداً إلى بيته، ألا ان المصير كان يخبيء عكس ذلك، فزهير كان يتوجه من بيت الله إلى الله، غير أنه لم يكن على علم بهذه الحقيقة.

لم يكن زهير اثناء عودته يرغب ان يحل في منزل يجمعه مع الحسين، فاذا

(1) - آل عمران: 56.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 84

حط ركب الحسين (عليه السلام) رحالة في منزل ما رحل ركب زهير لينزل في مكان آخر، فكان يحاول جاهداً أنه لا يرى الحسين (عليه السلام) او يقابله! وعلى طول الطريق ثمة نهر عذب المياه ينبع من جبال مكة لينتهي عند البحر!

لقد كانت مكانة زهير الاجتماعية تحتم عليه ان يفعل ذلك، فهو لم يكن من اتباع علي وآل علي (عليه السلام) بل لم يكن على صلة بهذه الاسرة وانما كان عثمانى الهوى ومن المقربين لدى الحكم الاموي ومن انصار الجهاز الحاكم.

ومن جانب آخر فهو يعرف الحسين (عليه السلام) جيداً ويكنّ فائق الاحترام لآل علي (عليه السلام) ولم يكن يرغب المشاركة في قتل الحسين بن علي (عليه السلام) بل يريد الوقوف على الحياد، فيحافظ على علاقته بالنظام الاموي ولا يقاتل الحسين (عليه السلام)، ومقابلته للحسين (عليه السلام) تعارض هذا المراد، وقد وصلت الاخبار إلى يزيد بما مفاده ان زهيراً قد التقى الحسين (عليه السلام).

ماذا يصنع إذا دعاه الحسين (عليه السلام) لنصرته؟ فإن نصره فذلك يعني الافتراق عن رفاق دربه ومسلكه، وان ابى فليس من الوارد رد الحسين (عليه السلام) فهو ابن علي وفاطمة رجل عظيم المنزلة، سبط رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كيف يُعصى أمره، وبمّ يجيب الحق تعالى يوم القيامة، وكيف يتحمل عذاب نارٍ أوقدها بارؤها؟

الحياد افضل الخيارات، فلا بد اذن ان ينزل ركب زهير في مكان لا يُتوقع فيه مقابلة الحسين (عليه السلام)،... وكان زهير يريد شيئاً والمصير يريد شيئاً آخر.

كانت المنازل في الجزيرة العربية متباعدة ولا مناص من ان تضع القوافل رحالها في منزلٍ ما شاءت أم ابنت، واجبرت قافلة زهير على أن تجتمع مع قافلة الحسين (عليه السلام) في أرضٍ واحدة، الأرض التي صنعت من العثماني علويّاً ومن اليزيدي حسينيّاً!!

فُنصبت خيام زهير، وعلى مقربة منها خيام الحسين (عليه السلام)، وقد كان

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 85

الحسين (عليه السلام) على علمٍ ببطولة زهير ورجولته وشهامته وفصاحته وبأسه وعلمه، اذن من الغبن بقاؤه خارج نطاق الانسانية بما يمتلكه من مؤهلات، ويبقى قابلاً في ظل وحوشٍ كاسرة من امثال بني امية، ولا ينتفع هذا الحر من حرته، وليس من الملائم ان تدفن هذه الجوهرة الثمينة بين الانقاض وتنطفئ جذوة هذا الانسان العظيم.

وفي هذا المنزل أيضاً لم ينفك زهير عن التزام الحذر، فقد سعى جاهداً ان لا يواجه الحسين (عليه السلام) ولا يدنو منه، فالحسين (عليه السلام) ثائر بوجه الحكم القائم، وزهير من انصار هذا الحكم، والنظام يتوقع من انصاره معاداة اعدائه والمبادرة إلى قمع المتمردين عليه، فيما يعتبر التقرب إلى هؤلاء الاعداء جرمّاً لا يغتفر.

وفيما كان زهير جالساً في خيمته يتناول الطعام مع ذويه فاذا برسول الحسين (عليه السلام) يطلّ عليهم مسلماً قائلاً:

زهير! الحسين بن علي (عليه السلام) يدعوك.

هنا اصبح زهير أمام ما كان يحذر، فلم يستطع الكلام لما اصابه من اضطراب، وسدّت أمامه جميع نوافذ التفكير، اذ لم يكن يتوقع ذلك، واصابته الحيرة، ماذا يصنع؟ هل يتجاهل دعوة الحسين (عليه السلام) ويتمرد عليها، أم يتنكر ليزيد وينطلق نحو الحسين (عليه السلام)؟ فكلا الخيارين يتناقضان مع ما كان يبتغيه من حياد، وقد بلغ الحال حداً يتعذر معه التزام الحياد.

استحوذ صمّتٌ مروع على الجميع، والقت الافواه ما فيها من طعام، اذ دُهبوا عن الاكل والكلام، فيما كان رسول الحسين (عليه السلام) واقفاً يرقب الاوضاع قد استحوذته الحيرة، فأخذ يتساءل مع نفسه: لمّ هذا السكوت، ولم لا يأت زهير معه، ولماذا لا يرفض المجيء؟ فليس هنالك ضغط من قبل الحسين (عليه السلام)، وزهير حرٌّ في اتخاذ القرار.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 86

مضت دقائق على هذا المنوال وزهير لم يقوَ على اتخاذ القرار، فلا بد هنا من بصيص نورٍ ينقذ زهيراً من الحيرة والازدواجية ويدفعه إلى اتخاذ القرار.

لقد كانت اصعب اللحظات على زهير مدى حياته، ففيها وقف على مفترق طريقي الموت والحياة، فهو كان على علمٍ بصرامة النظام، انه على معرفة باصحاب الحسين (عليه السلام)، ويعلم ان الحسين (عليه السلام) مقتولٌ لا محالة هو ومن معه، وان عياله تُسبى، ويعرف إلى مَ يدعوه الحسين (عليه السلام)، وان طريق الحسين (عليه السلام) هو طريق الجنة وطريق يزيد طريق النار، وتلك السعادة وهذه الشقاء.

وإذا بالبارقة تتقد وتبادر امرأة إلى اختراق جدار الصمت وتعيد إلى زهير القدرة على اتخاذ القرار، ولم تكن تلك المرأة سوى دلم زوجته، فقالت:

سبحان الله ايدعوك ابن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ولا تجبه؟! واسمع ما يقول!

لا حظوا اي عمل صالح تفعله المرأة الصالحة؟!

نفض زهير وتوجه نحو الحسين (عليه السلام)، ولم يطل المقام حتى عاد زهير والبسمة تعلو محيّا قد زال عنه الهم، وطفح السرور على تقاسيم وجهه، فقد انجلي الظلام وحلّ النور، ولّى زمان الحيات وحلّ زمان الانحياز إلى الحق.

ولم يكن لاحدٍ علمٌ بما قاله الحسين (عليه السلام) لزهير وما سمعه زهير في غضون تلك المدة الوجيزة.

لما عاد زهير إلى خيمته أمر بنقلها إلى جانب خيام الحسين (عليه السلام) فالتحق النهر بالبحر، وتحول زهير من معسكر يزيد إلى معسكر الحسين (عليه السلام) وتحرر من قيود الظلم، ودخل رحاب العدالة، واصبح علوي الهوى بعد ان كان عثمانياً.

تأملوا كيف تبحث السعادة بنفسها عن ابن آدم؟

ثم خاطب زهيرٌ من كان معه قائلاً: من ارادني فليتبعني والّا فالوداع، فالتحق به سلمان البجلي وهو ابن عمه واصبح من انصار الحسين (عليه السلام)، وقد

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 87

استشهد يوم عاشوراء بعد ان ادى صلاة الظهر خلف الحسين (عليه السلام).

لقد هجر زهير الدنيا وما فيها والتحق بالحسين (عليه السلام)، فقد كان مع الحسين واستشهد معه وهو معه الآن خالدٌ في ذلك العالم.

ودّع زهيرٌ زوجته قائلاً: الحقّي بقومك كي لا يمسك سؤ بسبي، واعطاها ما لها من حقوق وسرّحها مع ابن عمها إلى قومها، فبكت دهم بكاءً شديداً وودعت زوجها قائلة: رعاك الله ونصرك وارك خيراً، ولا اريد منك الا ان تذكرني يوم القيامة عند رسول الله (صلى الله عليه و آله).

نعم، لقد صودرت الحرية وحق الاختيار من زهير من قبل الامويين، بيد ان زوجته كانت السبب في عودتها اليه، وفي رحاب تحرره من قيود الطاغوت عروج إلى السعادة الابدية!!

بناءً على ذلك، ليس عبثاً إذا ما قيل ان الزواج يضمن الحرية والاختيار أو يكون سبباً في استعادة حرية الانسان واستقلاله.

علينا ان نحافظ من خلال الزواج على النعمة الالهية الكامنة في انفسنا، ونصون مقام الخلافة الذي وهبه الله لنا من ان نخطفه الشهوات والمفاسد، ونعزز ايماننا وعملنا الصالح، ونعمل على احراز نصف ديننا ونحافظ على النصف الآخر من خلال التزام التقوى وتجنب المحرمات.

فالرجل في ظل الزواج يعد شريكاً في تنامي كمال المرأة، وهي شريكة في تسامي مراتبه.

ان المرأة مخلوقٌ عظيمٌ وجديرٌ وهذا ما حدا بالعظماء إلى التصريح قائلين:

وراء كل عظيم امرأة، والرجل مخلوق مقدسٌ وعظيمٌ وكریم حتى قيل بحقه أنّه الدافع الذي يقف وراء ارتقاء المرأة المراتب السامية.

يقول علي (عليه السلام): أول من يدخل الجنة من النساء خديجة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 88

وهذا يدل ما تحمله المرأة من روح الهية، ومنزلتها الجليلة في خلافة الله على ارضه، وتمتعها بالخصال السامية والذخائر الانسانية والاخلاقية والايمانية.

نعم، فالمرأة المتحررة من قيود الهوى والطاغوت والغرائز المحرمة، وكذا الرجل، كلاهما بمثابة الجوهرتين النقيستين وعبرة عن حقيقتين شامختين في عالم الخلق الرحب.

لقد نسب الامام الحسين (عليه السلام) حرية الحر بن يزيد الرياحي إلى امه، وكان اميرالمؤمنين (عليه السلام) يؤكد ان عظمة مالك الاشر انما هي نفحة من حجر امه الطاهر الذي تربى فيه.

على الرجل ان يكون قدوة واسوة لكل خير في بيته، وهكذا المرأة، وكلاهما يكونان اسوة حسنة وقدوة صالحة لابنائهما.

استقلالية الرجل والمرأة في الزواج

على الآباء والامهات الالتفات إلى ان اختيار الزوج - على ضوء ما اقره الاسلام - انما هو حقّ للابناء، فلا يحق لهم فرض الزوجة التي لا يرتضيها الابن واجباره على الاقتران منها، كما لا يحق لهم فرض الزوج الذي لا تقنع به البنت واجبارها على الزواج منه، بل ان الله سبحانه منحهما الحرية والاستقلال في اختيار شريك الحياة.

في رواية عن ابن أبي يعفور قال فيها:

قلت لابي عبدالله (عليه السلام):

اني اريد أن اتزوج امرأةً وأنَّ ابويَّ اراداً غيرها، قال (عليه السلام):

«تزوج التي هويت»

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 89

ودع التي هوى ابواك» 1.

ونقرأ في الرسائل العملية لمراجع الشيعة في باب الزواج:

«من ارادت الزواج ممن هو كفؤ لها شرعاً وعرفاً واعترض الوالدان فلا يلزم الحصول على اجازتهما ولها ان تتزوج منه» 2.

على الآباء والامهات الكف عن ممارسة الاهواء والمآرب والنعرات القبلية في قضية زواج ابنائهم وبناتهم، اذ ان الاسلام حرّم التسلّط والخضوع له.

والرجل والمرأة احراز في اختيار العمل المشروع أيضاً، وما يدّرّ عليهما من دخل فهو ملك لهما وملكيتهما له مشروعة، ولا يحق للمرأة التصرف باموال الرجل الا باذنه، والعكس صحيح، وعلينا الالتفات إلى ان استقلال كل من الرجل والمرأة يجب أن يصابان في جميع مرافق الحياة.

(1) - البحار: 235 / 103.

(2) - توضيح المسائل لآية الله فاضل النكراني ص 418 المسألة 2236.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 91

«يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»

آل عمران / 42

دين الله

ثمة فوارق اساسية وجوهرية بين الدين الاسلامي وسائر الاديان في اغلب المجالات.

وهناك تباين بين المذهب الشيعي - وهو الاسلام الذي ترجمه أئمة أهل البيت أوصياء رسول الله (صلى الله عليه و آله) - وبين سائر المذاهب والمدارس في نظراته ورؤيته للتوحيد والمعاد والملائكة والنبوة والامامة والقرآن، وبشأن الفرد والمجتمع والجوانب المادية والمعنوية والشؤون الاخلاقية والتطبيقية، والمرأة والرجل والذرية والعمل والتكسب والتربية والسياسية والحكم ... الخ.

ان ما يطرحه الاسلام على هذا الصعيد يمثل عين الحقيقة، وهو المعيار المنسجم مع المصاديق الواقعية لظاهر الامور وباطنها، وخلاصة القول مطابق للحقائق والوقائع المكنونة في علم الله وفي عالم الخلق.

وما قدمه المفسرون عن الدين الاسلامي ما هو الا ثمرة عليهم المبارك ورؤيتهم الالهية ونابع من صميم آيات القرآن الكريم.

وقد انطلقت تفريعات هذا الدين من صلب القرآن الكريم الذي يتبدى بصفات الذات الالهية المقدسة كالرحمانية والرحيمية والربوبية، وانطلقت ترجمة هذه الحقائق من قلب رسول الله (صلى الله عليه و آله) واستمرت عن طريق احاديث الائمة المعصومين بدءاً من الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وانتهاءً بالامام الحجة بن الحسن العسكري (عج).

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 94

الرحمن، من الاسماء الخاصة بالله سبحانه ولا تستخدم بشأن غيره، أما الرحيم فهو وصف يطلق على من سواه أيضاً، وكلا الصفتين اصلهما من الرحمة.

يقول طائفة من المفسرين: الرحمن اشارة إلى الرحمة الالهية العامة التي تشمل العباد كافة مؤمنهم وكافرهم، والرحيم اشارة إلى الرحمة الخاصة التي تصيب الصالحين من الخلق، والدنيا موضع تجلي الرحمانية، والآخرة محل تجلي الرحيمية، الا ان شيئاً من هذا التباين لا يلاحظ في القرآن الكريم، إذ يقول تعالى:

«وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» «1».

ويمكن مشاهدة تجليات هذه الصفة في خلق المخلوقات ورزقها وخلاصها من طوارق الاحداث.

ان الاستعانة به تعالى من خلال هاتين الصفتين تبعث في النفس حالة من العرفان والمعنويات والحيوية التي تكون ثمرتها رعاية وعنايه من الله بعبد.

ورد في المأثور ما مفاده: ان الله عزوجل قال: إني لاستحي ان يدعوني عبدي برحمتي ولا اجبه.

ان خلق البشر ورزقهم يعدّ تجسيداً لرحمانية الله، وهدايتهم وفلاحهم ثمرة الرحيمية، وقد وصف تعالى نفسه بالرحمة في القرآن الكريم بأسلوب بحر فيقول: خير الراحمين، أرحم الراحمين، ذوالرحمة، ومن أجل تقريب المفهوم إلى الازدهان فقد بينها رسول الله (صلى الله عليه و آله) للناس بما يتناسب وفهمهم، وآلا فلا جدوى من العد والاحصاء على هذا الصعيد.

ان لله مائة درجة من الرحمة أفاض بواحدة منها على السموات السبع

(1) - الاعراف: 156.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 95

والارضين السبع واعطى خلقه جميعهم ما يحتاجونه منها، ومنها يترحم الخلق بعضهم على بعض، واحتفظ بتسع وتسعين درجة لنفسه حتى تقوم الساعة فيجمع تلك الدرجة إلى هذه الدرجات ويعطيها إلى من آمن واطاع!!

والرب، تعني المالك الذي تمتد ملكيته لتشمل جميع المخلوقات في عالم الوجود وهي ملكية حقيقية لا يمكن سلبها، وهو تعالى المالك الذي يمسك بزمام تدبير وادارة جميع الكائنات.

وحيث ان ارتباط ملكيته وتدبيره بجميع ذرات عالم الوجود ارتباط حقيقي وأزلي وذاتي فلا معنى في أن يتخذ الانسان رباً يناوئ ربوبيته تعالى ويتخذ مالكاً ومديراً سواء ويرتضي قانوناً غير قانونه.

ان تجلي التوحيد في جميع شؤون الحياة يتمثل في ان يستظل المرء بكل كيانه في ظل ملكية الله وتدبيره ويرفض كل مدّع للملكية وكل ثقافة أو مذهب يحاول تولّي تدبير حياة الانسان ظلماً وخلافاً لما يريد الله سبحانه، وليس ثمة معنى لكلمة «لا اله الا الله» الا ذاك.

نعم، ان رحمة الله وربوبيته هي التي تلي كافة متطلبات الانسان ظاهرها وباطنها، ورحمة الله ورأفته وفضله تضمن سعادة الانسان في الدنيا والآخرة.

توسل الانبياء برهوبية الله ورحمته

لقد توسل الانبياء - وهم الذين لم يعرفوا رباً ومالکاً ومدبراً ومراداً غير الله ولم يتصوروا رحمةً ولطفاً غير رحمته ولطفه واعتبروا انفسهم ملكاً ومربوباً وعباداً له تعالى وقارعوا الارياب المتفرقة ومن ادعى الربوبية زيفاً بكل ما اوتوا من قوة حتى ان بعضهم قضى قتيلاً في ميادين هذا الصراع من أجل التمسك بمالكية الله وتعاليمه ورحمته - خلال تعرضهم للحوادث والابتلاءات أو عند

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 96

شعورهم بالحاجة، برحمة الله وبروبيته، فقد دعا آدم (عليه السلام):

«رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» «1».

وقال نوح (عليه السلام) في معرض دعائه من أجل نجاته ونجاة المؤمنين واهلاك الظالمين:

«رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا» «2».

وكان ابراهيم (عليه السلام) يقول في دعائه:

«رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ» «3».

وتوجه موسى (عليه السلام) عند شدته على ابواب مدين بالدعاء قائلاً:

«رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» «4».

ودعا يوسف (عليه السلام) قائلاً:

«رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» «5».

ودعا زكريا (عليه السلام):

«رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ» «6».

وقد علّم تعالى نبيه (صلى الله عليه و آله) بأن يقول في دعائه:

(1) - الاعراف: 23.

(2) - نوح: 26.

(3) - ابراهيم: 37.

(4) - القصص: 24.

(5) - يوسف: 101.

(6) - الانبياء: 89.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 97

«رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» «1».

وينقل تعالى في كتابه الكريم ما يردده أولياؤه واحباؤه وهم يحيون الليل قياماً وقعوداً متفكرين في خلق الله:

«رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا» «2».

وقد تكررت كلمة «رب» في الادعية الواردة عن الائمة المعصومين (عليهم السلام) لا سيما دعاء كميل وابي حمزة الثمالي وعرفة والمناجاة الخمسة عشر للامام السجاد (عليه السلام)، وأنّ توسل الانبياء (عليهم السلام) بهذا المقام الرباني وتكرار هذه الكلمة في الادعية ليل على عظمة الربوبية وتحليلها في مفاصل حياة الانسان وجوانبها، ولم يكتف الداعون بالتوسل بهذا المقام الرباني اثناء الادعية، بل ان ربوبية الحق تعالى تتجلى عملياً ونظرياً في اجواء حياتهم ومعتقداتهم وافعالهم واخلاقهم.

مقام العبادة والعبودية

ان الانسان رجلاً كان أم امرأة ذو ماهية واحدة وجوهر واحد وليس هنالك تباين بين الجنسين في سلوكهما لطريق التكامل وفي تحلي آثاره الانسانية وبلوغ المقامات والمراتب المعنوية السامية، وإذا ما اقرّا برؤية الحق تعالى استجابة لدوافعهما الذاتية وفطرتهما مستعنيين بالعقل ومسترشدين بهدى النبوة والامامة وارشادات المعلمين والمربين وارتضوا مالكية رب العالمين في جميع المجالات حينها سيكونان في أمن وأمانٍ من الانزلاق في مستنقع عبودية الطاغوت وهوى النفس، وينعتقان من الثقافات والافكار الشيطانية، وسينالان

(1) - المؤمنون: 118.

(2) - آل عمران: 191.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 98

المراتب الشاخرة والمنازل الملكوتية بفضل شعورهم بالتبعية للمالك الحقيقي.

المرأة والرجل مظهرٌ لتجلي رحمانية الباري عزوجل ورحيميته وبروبيته، وهذه الحقيقة مستقاه من صريح الآيات القرآنية ولا مجال فيها للانكار والتردد.

فالمرأة انسانٌ وتتمتع بالقابليات والقوى المعنوية، وهي على حدّ سواء مع الرجل في الحقيقة والجوهر بحكم المنطق القرآني، وهي تمثل الرحمة الالهية ورمزاً لربوبية الحق تعالى، وان احتقارها والتجاوز عليها والتطاول على حقوقها ومصادرة تطلعاتها المشروعة واستضعافها وطلاقتها اللامبرر والتمييز بينها وبين الرجل، كل ذلك من الآثار التي خلفها الذين يدعون ربوبيتهم على البشر وفراغة التاريخ ومن مخلفات الثقافات السلطوية الجائرة.

ففي ايطاليا عندما كان الرجل يرزق بنتاً يكاد يطير فرحاً لان شيئاً جديداً قد اضيف إلى ممتلكاته، وبعد ثلاث عشرة أو اربع عشرة سنة يأخذها إلى السوق لبييعها ويرتزق بثمرتها!!

وعندما كانوا يغضبون على البنت في بعض الاحيان فيكّم يضعونها في قدرٍ مليء بزيت الزيتون المغلي للقضاء عليها، وكانوا يسخّرونها كخادمة او جارية أو اداة لقضاء حوائجهم، ولم تزل لحد الآن في عصر حقوق الانسان تعيش الحرمان من اغلب حقوقها المشروعة.

بيد أنّها تعتبر في نظر الدين الاسلامي الحنيف والمنطق القرآني مخلوقاً رفيعاً ومعيناً لا ينضب من الكمالات المعنوية وعالمها زاهراً بالقابليات وطاقه الهية.

وإذا ما عرفت المرأة قدرها وعملت على صيانة مكانتها الانسانية واستلهمت من التعاليم الاسلامية ما وسعها من أجل تكاملها وتربية شخصيتها، ستتصف آنذاك بما اتصفت به مريم العذراء وخديجة الكبرى وزينب الحوراء، والّا فإنّها ستنال حزي الدنيا والآخرة وتلاحقها اللعنة الابدية شأن من انكر نعم

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 99

اللّٰهُ مِنَ الرِّجَالِ وَكَفَرُوا بِنِعْمِهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهُمُ إِزَاءَ هَدَايَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المرأة في المنطق القرآني

جاء في تفسير مجمع البيان:

لما رجعت اسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقالت: هل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقالت: يا رسول الله! ان النساء لفي خيبة وخسار، فقال (صلى الله عليه و آله): وممّ ذلك؟ قالت: لانهن لا يذكرن بخير كما يُذكر الرجال، فأنزل الله:

«إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» «1».

ففي صريح الآية الكريمة ان النساء شأنهن شأن الرجال بوسعهن بلوغ عشر مراتب ملكوتية ومعنوية سامية وعن طريق ذلك نيل مغفرة الله والاجر الاخروي العظيم، والمراتب عبارة عن:

- 1- الاسلام، 2- الايمان، 3- الطاعة، 4- الصدق، 5- الصبر والثبات في مواجهة الاحداث، 6- التواضع والخشية من عظمة وعقابه، 7- الكرم وثمرته الصدقة، 8- الصوم، 9- ضبط النفس والتحكم بالشهوات، 10- الذكر.

يروى ان اسماء بنت زيد الانصارية أتت النبي (صلى الله عليه و آله) وهو بين اصحابه فقالت: بابي انت وامي! اني وافدة النساء اليك، واعلم نفسي لك الفداء انه ما من

(1) - مجمع البيان: 8 / 358؛ الاحزاب: 35.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 100

امراً كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهي على مثل رأيي، ان الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فأمنّا بك وبالهلك الذي ارسلك، وإنا معاشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم، وانكم معاشر الرجال فُضِّلْتُمْ علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وان الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم ثيابكم ورئينا لكم أموالكم فما نشارككم من الاجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي (صلى الله عليه و آله) إلى اصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة قط احسن من مساءلتها من امر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي إلى مثل هذا! فالتفت النبي (صلى الله عليه و آله) إليها ثم قال: انصرفي ايتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء ان حسن تبعل احداكن لزوجهها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله، فادبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً **«1»**.

في رواية عن الامام الرضا (عليه السلام) عن ابائه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«مثل المؤمن عند الله كمثل ملكٍ مقرَّبٍ، وان المؤمن عند الله عزوجل اعظم من الملك، وليس شيي أحبُّ إلى الله مؤمنٍ تائبٍ او مؤمنة تائبة»

العقل والشهوة ملاك السعادة والشقاوة

العقل: هو القوة التي يتم عن طريقها ادراك الحقائق وفهم الواقع، وهو المخطط لبلوغ السعادة والصلاح ومدبر الجوانب الايجابية في حياة الانسان.

وقد عبّر عن هذه الجوهرة النفيسة في اصول الكافي نقلاً عن الروايات

(1) - ميزان الحكمة: 96 / 9.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 101

الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) بالنبي الباطني.

والشهوة بمحراها الطبيعي تعتبر نعمة الهية وسبيلاً للاستمتاع بالحياة المادية ودافعاً يملأ الانسان حركةً وعملاً ونشاطاً نحو الحياة الدنيوية وربما الاخروية.

وإذا ما استنارت الشهوة بنور العقل واصبحت تابعة لهذا المنار المعنوي، حينها ستصبح اجواء الحياة اجواءً صالحة، ويكون عالم الوجود بمثابة مائدة تطغى عليها الرحمة الالهية، ويغدو وجود الانسان مصداقاً للانسانية ويسمو شأنه على الملائكة!!

أما إذا وقع العقل اسيراً للشهوة وحيل بينه وبين افاضاته النورانية، وهيمنت الشهوات الطائشة على حياة الانسان، وأطلق العنان للمآرب، وعُفيت العين الظاهرية والباطنية الآ عن الماديات نتيجة لاستحكام الشهوة، واصبحت حياة الانسان لا تتعدى الطن والفرج، حينها ستندثر المعالم الانسانية ويغدو الانسان اسوء حالاً من الحيوانات والبهائم.

يقول عبدالله بن سنان: سألت ابا عبدالله الصادق (عليه السلام) ايهما افضل الملائكة أم بني آدم، فقال (عليه السلام): قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ان الله عزوجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركب في بني آدم كليتهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم» «1».

وهذه الحقيقة إذا تجلّت في كيان المرأة كما في الرجل فلا شك في أن شأنها سيسمو فوق الملائكة، اما إذا تخلّت عن عقلها وتنكرت لهذا النبي الباطني والنور الذاتي وصبّت جلّ همها مظاهر على الزينة واقتناء الجواهر واللهاث وراء

(1) - الحبار: 299 / 57.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 102

اسباب الابتذال والتحميل وارضاء الشهوات ولتبرج امام الآخرين والابتعاد عن الله عزوجل، فهي والحالة هذه اسوء حالا من الحيوان شأنها شأن المفسدين والكافرين من الرجال الذين تنكروا لأنعم الله.

حديث المعراج بشأن النساء

يروى عبد العظيم الحسيني - وهو من أكابر علماء الطائفة الشيعية وزعمائها ومن الثقة في الرواية، وكما يقول الامام الهادي (عليه السلام) من زاره فقد زار الحسين (عليه السلام) - عن الامام الجواد (عليه السلام) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال:

دخلتُ أنا وفاطمة على رسول الله فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلتُ: فداك ابي وامي يا رسول الله ما الذي يبكيك؟ فقال: يا علي! ليلة أسري بي إلى السماء رأيتُ نساءً من امتي في عذاب شديد فأنكرتُ شأنهنَّ لما رأيتُ من شدة عذابهنَّ:

ورأيتُ امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها.

ورأيتُ امرأة معلقة بلسانها والحميم يُصبُّ في حلقها.

ورأيتُ امرأة معلقة بثدييها.

ورأيتُ امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها.

ورأيتُ امرأة شُدَّ رجلاها إلى يديها وقد سُلِّطَ عليها الحيات والعقارب.

ورأيتُ امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها متقطع من الجذام والبرص.

ورأيتُ امرأة معلقة برجلها في تنور من نار.

روأيت امرأةً يحرقُ وجهها ويدها وهي تأكل امعاءها.

ورأيت امرأةً رأسها رأس خنزيرٍ وبدنها بدن الحمار وعليها ألف ألف لون من

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 103

العذاب.

ورأيتُ امرأةً على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.

فقالت فاطمة: حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن؟ فقال:

أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها عن الرجال.

وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها.

وأما المعلقة بتيديها فإنها كانت ترضع أولاد غير زوجها بغير اذنه.

وأما المعلقة برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير اذن زوجها.

وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزني بدنّها للناس.

وأما التي تُشد يداها إلى رجليها وتُسلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت قدرة الوضوء والثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة

والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين بالصلاة.

وأما العمياء الصمّاء الخرساء فإنها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها.

وأما التي كانت تقرض لحمها بالمقاريض فإنها كانت تعرض نفسها على الرجال.

وأما التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تجرّ امعاءها فإنها كانت قوّادة.

وأما التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار فإنها كانت نمامة كذّابة.

وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من دبرها وتخرج من فيها فإنها كانت قينة (مغنية) نّوامة حاسدة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 104

ثم قال (عليه السلام):

«ويلٌ لامرأةٍ اغضب زوجها وطوبى لامرأةٍ رضي عنها زوجها» «1»

. على اية حال، فالمرأة وانطلاقاً من المنطق القرآني بامكانها تسلق اسمى المراتب والمنازل المعنوية والوصول إلى ما وصلت إليه مريم العذراء (عليها السلام)، أما في حالة تجاهلها للتعاليم الالهية واستهانتها بشخصيتها الانسانية فإنّها ستتسافل إلى أدنى الدرجات وتصبح ادنى شأنًا من البهائم وهذا ما قد يبلغه الرجال أيضاً.

(1) - البحار: 245 /100 الطبعة الثانية مؤسسة الوفاء.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 105

«يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»

البقرة/ 185

7

مشاكل الزواج ومعوقاته

التزمت في أمر الزواج

ان حاجة كلٍّ من الرجل والمرأة إلى الزواج حاجة طبيعية ورغبة ذاتية، ومن الصعب عليهما الصمود امام هجوم الشهوة والغريزة طويلاً.

فربما يؤدي طول الفترة إلى الفساد وانحراف من هو بحاجة إلى الزواج.

وربما يدفع جموح الغرائز إلى وقوع الافراد في مستنقع الموبقات والمعاصي.

وربما يتسبب الحؤول دون زواج الأبناء والبنات إلى وقوعهم في المشاكل واصابتهم بمختلف العقد.

وقد تؤدي الرغبة في الزواج من جهة وما يعترضها من عراقيل من جهة اخرى، إلى قيام علاقات غير مشروعة وبالتالي تؤدي إلى تلوث النفوس الطاهرة وجرّ الشباب الذين يعدّون ثروة البلاد إلى الانتحار.

ان البعض من الآباء والامهات إذا ما بلغ اولادهم سنّ الزواج وفتحوا الوالدين حول الزواج فإنّ الوالدين ينظران إلى ابنائهما بعين الاستصغار، ويرون ان افصاحهم عن الرغبة في الزواج ينمّ عن الوقاحة وانعدام الحياء، ويتحاملان عليهم ويبادران إلى تأنيبهم وتوبيخهم، ويبلغ بهما التعامل مع ابنائهما بحيث يشعر هؤلاء الأبناء بالمهانة، وإذا لم يتمتعوا بإيمانٍ راسخ فإنّهم يسلكون طريقاً منحرفاً.

وبعض الآباء والامهات يطرحون شروطاً تعتبر إعجازية أو مستحيلة

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 108

بالنسبة للطرف المقابل ويصرّون على شروطهم حتى يمضي الوقت المناسب لزواج ابنائهم أو بناتهم وحينها تدبل زهرة حياتهم.

وقد يتوجه الشاب لخطبة شابة ما فيواجه بعنفٍ وخشونة من قبل اسرتها فيتراجع عن فكرة الزواج، وبذلك تصبح البنت جليسة الدار ويفوتها قطار الزواج، وقد تحصل مثل هذه الحالة من قبل اسرة الشاب ايضاً.

وقد يتردد الشباب من الأبناء والبنات عن المبادرة إلى الزواج نتيجة ما يعانون من قيود في اتخاذ القرار وما يسود المنزل من اجواء استبدادية يفرضها آباؤهم وامهاتهم، وبذلك يتعرضون لمختلف من الصدمات.

وقد يحول الأبناء والبنات انفسهم دون تحقق الزواج بما يطرحونه من شروط مرهقة على الطرف المقابل.

ان الاسلام العزيز يرى في هذا لتشدّد منافياً للانصاف والمروة وبعيداً عن الاخلاق الانسانية ومتناقضاً مع الشرع الحنيف، ويوجه تحذيره لمن يتشدّد بهذا الأمر بأن عواقب هذا التصرف ستحقّق بهم في الدنيا والآخرة، ويصرّح بان الله آلى على نفسه التساهل مع المتساهلين والتشدّد مع المتعنتين في الدنيا والآخرة.

فالتعنّت بهذا الجانب بمثابة اعلان الحرب على الغرائز والتطلعات والآمال الطبيعية و الانسانية لدى كلّ من الأبناء البنات، وحقائق على رب العالمين ان يأخذ المتشددين بالشدّة ويحرمهم من لطفه ورحمته.

في رواية عن حماد بن عثمان يقول فيها:

دخل رجلٌ على أبي جعفر بن محمد (عليه السلام) فقال له ابو عبد الله: ما لفلان يشكوك؟ قال:

طالبته بحقي، فقال ابو عبد الله (عليه السلام): وترى انك إذا استقصيت عليه لم تسيء به؟ ارى

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 109

الذي حكى الله عزوجل في قوله:

«وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ» «1».

يخافون ان يجور الله عليهم، والله ما خافوا ذلك ولكنهم خافوا الاستقصاء فسمّاه الله سوء الحساب.

فيا ايها الآباء والامهات، ويا ايها الأبناء والبنات احذروا التزمت في جميع الامور لاسيما الزواج، وتجنبوا هذا التصرف المنافي للانسانية، ومهّدوا السبيل لتحقيق الزواج وتساهلوا فيما تفرضونه من شروط، واعملوا على الحد من اتساع رقعة الفساد والمعاصي وذلك عن طريق التسامح في فرض الشروط والتزويج باسهل السبل وابسطها.

اجعلوا انفسكم ميزاناً بينكم وبين غيركم

على الآباء والامهات ان يتذكروا يوم كانوا شباباً تتأجج فيهم الالهفة للزواج يحدهم الامل في ان يسارع آباؤهم وامهاتهم إلى تمهيد السبيل لزواجهم ويسطوا مائدة الزواج في اجواء يسودها الصفاء ويؤطرها الحب والمودة بعيداً عن التعت والتشدد والشروط الصعبة، وإذا ما رأوا من آباءهم وامهاتهم تصرفاً يعرقل هذه السنّة الالهية أو يشبطها أو ان موقف آباءهم وامهاتهم يتسبب في اثاره الموانع في هذا السبيل، فإنهم يصابون بالاحباط وتضطرب اوضاعهم النفسية ويستحوذ عليهم التشاؤم ازاء والديهم وبالتالي تتولد لديهم حالة من الحقد تجاههم.

واليوم اذ يرومون تزويج ابنهم أو ابنتهم عليهم ان يضعوا انفسهم مكانهما ويتصوروا الآمال والطموحات التي يعيشانها وما يواجهان من اضطرام نيران

(1) - الرد: 21.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 110

الغريزة فيهما، والرغبة في بناء الحياة الجديدة، لان ذلك من شأنه العدول عن التعت، وتهميد الارضية لتزويج الابن أو البنت بسهولة ويسر.

في رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يشير فيها إلى هذا الأمر المهم قائلاً:

«اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، واحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تکره لها، لاتظلم كما لاتحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يُحسن اليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك وارض من الناس ما ترضى لهم منك»
«1».

وقال الامام الحسن المجتبي (عليه السلام):

«صاحب الناس مثل ما تحب أن يصاحبوك به» «2».

هذه هي دعوة الاسلام لجميع البشر، وهذه هي تعاليم الدين الحنيف، وهذا هو المنهج القويم الذي يسيّر الحياة مع الآخرين ويقف أمام اكتساح الموبقات لحريم الحياة، ويملأ الحياة نوراً وصفاءً ومحبة ووفاءً ويجعلها زاخرة بالسلامة والاخلاص والبساطة واليسر.

أيها الآباء والامهات عليكم اليوم ان تحبوا لأولادكم ما كنتم تحبون لانفسكم أيام شبابهم فيما يتعلق بالزواج، وذلك عبارة عن الاقتران بمن يناسب شأنكم، وان تتجنب كلتا الاسرتين الشروط الباهضة والمرهقة، وان يسارعوا إلى تمهيد السبيل لتحقيق الزواج، والابتعاد عن التكاليف التي تقصم الظهر، وتجنب القيل والقال.

ان السعي في أمر الزواج يستتبعه الاجر الجزيل من قبل الباري تعالى، فيا ايها الآباء والأمهات سارعوا وكونوا سبباً في تزويج أولادكم، وسيروا في هذا الطريق حتى النهاية بروح ملؤها الحب والمودة والكرم.

يقول رسول الله (صلى الله عليه و آله):

(1) - البحار: 203 / 77.

(2) - میزان الحکمة: 216 / 6.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 111

«مَنْ عَمِلَ فِي تَزْوِيجِ بَيْنِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا زَوْجَهُ اللَّهُ الْفِ امْرَأَةٍ مِنَ الْخَوَرِ الْعَيْنِ وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ خَطَايَا أَوْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا فِي ذَلِكَ عَمَلٌ سَنَةً».

فَأَيُّ أَجْرٍ عَظِيمٍ يُحْرَمُ مِنْهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَشَدَّدُونَ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ مَعَ قَدَرَتِهِمْ عَلَى تَوْفِيرِ الظُّرُوفِ الْمَلَأْتِمْهُ لِحَقِّقِهِ يَسِيرَ وَبَسَاطَةٍ؟!

بِمَ يَجِبُ هَؤُلَاءِ ابْنَاءَهُمْ حِينَ تَقَامُ مُحْكَمَةُ الْعَدْلِ الْإِلَهِيَّةِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذَا مَا وَقَعَ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءُ فَرِيَسَةً لِلْفَسَادِ أَ أَصِيبُوا بِصَدْمَةٍ عَقْلِيَّةٍ أَوْ جَسَدِيَّةٍ أَوْ تَعَرَّضُوا لِأَزْمَةٍ نَفْسِيَّةٍ؟!

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«وَأَعْظَمُ الْخَطَايَا اقْتِطَاعُ مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَأَفْضَلُ الشَّفَاعَاتِ مَنْ تَشَقَّعَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي نِكَاحٍ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُمَا».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«مَنْ زَوَّجَ عَزِيًّا كَانَ مِمَّنْ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«أَرْبَعَةٌ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ أَقَالَ نَادِماً، أَوْ أَغَاثَ لَهْفَاناً، أَوْ اعْتَقَ نَسْمَةً، أَوْ زَوَّجَ عَزِيًّا».

من أراد أن يعيق زواج رجل بامرأة، أو أن يفرق بينهما فسينال غضب الله تعالى وعذابه في الدنيا والآخرة، ويمطره الله تعالى بألف حجر من النار.

ومن سعى في تفريق امرأة ورجل ولم يبلغ مرامه يتلبه الله تعالى في الدنيا والآخرة، ويحرمه لقاءه تعالى.

ليت جميع الآباء والامهات يطَّلعون على هذه المفاهيم كي يطبقوا ما فيها، وبذلك ينالون الاجر العظيم من لدن رب العالمين، وليت الذين يعرفونها يخلون عن ما يعترتهم من تكبر في تطبيق هذه التعاليم لئلا يشملهم الغضب واللعنة الالهية يوم يقوم الناس لرب العالمين.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 112

التكبر من خصال ابليس

اليوم حيث اصبح البلوغ همماً مضافاً إلى هموم الناس، وغدا الغزو الثقافي الذي يشنه الاجانب معاناة اخرى تضاف إلى مسلسل العناء، وتحتل وسائل الاعلام المسموعة والمرئية التي تهيمن عليها قوي الكفر العالمي ارواح وعقول الناس لا سيما الشباب، وانتشرت الافلام المبتذلة في جميع ارجاء المعمورة، وكل ذلك لا طائل منه سوى هياج الشهوات وتاجع اوار الغرائز، يصبح من الواجب الشرعي والأخلاقي على الآباء والامهات والأقارب والأغنياء والدولة الاسلامية بل الامة بكاملها العمل بكل ما اوتوا من قوة لتذليل الصعاب امام زواج الشباب وتجاوز العادات والتقاليد الخاطئة، ونبد المناهج الغربية والكف عن فرض الشروط المهرقة من أجل المحافظة على ما لدى الشباب ذكوراً واناثاً من إيمان واخلاق وسلوك انساني، وتضان هذه الزهور من الذبول والوقوع في وحل الرذيلة.

فلا تتكبروا عن تطبيق الاوامر الالهية وتعاليم الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام).

ومما يبعث على الاسف ان البعض من الآباء والامهات - كما يُشاهدون في مجالس الخطوبة - يتصرفون وكأنهم ملوكاً وابنهم ولي العهد، ويمارسون افعالاً فرعونية، ويطرحون شروطاً وقيوداً تُحجز الطرف المقابل وتؤدي إلى انصراف ابنائهم عن التفكير بالزواج وبناء بيت الزوجية، مما يدفعهم بالتالي إلى ممارسة العلاقات غير المشروعة والانغماس بشتى الرذائل الجنسية ارضاءً لشهواتهم!!

يقول تعالى واصفاً التكبر بأنه من صفات ابليس:

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 113

«فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» 1.

وقال تعالى:

«قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» «2».

وقال علي (عليه السلام):

«إياك والكبر فإنه اعظم الذنوب والأثم العيوب وهو حلية ابليس» «3»

. وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«احذر الكبر فإنه رأس الطغيان ومعصية الرحمن» «4»

. «أقبح الخلق التكبر» «5»

. وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«اجتنبوا الكبر فإنَّ العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله عزوجل اكتبوا عبدي هذا في الجبارين» «6»

. وقال (صلى الله عليه و آله) لأبي ذر:

«يا أباذر مَنْ مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبرٍ لم يجد رائحة الجنة إلا ان يتوب قبل ذلك» «7».

أتى للمخلوق من نطفةٍ ولا حول له ولا قوة ويعجز عن الوقوف ازاء مختلف الاحداث ولا قدرة له على ادارة ادنى شيء في هذا الكون، ان يتكبر على بارئه

(1) - ص: 73- 74.

(2) - الاعراف: 13.

(3) - ميزان الحكمة: 298 / 8.

(4) - ميزان الحكمة: 300 / 8 - 302.

(5) - نفس المصدر.

(6) - نفس المصدر.

(7) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 114

وعلى ابناء جلدته، ويرى لنفسه التفوق على الآخرين؟

ورد في رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال:

وقع بين سلمان الفارسي (رحمه الله) وبين رجلٍ كلامٌ وخصومة فقال الرجل: من أنت يا سلمان؟ فقال سلمان: أما أولاي وأولاك فنطفة قدرة، واما اخراي واخراك فجيفة نتنه، فاذا كن يوم القيامة وضعت الموازين فمن ثقل ميزانه فهو الكريم ومن خفت ميزانه فهو اللثيم «1».

يقول العلامة المجلسي «رحمه الله» بشأن علاج هذا المرض الخطير:

وأما معالجة الكبر واكتساب التواضع فهو علمي وعملي، أما العلمي فهو ان يعرف نفسه ورثته ويكفيه ذلك في ازالته، فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه اذل من كل ذليل، واقل من كل قليل بذاته، وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله.

اما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى وسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين وما وصل إليه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى أنه كان يأكل على الأرض، ويقول: انما أنا عبدٌ أكل كما يأكل العبد «2».

في ضوء هذه المفاهيم عليكم التواضع لاولادكم ذكورا كانوا ام اناثا، والتواضع يتمثل فقط بالنظر لهم وقد بلغوا ذروة تطلعاتهم وطموحاتهم ورغباتهم الطبيعية، وليس إلى ما درجتم عليه من عادات وتقاليد واعراف، والتسامح فيما تطرحونه من شروط، والقناعة بالحد الادنى مما تطمحون به من الطرف المقابل كي يكون الزواج مباركا مضمون الدوام ويتسنى لكل من الفتى والفتاة العيش معاً باطمئنان بعد الاقتران.

(1) - البحار: 73 / 231.

(2) - البحار: 73 / 201 - 205.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 115

قصه عن التسامح في امر الزواج

كان للعلامة محمد تقي المجلسي «رحمه الله» - وهو فقيه وعالم قل نظيره - ثلاثة أبناء وأربع بنات، وأكبر بناته اسمها آمنة، وقصة زواجها من الملا صالح المازندراني وهو صاحب شرح اصول الكافي في اثني عشر جزءاً قصة عجيبة وشيقة.

وحياة الملا صالح المازندراني - وهو من مشاهير علماء الشيعة - حافلة بالاحداث نجلها فيما يلي:

كان ابوه - وهو الملا أحمد - رجلاً فقيراً بحيث كان عاجزاً عن توفير مستلزمات الحياة لابنه، لهذا قال له: عليك بتدبير امورك بنفسك لانني عاجز عن توفير ما تحتاجه.

فتوجه محمد صالح - وكان يومها شاباً يافعاً - إلى اصفهان وانخرط في احدى مدارسها لتحصيل العلم، ولهذه المدرسة اموال موقوفة حيث يمنح كل طالب ما يتناسب ودرجته العلمية، وحيث ان محمد صالح كان حديث العهد بالدراسة فقد كانت حصته قليلة لا تسد حاجته، لهذا كان يعيش معاناة شديدة حتى انه كان يضطر إلى المطالعة ليلاً تحت ضوء وسائل الانارة التي كانت تضاء في جوانب المدرسة.

الا انه بما كان يتمتع به من جد ومثابرة وهمة عالية تغلب في نهاية المطاف على حياة الحرمان وتسلق المراتب العلمية العالية حتى شق طريقة إلى درس العلامة محمد تقي المجلسي، ولم يطل به المقام حتى استحوز على اهتمام استاذة ولفت انتباهه بتفوقه على جميع اقرانه.

يقول مؤلف مرآة الاحوال: في غضون ذلك كان الملا صالح - ذلك العالم

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 116

الشاب - يفكر بالزواج وقد عرف العلامة المجلسي بذلك أيضاً، وذات يوم وبعد الفراغ من الدرس قال العلامة للملا صالح: اتسمح لي ان اختار لك زوجة؟

فاطرق الملا برأسه ثم اعرب عن موافقته.

فنهض العلامة المجلسي من مكانه ودخل داره ودعا ابنته آمنة - وهي امرأة عالمة استوعبت العلوم غاية الاستيعاب - وقال لها: لقد اخترت لك زوجاً في غاية الفقر غير أنّه في غاية الفضل والصلاح والكمال، والأمر موكل إليك.

فاجابت تك الفاضلة العفيفة: يا أبه! ان الفقر ليس من عيوب الرجال، وبذلك عبّرت عن رغبتها الذاتية في بناء هذه العلاقة، ثمّ اجري عقد القرآن وُزِّت العروس إلى زوجها.

وفي ليلة الزفاف دخل العريس على زوجته ورفع عن وجهها الحجاب، وحين رأى جمالها النادر توجه نحو احدى زوايا الغرفة حامداً ربّه وانهمك بالمطالعة.

وصادف ان حدثت مشكلة يصعب حلّها ففهمت آمنة بما تتحلى به من فراسة وفي اليوم التالي حيث خرج زوجها لغرض التدريس دوّنت حل المشكلة بالتفصيل ووضعت الورقة في مكانه، وحينما وقع بصّر الملا صالح في الليل على ما كتبه تلك السيدة الفاضلة، وراى ان هذه المعضلة قد حُلّت بأنامل هذه الفاضلة العالمة، هوى إلى الأرض ساجداً شاكراً لله واشتغل بالعبادة حتى الصباح، وهكذا استمرت مقدمات الزواج مدة ثلاثة أيام!!

ولما اطلع العلامة المجلسي على الأمر قال للملا صالح: إذا كانت هذه الزوجة لا تعجبك ولا تناسب شأنك فإنّا على استعداد لازوجك غيرها، فقال الملا صالح: كلا ليس هذا هو السبب، بل ان ابتعادي عنها كان من اجل ان اؤدي الشكر لله تعالى حيث منّ عليّ بمثل هذه النعمة التي اعجز عن اداء شكرها مهما حاولت.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 117

وعند سماع العلامة المجلسي لهذا الكلام قال: الاقرار بالعجز عن اداء الشكر لله تعالى هو غاية الشكر.

لا حظوا ان العلامة المجلسي قام بثلاثة امور، أولاً: توفير جميع مستلزمات التعليم لابنته لكسب العلوم على اعلى المستويات حتى بلغت اوج عظمتها العلمية، وثانياً: أنّه جعل منها بنتاً تمثل معدن العفة والطهارة والحياء ومثالاً للاخلاق الاسلامية

والتواضع والقناعة، وثالثاً: سلك في تزويجها اسهل الطرق وزوجها إلى من هو كفوء لها من حيث الايمان والأخلاق والسلوك بعيداً عن التعقيدات، ورابعاً: لم يفرض عليها الزواج من الملا صالح، ولم يُبدِ تكبراً بل أوكل امر اختيار الزوج إليها، وهذا ما أرشدت المعارف الاسلامية الانسان إليه، والأهم من ذلك انه وبعد مرور ثلاثة أيام على وقوع الزواج وامتناع الملا صالح عن الاقتراب من زوجته لانشغاله باداء الشكر لله تعالى تصور العلامة ان هذا الرجل لا يرغب بها فعبر عن استعدادده لتزويجه غيرها ان لم ترق له!!

هذه هي اولياء الله وعشاق الحقيقة والصالحين وخصال العفيفات من البنات المتحصنات بالعقّة والايمان ومن سمات العوائل الطاهرة، ومثل هذا الزواج يطفح بالبركات الالهية وتسود اجواءه الرحمة والألطف الالهية.

وقد رُزق الملا صالح من هذه السيدة العالمة ستة من الأبناء العلماء الفقهاء الادباء المتفوهين وبنيتين فاضلتين، احدهما زوجة ابي المعالي الكبير وهي أم المير ابي طالب وهذا وابوه كانا من مشاهير العلماء.

وكان السيد محمد البروجردي الجد الخامس لآية الله العظمى السيد البروجردي - وهو من احفاد المجلسي الاول عن طريق بناته - صهر المير ابي طالب ومن هنا فقد كان ابناؤه ينسبون أنفسهم إلى اسرة المجلسي، والكرمة الثانية للملا صالح هي زوجة السيد عبدالكريم الطباطبائي الجد السادس لآية الله

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 118

العظمى البروجردي، وهي ام السيد محمد الطباطبائي.

روى عن الائمة المعصومين:

«إن الله عزوجلّ لم يترك شيئاً مما يحتاج إليه وعلمه نبيه (صلى الله عليه و آله) فكان من تعليمه إياه انه صعد المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ايها الناس ان جبرئيل أتاني عن اللطيف الخبير فقال: ان الابكار بمنزلة الثمر على الشجر اذا ادرك ثمارها فلم تحتن أفسدته الشمس، ونثرته الرياح، وكذلك الابكار اذا أدركن ما يدرك النساء فليس لهن دواء إلا البعولة وإلا لم يؤمن عليهنّ الفساد لأتحنّ بشر» 1».

ينبغي على الوالدين الالتفات إلى هذه المسألة المهمة، وهي توفير اسباب الزواج لابنتهم بكل يسر وبساطة حين بلوغها الوعي الضروري للزواج وبلغت السن المناسبة للاقتران بمن ترغب من الرجال، وتمتعت بالقابلية التي تؤهلها للزواج، وبهذا يكونون قد نفذوا ما أمر الله به وينالون بذلك الأجر الجزيل والثواب الجميل.

التقليد عمل شيطاني

تقليد الآخرين من العادات القبيحة التي دأب عليها البعض، ومعناه: ان الشخص العائلة يجعلون من الوضع المادي الراقي الذي يتمتع به الاقارب أو الجيران أو غيرهم ملاكاً لهم ويحاولون التشبث بشئى الطرق وبكل ما اوتوا من قوة التشبه بهم. فتتعلق انظار البنت المادية التي تعيش في ظلها بنات الاقارب، وتبقى غارقة في بحر من الاوهام في أن يكون زوجها أو مراسيم عقد قرانها أو حفل

(1) - الوسائل، 14 / 39، ح 2.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 119

زفافها مماثلاً لما فعلته البنت الفلانية، وبهذا فهي تصر على موقفها في رفض من يتقدم لخطبتها ولا تجدد فيه ما تطمح إليه من مستوى راقٍ من ناحية الثروة والغنى، ويطول بها المقام وهي ترفض الزواج حتى تتجاوز السن المناسبة للزواج وحينذاك ترى انها أصبحت مضطرة للاقتران من رجل طاعنٍ بالسن أو أرمل، أو تفضل البقاء جليسة الدار حتى يتوفاه الموت، وعلى فرض انها تتزوج فيما بعد حينها تكون قد استنفدت عنفوان الشباب وطراوته، وفقدت قدرتها على تحمل متاعب الحياة الزوجية وتربية الاطفال.

فالتقليد اذن يعتبر من العوائق التي تقف في طريق تحقق الزواج، ومن الخصال الشيطانية والعادات المذمومة، وقد نهى القرآن الكريم في الآية 88 من سورة الحجر، والآية 131 من سورة طه عن مراقبة ما يتمتع به اهل الدنيا والأغنياء، كما ورد في الروايات عن الائمة الطاهرين (عليهم السلام) ما مفاده: «مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا».

ينبغي ان يقترن الزواج بالنية الخالصة، ويكون خالصاً لوجه الله، وتكون الغاية منه تطبيق سنة رسول الله (صلى الله عليه و آله) وانجاب الذرية الصالحة، وبناء الحياة الزوجية المقدسة التي تظللها رحمة الله ولطفه.

فاذا ما قام الزواج عى هذه الدعائم سيكون حينها بناءً راسخاً ومحكماً وتفوح البركة بين جنباته وتمنحض عنه ثمارٌ معنوية.

وإذا ما توفرت مقدمات الزواج يتعين على الأقارب الاهتمام بانفاذه وبذل الجهود لتجنب التدخل غير المبرر في هذه السنة
الالهية، والكف عن التقييم المجحف والكلام المثير للفرقة الذي من شأنه تثبيط أمر الزواج.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 120

المهور الغالية

ان قضية المهر في الاسلام تعد قضيه مهمة للغاية ودقيقة، وتحظى ببالغ الاهتمام، وقد أكد الاسلام على المهور الخفيفة،
واعلن رفضه للمهور الغالية، فما كان ذو قيمة واهمية بامكان ان يصبح مهراً وصداقاً للمرأة سواء كان مائلاً أو عملاً، اذ يمكن
ان يكون البستان أو المتجر أو الأرض أو لعقار مهمة أو المال أو التعليم وما شابه ذلك مهراً للمرأة.

وبعد آيات القرآن الكريم هنا لك روايات مهمة وردت عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) والأئمة الطاهرين (عليهم
السلام) في الكتب المعتمدة بهذا الشأن نلفت انتباهكم هنا إلى طائفة منها، وهذه الروايات تؤكد على تخفيف المهور وتجنب
المهور الغالية لانها تدفع الشباب إلى الاعراض عن الزواج وبالتالي بقاء البنات جليسات الدار.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«أفضل نساء امتي اصبحنَّ وجهاً واقلهنَّ مهراً» «1».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«لا تُغالوا بمهور النساء فتكون عداوة» «2»

. نعم، فعند ما يتوجه الشاب لخطبته بنتٍ من اقاربه أو جيرانه أو غيرهم ويواجه بفرض الصداق الباهض الذي لا طاقة له
به، ويمجدانه قد فشل في خطوته نحو الزواج، فإنَّ ذلك يثير الضغينة لديه تجاه البنت واسرتها، ويصاب باليأس ويضيع عمره
بانغماسه في الفساد لاسمح الله، ويتعرض شبابه وحيويته إلى

(1) - البحار: 347 / 103.

(2) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 121

اضرار لا يمكن تفاديها.

يقول الصادق (عليه السلام):

«من بركة المرأة حقّة مؤونتها وتيسير ولادتها ومن شؤمها شدة مؤونتها وتعسير ولادتها».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«لا تُغالوا بمهور النساء فإنّما هي سُقيا الله سبحانه».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله) لامرأة تدعى حولاء:

«يا حولاء والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً، ما من امرأة ثقلت على زوجها المهر إلاّ أثقل الله عليها سلاسل من نار» «1»

. ان المهر الغالي يعد سبباً في عزوف الشباب عن الزواج ووقوعهم في الرذيلة والموبقات، وان من يفرض المهر الغالي شريك في انحراف الشباب وبهذا فهو يستحق العذاب الالهي.

القرآن، المهر الحقيقي للزواج

قال الامام الباقر (عليه السلام):

«جاءت امرأة الى النبي (صلى الله عليه و آله) فقالت زوجني فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): من لهذه؟ فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله (صلى الله عليه و آله) زوجنيها، فقال: ما تعطيتها؟ فقال: مالي شيء قال: لا، فأعادت فأعاد رسول

اللَّهُ (صلى الله عليه و آله)، الكلام فلم يقيم أحد غير الرجل، ثم أعادت فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله)، في المرة الثالثة: اتحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، قال: قد زوجتكها على ما تحسن من القرآن فعلمها إياه» «2».

(1) - مستدرك الوسائل: 14 / 241.

(2) - الوسائل: 3 / 15، ح 1.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 122

عن الرضا (عليه السلام) انه قال:

«أئماً مؤمن خطب إلى اخيه حُرمةً وبذل له خمسمائة درهم فلم يزوجه فقد عَقَّه واستحق من الله عزوجل ان لا يزوجه حوراء» «1».

يُروى ان ام سليم - وهي من نساء الصدر الأول في الاسلام ومن اسرة معروفة واصيلة - كان مهرها اسلام الشاب الذي تقدم لخطبتها، وهي المرأة التي سلَّت زوجها عند وفاة ابنهما ولم تدع الجزع يدب إليه فوهبه الله ولداً أصبح فيما من شيعة علي (عليه السلام) جزاءً لصبره وثباته.

على البنات إذا ما تقدم اليهن مَنْ فيه الكفاءة وابدى الاهل تشدداً في قضية الزواج لا سيما فيما يتعلق بالصدّاق - أن يقفن بوجه الاهل بكل ادب وورعانه، والتصدي لتعنّتهم من خلال بيان التعاليم الاسلامية الصائبة، اذ ان قلة الطمع تعد من خصال الانبياء والأولياء وسمة رفيعة ومتعالية.

لقد جعل رسول الله (صلى الله عليه و آله) مهر بضعته سيد نساء العالمين (عليها السلام) في زواجها من علي (عليه السلام) قليلاً وخفيفاً كي يكون قدوة واسوة لامته، ومن القبيح ان لا تقتفي عوائلنا اثر نبيها في مسألة الزواج لا سيما المهر.

(1) - البحار: 103 / 348.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 123

«وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ»

شروط الزواج في الاسلام

الدين والتدين

الاسلام نظام عقائدي واخلاقي وعملي، والعقيدة في الاسلام عبارة عن ايمان القلب بالحق تعالى وكتبه ورساله وملائكته. والأخلاق عبارة عن التحلي بالتواضع والتأدب والصبر والحلم وسعة الصدر والمحبة والرأفة والعطف واللين والصدق والاخلاص والمواساة والعدالة والكرم والسخاء.

اما العمل في الاسلام فهو عبارة عن الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والتولي والتبري وبر الوالدين وصيانة حقوق من يتعامل معهم الفرد.

وبالطبع فإنّ هذه الامور بجوانبها الثلاثة لا تمثل الاسلام بكل شؤونته، بل هي عيّنات من الاسلام الشامل الكامل الذي يضمن السلامة الدنيوية والأخروية للبشر في جميع شؤونهم.

وبالحقيقة فإنّ الدين يمثل شمس الوجود ونبراس الحياة والدليل نحو الحق تعالى، وهو الذي يعمرّ دنيا الانسان وآخرته، وليس هنا لك جوهرة في الوجود اسمى قيمة من الدين الذي تولى الانبياء جميعهم والأئمة وأولياء الله أمر التبليغ له، ومن آمن به فقد اصطبغ بصبغة الله وفتح امامه ابواب السعادة، ومن ابتعد عنه فقد فتح امامه ابواب الشقاء على مصاريعها، والمتدين يحظى عند الله بنفس المنزل التي يتمتع بها الدين، والمتدين بدين الله هو اسمي البشر وارفع موجود

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 126

واكرم مخلوق على وجه البسيطة.

يقول تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ» «1».

وقد جرى بيان صفات المؤمن في القرآن والأحاديث الشريفة بنحو يفيد أنّ مَنْ اتصف بها هو المؤمن المقبول، منها:

الخشوع في الصلاة، الاعراض عن اللغو، اداء الزكاة، حفظ الفرج، رعاية العهد والأمانة، والمحافظة على الصلاة «2».

وفي موضع آخر:

التواضع في المشي، مواجهة الجاهلين بالوداعة، احياء الليل سجداً وقياماً، الدعاء للخلاص من العذاب، عدم الاسراف أو البخل عند الانفاق، الورع عن الشرك وقتل النفس والزنا، الامتناع عن شهادة الزور، ترك اللغو، النظر إلى آيات الله بعين البصيرة، الدعاء للزواج والذرية بأن يجعلهم الله للمتقين اماماً «3».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«المؤمن دأبه زهده، وهمة ديانته، عزه قناعته، جده لآخوته، قد كثرت حسناته، وعلت درجاته، وشارف خلاصه ونجاته» «4».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«المؤمن دائم الذكر، كثير الفكر، على النعماء شاكر، وفي البلاء صابر» «5».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

(1) - البيّنة: 7.

(2) - المؤمنون: 2 - 9.

(3) - الفرقان: 64 - 74.

(4) - ميزان الحكمة: 1/ 333.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 127

«المؤمن من طاب مسكبه، وحسنت خلقته، وصحت سيرته، وأنفق الفضل من ماله، وامسك الفضل من كلامه» «1».

وبشأن عظمة المؤمن ورد في الروايات:

روي عن الامام الصادق (عليه السلام):

«المؤمن اعظم حرمة من الكعبة».

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«ان المؤمن يُعرف في السماء كما يعرف الرجل اهله وولده وانه لأكرم على الله عزوجل من ملكٍ مقرب».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ان الله جل ثناؤه يقول: وعزتي وجلالي ما خلقت من خلقي خلقاً أحبَّ إليَّ من عبدي المؤمن» «2»

.

الكفو

بعد هذه المقدمة التي تناولنا فيها الدين والتدين من الضروري الالتفات إلى ان اهم الشروط هو كفاءة الزوجين.

والكفو في اللغة تعني النظير والتمثيل، ولا بد من تناظر الزوجين ظاهرياً وباطنياً نوعاً ما، وأهم اوجه التشابه ينبغي ان تتجسد في التدين، بمعنى ان المؤمن كفو المؤمنة بالتزامهما بدين الحق تعالى وتعاليمه، والمتدين كفو المتدينة ومثليها كما ورد في القرآن الكريم: «وَ الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ» «3».

(1) - البحار: 293 / 67.

(2) - البحار: 158 / 71.

(3) - النور: 26.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 128

وقوله تعالى:

«فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» «1».

والطهارة لدى كل من الرجال والنساء تتمثل أولاً بطهارة الباطن وذلك عبارة عن الاعتقاد بالله وانبيائه وكتبه وملائكته والتخلق باخلاق الله.

بناء على ذلك لا يحل للمسلم والمؤمن الزواج من غير المؤمنة أو غير المسلمة، وإذا ما تم مثل هذا الزواج فهو باطل، وما ينتج عنه من ذرية لاشك في أنهم أبناء زنا، كما لا يحل للمسلمة الزواج من غير المسلم لأن مثل هذا الزواج حرام، فالمؤمن والمؤمنة لا يتكافئان مع غير المؤمن وغير المؤمنة، وإذا ما تم الزواج على صورته هذه يكونان قد فتحا امامهما باباً من العذاب يوم القيامة!!

وقد نهي القرآن الكريم بشدة عن اقتران الطاهر أي المؤمن من غير الطاهرة أي المشتركة قائلاً:

«وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» «2».

من هنا، حذاري من تزويج المؤمنة من بناتكم لمن لا يدين دين الحق ويتخبط في مستنقع انكار الحقائق، ولا تُنكحوا المؤمن من شبابكم من تنكر اصول الدين، اذان اول شرط لصحة الزواج هو ايمان كل من الرجل والمرأة ليتم بذلك الارتباط بين نورين ومؤمنين طاهرين طيبين، ويعطي ذلك الارتباط ثماراً طيبة صالحة تتمثل في الذرية الصالحة.

(1) - النساء: 3.

(2) - البقرة: 221.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 129

ولا تتصوروا ان ما يتمتع به الخبيث من الرجال أو الخبيثة من النساء من جمال وثروة وجاهٍ يفضي إلى السعادة والسلامة وادامة الحياة.

ومن الضروري ان لا تتشدد العوائل في مسألة الكفو، فاذا كان الفتى والفتاة متكافئان من حيث الايمان والأخلاق والسلوك الاسلامي ومن حيث الصورة الظاهرية، فهما في نظر الشرع المقدس متكافئان ومتشابهان، وفي زواجهما ستتجلى رحمة الحق عزوجل وبركته.

تأملوا الروايات التالية التي تتعلق بالكفو:

عن أبي عبدالله (عليه السلام) انه قال:

«الكفو أن يكون عفيفاً وعنده يسار»¹.

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا جاءكم من ترضون دينه وامانته يخطب اليكم فزوجوه إن لا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير»²

. وفي رواية اخرى يقول (صلى الله عليه و آله):

«إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إن لا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير»³

. نعم، فالتعنت في أمر الزواج من قبل الأهل وافتعال العراقيل في طريقه، والتشبث بالعادات والتقاليد الخاطئة، وفرض الشروط الصعبة، والبحث عن الجمال والثروة والجاه، كل ذلك مما يؤدي إلى ازدياد حالات الاستمناء واللواط والزنا والضغط العصبي والأمراض النفسية لدى الأبناء والبنات، وكل ذلك فتنه وفسادٌ ستحقيق عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة بالوالدين والأقارب الذين

(1) - البحار: 372 / 100.

(2) - نفس المصدر.

(3) - البحار: 373 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 130

يتعنتون في أمر الزواج.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«أنكحوا الأكفاء وأنكحوا منهم واختاروا لنطفكم» «1».

نعم، ان الايمان والاخلاق والأمانة والصدق لدى كل من الفتى والفتاة تمثل اساساً للكفاءة بينهما، ويتوجب على كل من الوالدين وسائر العوائل الاسراع بتزويجهما بكل يسر، والاحتراز عن الشروط التي تتنافى مع التعاليم الالهية، وتجنب السلوكيات التي تتناقض مع الاخلاق كي ينالوا رضى الباري تعالى ورحمته.

يقول الامام الباقر (عليه السلام):

«ما من زُزاةٍ اشدُّ على عبدٍ ان يأتيه ابن أخيه فيقول زوّجني فيقول: لا افعل أنا أغنى منك».

في مسألة الزواج يجب ان لا يؤخذ التعصب القومي أو القلي بنظر الاعتبار، لان الاسلام رفض مثل هذه العصبية وابطلها.

فلا تجعلوا من الفقر والغنى والانتساب إلى هذه المدينة أو تلك، والانتماء إلى هذه القبيلة أو تلك، ملاكاً للزواج، فالجميع رجالاً ونساءً من أبٍ واحدٍ وام واحدة، ولا فضل لاحدٍ على الآخر قط الا بالتقوى.

رأي الامام السجاد (عليه السلام) بشأن الكفو

عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال: ان علي بن الحسين (عليه السلام) رأى امرأة في بعض مشاهد مكة فأعجبته فخطبها إلى نفسه وتزوجها فكانت عنده، وكان عنده

(1) - البحار: 373 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 131

صديق من الانصار فاعتم لتزويجه بتلك المرأة فسال عنها فأخبر أنّها من آل ذي الجدين من بني شيبان في بيت عليّ من قومها.

فاقبل على علي بن الحسين فقال له: جعلني الله فداك ما زال تزويجك من هذه المرأة في نفسي، وقلت: تزوج علي بن الحسين امرأة مجهولة ويقول الناس ايضاً، فلم أزل أسأل عنها عرفتها ووجدتها في بيت قومها شيبانية، فقال له علي بن الحسين (عليه السلام)، قد كنت أحسبك أحسن رأياً عما أرى، ان الله أتى بالاسلام فرفع به الحسياسة واتم به الناقصة، وكرّم به اللؤم، فلا لؤم على المسلم، انما اللؤم لؤم الجاهلية «1».

بناءً على ذلك، ان الانتماء إلى نفس القبيلة أو المدينة شأنه شأن التناظر بالثروة لا يعد سبباً في الكفاءة، واستناداً إلى ما اقره الاسلام فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ولا لقرشي على غيره إلا بالتقوى، والمسلم كفو المسلمة بما يتمتعان به من إيمان وتقوى واخلق وامانة وعفاف وطهارة وسلامة حتى وان كان أحدهما عربياً والآخر أعجمياً، أو كان أحدهما مدنياً والآخر قروياً، أو كان أحدهما غنياً والآخر فقيراً، أو أبيضاً والآخر أسوداً، أو أن يكون أحدهما ذا قبيلة والآخر منقطع النسب.

كتب مولانا الجواد (عليه السلام) إلى علي بن اسباط:

فهمت ما ذكرت من أمر بناتك وانك لا تجد أحداً مثلك، فلا تفكر في ذلك يرحمك الله، فإن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه وان لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير «2».

لم يجز المؤمن على شيء أخطر وأضرّ من الثروة، فضرر المال أكثر من ضرر

(1) - البحار: 374 / 100.

(2) - البحار: 373 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 132

ذئبين عاثوا في قطع من الأغنام ليس له راع، فهذان الذئبان ماذا سيفعلان بهذه الأغنام؟

قلت: لا يفعلان غير العبث بها.

قال (عليه السلام): صدقت، فإنَّ أقلَّ ضرر للمال هو أنَّ مسلماً يتقدّم لخطبة ابنة مسلم فيردّه أبوها بحجة أنَّ الخاطب لا مال له.

لا تُزوجوا هؤلاء

ورد في التعاليم الالهية: ان الولد امانةً أودعها الله سبحانه ونعمة منه وحسنة للمرء، والمحافظة على الامانة الالهية تتمثل بحسن تربيته دينياً واخلاقياً، واختيار شريك الحياة الصالح له إذا ما بلغ سن الزواج.

ان البنت عندما تغادر إلى بيت زوجها فأنها تتأثر به وبأهله، وكل ما يجري في ذلك البيت انما يجري وفقاً لميول الزوج، فينبغي والحالة هذه أن يكون البيت الذي تتوجه اليه بيتاً اهلياً تقطنه عائلة مؤمنة، وان تتمتع الزوجة بما تيسر لها من حسن الظاهر والباطن، ومن هنا اكد الاسلام في نهي عن تزويج من يفتقد الشروط التي حددها الشرع المقدس.

جاء في رواية عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«أما النكاح رُقٌّ فاذا انكح أحدكم وليدَةً فقد ارفَّها فليُنظر أحدكم لمن يُرُقُّ كريمته» «1»

. فلا يجوز تزويج من لا يعتقد بدين الحق ولا يلتزم بما فرضه الله من العقائد الحقّة، وذاك ما عبّر عنه في كتاب الله بالفاسق.

(1) - البحار: 371 / 103.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 133

ولا يحل تزويج من ساء خلقه وانغمس بالتكبر والتفاخر والحسد والبخل والطمع وبذاءة اللسان.

وتزويج الجاهل والسفيه والأبله الذي لا يقوى على ادارة شؤون حياته ولا يجلب للمرأة سوى المشاكل يعد منافياً لتعاليم الشرع الحنيف وابتعاداً عن الانسانية.

ولا يجوز أبداً تزويج شارب الخمر واللئيم الذي لا يتورع عن ارتكاب ما حرّم الله.

وفيما يلي نسترعي انتباهكم إلى هذه الطائفة من الأحاديث المهمة في هذا المجال:

قال النبي (صلى الله عليه و آله):

«من زوّج كريمته من فاسقٍ نزل عليه كلّ يومٍ ألفُ لعنةٍ».

كتب حسين بن بشار إلى الكاظم (عليه السلام): إنّ لي قرابةً قد خطب إليّ وفي خلقه سوءٌ قال (عليه السلام) لا تزوّجه ان كان سيّء الخلق «1».

وقد نهى الامام الصادق (عليه السلام) مستنداً إلى ما ورد في الآية 5 من سورة النساء عن تزويج السفه والجاهل الذي لا يتمتع بالأهلية لانه يتصرف بالاموال ولا يمكن الاطمئنان إليه في الجوانب الاجتماعية والفردية واداء الامانة.

قال النبي (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ شَرِبَ الخمر بعد ما حرّمها الله على لساني فليس بأهلٍ ان يُزوّج إذا خطب».

وقال الامام الرضا (عليه السلام):

«واياك ان تُزوّج شارب الخمر، فإنّ زوّجته فكأنما قدّمت إلى الزنا».

(1) - البحار: 103 / 235.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 134

أجل، فمن لا يتمسك بالفرائض الالهية ولا يتورع عن الفسق والفجور، وفاقد الارادة الذي لا يحترز عن تناول المشروبات الكحولية، ليس أهلاً بأن يؤتمن على امرأةٍ طاهرةٍ ومؤمنة تعد امانة الهية، اذ ان ذلك لا يجر إلى ضياعها فحسب، بل ان ما تنجبه من ذلك المنحرف سيتأثرون سلباً به، وقد أوضح الامام الصادق (عليه السلام) هذه الحقيقة قبل ان يتوصل اليها العقل البشري، إذ قال (عليه السلام):

«الحرام يبين في الذرية» «1».

لا تتزوجوا من هذه النساء

مثلاً یحرم الاسلام تزویج طائفة من الرجال ومن بينهم الفاسق والسفيه وسوء الخلق وشارب الخمر، ويحافظ على حرمة المرأة ومنزلتها من خلال منع تزويجها ممن كان بين هذه الاصناف، فانه لا يسمح للمؤمنين من الشباب ان يتزوجوا من افتقدت الشروط التي يفرضها الاسلام.

وقد وردت روايات مهمة بهذا الشأن في الكتب المعتمدة، نشير إلى طائفة منها.

عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«إياكم وتزوج الحمقاء، فإن صحبتها ضياع وولدها ضياع» «2».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«إياكم وخضراء الدمن قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في منبت السوء» «3».

وكان (صلى الله عليه و آله) في دعائه:

(1) - الوسائل: 17، «ب» 1، ص 81، الرواية 22043.

(2) - البحار: 103/232 - 237.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 135

«اللهم اني اعوذ بك من ولد يكون عليّ ربا، ومن مال يكون عليّ ضياعاً، ومن زوجة تشيبي قبل اوان مشيبي ومن خليلٍ مأكٍ».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«شرار نساءكم العُقرَة، الدَّنسَة، اللجوجَة، العاصیَة، الذلیلة فی قومها، العزیزَة فی نفسها، الحصانُ علی زوجها، الهلول علی غیره» «1».

وقال (صلی الله علیه و آله) أيضاً:

«الشؤم فی ثلاثة: فی المرأة والدابة والدار، فاما شؤم المرأة فکثرة مهرها وعقمُ رحمها».

وقال (صلی الله علیه و آله):

«شر الاشیاء المرأة السوء» «2».

وقال أميرالمؤمنین (علیه السلام):

«شرُّ الزوجات مَنْ لا تؤتی» «3».

وقال رسول الله (صلی الله علیه و آله):

«الا أخبركم بشرار نساءكم؟ الذلیلة فی أهلها، العزیزَة مع بعلها، العقیم الحقود، التي لا تتورع عن قبیح، المتبرجة إذا غاب عنها بعلها، الحصان معهُ إذا حضر، لا تسمع قوله ولا تطیع أمره، وإذا خلا بها تمنّعت كما تمنّعت الصعبة عند ركبها، ولا تقبلُ منه عذراً، ولا تغفر له ذنباً» «4».

(1) -

(2) - المستدرک: کتاب النکاح، الباب 6 و 8.

(3) - نفس المصدر.

(4) - البحار: 235 / 100.

«النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»

البحار: ذاريات 220 / 103

9

طريقة اختيار الزواج

الناقص مطرود من رحمة الله

ورد في رواية عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال:

«الناقص ملعون».

لا شك في ان الناقص لا يعني من فقد عينه أو يده أو رجله، أو مَنْ وُلِدَ بعاهةٍ، بل الناقص من لم يبادر إلى طلب العلم ولم يتخلق بفضائل الاخلاق ولم يقيم بالاعمال الصالحة ولا همَّ له سوى الاكل والنوم وارضاء الشهوة.

ان الانسان يمتلك الأرضية اللازمة لبلوغ كافة الكمالات والحقائق، وعليه السعي والتحرك في هذا المجال، وان يكون مثابراً ونشيطاً ويعمل على سدِّ ما يعتريه من نواقص على الصعيد الفكري والروحي ما دام حياً، ولا يركن إلى الخمول والسكون، فهو ان لم يبادر إلى ازالة ما فيه من نواقص وبقي خاملاً فاقداً للحركة يغدو كالماء الراكد الذي تعفن واصبح كريه الرائحة، وبذلك يلعنه الله ويطرده عن بحبوحة رحمته.

وللاسف فإنَّ البعض يبلغ من العمر سبعين أو ثمانين عاماً ألاَّ الله لم يزل من حيث العقل كالطفل في سنته الأولى، وكالطفل في الخامسة من عمره من حيث الاخلاق والسلوك، إذا أنهم لم يتزودوا من المواهب المعنوية التي افاض بها الباري تعالى كالكتب السماوية والأنبياء والأئمة والعرفاء والحكماء، وانكبوا على حشو بطونهم كالحيوانات والاعتناء بشكلهم الظاهري ونفخوا نطفتهم التي لا تعدل في وزنها بضعة غرامات حتى بلغت ثمانين أو تسعين كيلو غرام!!

لقد كان بوسع هؤلاء ان يحوّلوا براعم وجودهم إلى دوحَةٍ طيبةً ويصنعوا من

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 140

ذواتهم معیناً لا ينضب من الكمالات والحقائق، بيد ان الامور المادية قد عزّتهم ولم يهّموا بشيء سوى بناء الجسد الحيواني، وبقوا يراوحن منذ أول يوم جاؤوا فيه إلى هذه الدنيا فقراء ناقصين، وبالرغم مما في حوزتهم من اعمال وتجارة ومراكز ادارية واموال وثروات وعيال وذاري إلا أنهم ناقصون.

وبسبب نقصهم فهم مضرون، إذ أنهم يرتكبون ما شأوا من المعاصي والموبقات، فيتجاوزون على حقوق الآخرين ولا يتورعون عن ارتكاب المظالم، وفي الوقت الذي يقتاتون على مائدة الانعام الالهي يضعون ايديهم بيد اعداء الله، أي شياطين الجن والانس دون حياد وعلى كافة الاصعدة.

نقرأ في رواية عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ما يلي:

«من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في نقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة»¹.

وثمة رواية أخرى عن الامام الصادق (عليه السلام) مقارنة في مضمونها إلى الرواية المتقدمة وردت في الكتب الشيعية المعتبرة².

وفي رواية أخرى عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) نقرأ:

«الكاسب حبيب الله».

لا شك في ان ارقى الكسب وافضل التجارة يتمثل في كسب الفضائل والحقائق والمبادرة إلى التزود من المعارف الالهية والكمالات والمحاسن الأخلاقية والانسانية.

والكاسب في مثل هذه المجالات يعد حبيب الله، هذه المنزلة التي حازها

(1) - البحار: 327 / 78، البحار: طبعة بيروت 327 / 75.

(2) - البحار: 173 / 71.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 141

رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ويصبح وجوده زاهراً بالعظمة ويتحول إلى مخلوق بالغ الاهمية.

هيا بنا كي نتحرز عن النقصان ونجنب انفسنا ان يتساوى يومانا وان لا نقنع بالقليل من الكمال، اذ من قل نصيبه من الامور المعنوية والنمو العقلي والكمال الاخلاقي والعملي فهو ملعون ومغبون وخفيف الميزان عند الحساب، وبالتالي فهو مستحق للعذاب، أما من ثقلت موازينه المعنوية أو بتعبير آخر ثقل إيمانه واخلاقه وفعله فهو الفائز والناجي.

وفي هذا المجال تأملوا هاتين الآيتين:

«وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ». «1»

سبيل الكمال

في القرآن الكريم وضمن دعوته تعالى كافة البشر إلى سلوك طريق الكمال، يوصيهم سبحانه باستحصال امرين مع مراعاة الشروط الاسرية والانسانية، والأمران هما: سلوك سبيل الحياة المادية وسلوك سبيل الحياة المعنوية، وقد جرى بينهما على مدى اربع آيات من سورة آل عمران، اذ يقول تعالى:

«زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ* قُلْ أَ تُبْشِّرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ* الَّذِينَ

(1) - الاعراف: 8 و 9.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 142

يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُتَّقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ» 1.

وقد جاء فعل «زَيْن» في الآية الكريمة مبني للمجهول، وإيراده بهذا النحو ربما كان لبيان أهمية الفعل وعظمته، وعليه ينبغي القول ان الفاعل هو الله سبحانه، فهو تعالى الذي سخر هذه الأشياء للبشر كي يركنوا ويرغبوا إليها بما تقتضيه رغبتهم، ومن خلال ذلك ينطلقون نحو بناء حياتهم عن طرق التزواج وكسب المال وتسخير الحيوانات وعماره الأرض، وبذلك يصلون إلى مرامهم بالانتفاع من الحياة المادية هذا من جهة، ومن جهة أخرى التزود بالتقوى والایمان والتضرع والخشية من العذاب الاخروي والسعي لكسب الصبر والصدق، والتعبد والانفاق والاستغفار كي ينالوا جنات الخلد ورضوان من الله والحرور العين.

على اية حال، على ضوء ما ورد في القرآن الكريم، فإن ما تتميز به المرأة من نعومة وجمال الصورة والحياء والصوت الرقيق والاناقة الاخاذة، كل ذلك يضفي عليها جمالاً يخطف فؤاد الرجل ويجذبه نحوها واثارة شهوته، ويعد سبباً مهماً في تبلور الرغبة لديه في الزواج وبناء الحياة الزوجية وانجاب الذرية، والسعي والنشاط للعمل في الحقول التجارية والزراعية من أجل تأمين الجانب المادي من حياته واستمرار الكيان الاسري، وإذا ما اقترن ذلك بالالتزام التقوى والورع عن المعاصي، وصاحبه الايمان وزينته المناجاة والتحلي بالصبر والصدق والعبادة والانفاق والاستغفار بالاسحار، فإن ذلك يعني ضمان السعادة بشقيها الدنيوي والاخروي والخير بركنيه المادي والمعنوي، وسيحظى الانسان

(1) - آل عمران: 14- 17.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 143

بمتع الدنيا ونعم الآخرة، والأهم من ذلك الفوز بالرضوان الابدی من لدن الباری جلّ وعلا.

طريقة اختيار الزوج في الاسلام

تختلف طريقة اختيار الزوج عند الاديان أو المذاهب التي فقدت رونقها أو طابعها الالهي، أو أنها لم تكن تتسم بالصبغة الالهية منذ البداية، عنها في ظل الاسلام.

فالاسلام لا يسمح للمسلم بأن يتزوج مَنْ يشاء، كما لا يجوز للمرأة المسلمة الاقتران بمن شاءت، فعند اختيار الزوج ينبغي الاخذ بنظر الاعتبار تحقيق خير الدنيا والآخرة والسعادة حاضراً ومستقبلاً، والمحافظة على الانسان طاهراً من الادران، وصيانة الحياة من الممارسات الشيطانية، ففي نظر الاسلام ليست الشهوة والمتعة واللذة الجسمية والمادية هي المقصود الجوهرى من الزواج، بل ان الهدف الذي يرمي الاسلام إلى تحقيقه من وراء عملية الزواج هو المحافظة على تدين الرجال والنساء وبناء بيت الهى وانجاب الذرية الصالحة وضمان رضى الحق تعالى، من هنا فإنّ الزواج في هذا الاطار والتودد للزوجة وقضاء الحاجة الجنسية بالمستوى الذي تقتضيه رغبة الزوج والزوجة ورعاية الحقوق المتبادلة وانجاب الاولاد وتربيتهم وانجاز الواجبات الضرورية والعمل والسعي لتوفير السكن والملبس والطعام للزوجة والأولاد، كل ذلك يعتبر في عدد العبادات، وقد كُتب الاجر الجميل والثواب الجزيل للمرء في كلّ خطوة يخطوها على هذا الطريق.

هنا تتضح العلة في تأكيد الاسلام على الكفاءة، وهذا ما يدفع الانسان إلى الازدعان بكل وجوده ازاء الضوابط التي يحددها الاسلام في الزواج ويعترف بان

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 144

السنة الفتنة ستستعر في جميع مرافق الحياة إذا لم تراعى هذه الضوابط ويتحول الجو الأسري إلى جو يعصف بالمتاعب والمنغصات والحن والمكابدات وينتهي الأمر إلى الطلاق أو تجرع المرارة إلى الأبد أو إلى الجنون أو انتحار أحد الطرفين فيما إذا افتقد لقابلية التحمل.

عليكم الابتعاد عن المرأة التي لا تعينكم على ارتقاء سلّم الكمال الفكري والعقلي ولا تعينكم على تسليق مدارج الكمال من خلال التحلي بالايمان والأخلاق والتقوى، وتجنب الاقتران بالمرأة التي ولدت في بيت بعيد عن عبادة الله وتوحيده والأخلاق والتقوى ولا تجلب للرجل سوى الافتتان والفساد والغواية والهلكة.

ثمة رواية مهمة للغاية عن الامام الباقر (عليه السلام) في هذا المجال:

«مرّ رسول الله على نسوة فوقف عليهن ثم قال: ما رأيث نواقص عقول ودينٍ أذهب بعقول ذوي الالباب منكنّ، اني قد رأيث انكنّ أكثر اهل النار عذاباً فتقربن إلى الله ما استطعن...» «1»

. وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«أغلبُ الاعداء للمؤمن زوجة السوء» «2».

وجاء في رواية اخرى:

«أول ما عُصِي الله بستّ خصال: حبُّ الدنيا، وحبُّ الرئاسة، وحبُّ النوم، وحبُّ النساء، وحبُّ الطعام، وحبُّ الراحة»
«3»

. من هنا عليكم الالتزام بما فرضه الاسلام من ضوابط في مسألة اختيار

(1) - الوسائل: ابواب مقدمات النكاح.

(2) - البحار: 240 / 100.

(3) - الوسائل: أبواب مقدمات النكاح، الباب 4 والبحار: طبعة مؤسسة الوفاء 225 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 145

الزوج، تلك الشروط التي ساتطرق اليها من خلال ايراد الروايات الواردة، والسعي ان لا يكون الجمال وحب الزواج والتعلق بأموال المرأة وثروتها دافعكم الوحيد في الزواج.

عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) انه نهي ان ينكح الرجل المرأة لماها أو لجمالها، وقال:

«مالها يطغيها وجمالها يغويها، فعليك بذات الدين» «1».

وفي رواية، قال (صلى الله عليه و آله):

«ان كان الشؤم في شيء ففي النساء» «2».

نعم، فالمرأة التي لا تتحلى بالمعرفة والايمان والأخلاق الفاضلة وحسن المعاملة والوقار والكرامة تعتبر مصدر شقاء للرجل وسبباً في انحراف الحياه وهلاك الرجل.

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«شرّ الاشياء المرأة السوء» «3».

قصه مدهشة

جاء في تفسير أبي الفتوح الرازي: ان شاباً كان يرتقي المأذنة للاذان في أحد المساجد، وذات يوم ادار بصره نحو المنازل المحيطة بالمسجد والقي عليها نظرة - النظرة التي حرمها الاسلام حرصاً على مصلحة الانسان وحفاظاً عليه من الافتتان بالحرام - فوقع بصره على شابة في أحد البيوت ذات جمال وحسن

(1) - مستدرک وسائل: النکاح الباب 13.

(2) - البحار: 227 / 100.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 146

فافتتن بها، وبعد فراغة من الاذان توجه نحو تلك الدار وطرق الباب ففتح صاحب الدار الباب فبادره الشاب: الا تزوجني ابنتك؟ فإنا ارغب بالزواج منها، فقال له الرجل: نحن من النصارى، فلو دخلت في ديننا زوجتك ابنتي.

فقبل الشاب ذلك الشرط اذ انه افتتن بالجمال واهمل شرطذ الكفاءة في اختيار الزوجة وجعل من النظرة والشهوة والجمال دليلاً له في أمر الزواج، وخرج من الاسلام إلى الشرك، وفي يوم عقد قرانه من تلك البنت هوى من أعلى سلم الدار إلى الارض فهلك.

ضوابط اختيار الزوجة

1- من الضروري ان توفر العوائل اسباب اللقاء بين الخطيبين قبل الزواج، ولا يلزم في هذه الحالة اجراء صيغة العقد، وهذا ما اجازه الاسلام، ولا يرى الفقه الاسلامي مانعاً لحصوله، فهذا اللقاء ضروري بالنسبة لهما كي يتعرف كل منهما على

الكمالات والعيوب الظاهرية للآخر، ومن ثم اتخاذ القرار بالاضافة إلى سد الطريق امام الاشكالات والمؤاخذات التي قد تحصل بعد الزواج.

وبطبيعة الحال ينبغي ان تكون النية من هذا اللقاء الزواج، وان يُحتمل القبول أو عدمه كي تحافظ اجواء العملية على طهارتها ونقاؤها.

تأملوا الروايات الواردة بهذا الصدد:

قال النبي (صلى الله عليه و آله) للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة:

«لو نظرت إليها فإنه أحرى ان يدوم بينكما».

وقال محمد بن مسلم:

سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن الرجل يريد ان يتزوج المرأة اينظر اليها؟ قال: نعم

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 147

انما يشترها باغلى الثمن «1».

ويقول حسن السري:

قلتُ لأبي عبد الله (عليه السلام) الرجل يريد أن يتزوج المرأة يتأملها وينظر إلى خلفها وإلى وجهها؟ قال نعم لا بأس ان ينظر الرجل إلى المرأة إذا اراد ان يتزوجها ينظر إلى خلفها وإلى وجهها «2».

وقال رجل للامام الصادق (عليه السلام):

اينظر الرجل إلى المرأة يريد تزويجها فينظر إلى شعرها ومحاسنها، قال: لا بأس بذلك إذا لم يكن متلذذاً، وفي خبر: وتقوم حتى ينظر إليها؟ قال: نعم وترقق له الثياب «3».

وقال (صلى الله عليه و آله) لصحابي خطب امرأة:

«انظر إلى وجهها وكفّيتها».

مثل هذه الروايات تريد القول: ان من وقع اختياره على امرأة ما زوجة له بعد التحريات اللازمة حول اسرتها واخلاقها وايمانها، فلا مانع من ان ينظر إليها للتعرف على مزاياها البدنية من قبيل الشعر والشكل والجمال والطول اذ ربما تعاني من نقصٍ أو عيبٍ، أو انه يشاهد فيها عيباً بعد يؤدي إلى خيبة امله أو ينتهي بهما إلى الطلاق، وهنا لا يحق له التنقل من دار إلى دار ليستعرض نوااميس المسلمين أو يتفحص النساء علّه يصيب منهن إذا شاء.

2- بعد قبوله المرأة ورغبته في الزواج منها عليه ان يجعل من نيته بالاقتران

(1) - وسائل الشيعة: ابواب مقدمات النكاح، الباب 36.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 148

منها عملاً في سبيل الله إلى جانب حسنها وجمالها وشمائلها الفاتنة، وان يسير في هذا الطريق بنية تنفيذ الاحكام الالهية واجراً سنة انبياء الله لا سيما الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله)، وقد وردت رواية مهمة عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بهذا الصدد أي المبادرة إلى الزواج بقصد التقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه - اذ قال (صلى الله عليه و آله):

«من نكح وانكح لله استحق ولاية الله» «1».

نعم، فمثل هؤلاء ممن تشملهم الآية الكريمة:

«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» «2».

ان الله سبحانه يحب الزواج والانجاب، من هنا فقد منّ على زكريا يحيى وعلى ابراهيم اسماعيل وهما في سنّ الشيخوخة، وخطب رسوله (صلى الله عليه و آله) في احدى آيات كتابه بالقول:

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً» «3».

3- ليس من الصواب الاستعجال في عملية الزواج، فقد ورد في المأثور ان العجلة من عمل الشيطان، فيجب ان تسير عملية اختيار الزوجة بدقة وتريث وتأن وبعد مشورة واطلاع كامل عنها وعن اسرتها لئلا تחדش مشاعر الطرفين ويتسبب ذلك بوقوع ازيمات نفسيه.

يقول الامام الصادق (عليه السلام):

«انما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد» 4».

4- في الروايات الواردة في كتب الشيعة عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) وآله الطاهرين (عليهم السلام) جرى بيان مزايا المرأة الجديرة بان تكون زوجة للرجل المؤمن

(1) - المحجة البيضاء: 3 / 54.

(2) - البقرة: 257.

(3) - الرعد: 38.

(4) - البحار: 233 / 100 طبعة مؤسسة الوفاء.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 149

أو الشاب المسلم.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا أراد أحدكم ان يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإنّ الشعر أحد الجمالين» 1».

5- 13- قال جابر بن عبد الله الأنصاري: كنا جلوساً مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) فذكرنا النساء وفضل بعضهن على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«الا أخبركم؟ قلنا بلى يا رسول الله أخبرنا، فقال: ان من خير نسائكم الولود الودود، الستيرة العزیزة في أهلها الذلیلة مع بعلمها المتبرجة مع زوجها الحصان عن غیره التي تسمع قوله وتطیع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ولم تبدل له تبدل الرجل».

14- 18- قال أميرالمؤمنین (عليه السلام):

«خير نساءكم الخمس فقیل ما الخمس، قال: الهیئة اللینة المواتية التي إذا غضب زوجها لم تکتحل بغمض حتى یرضى، والتي إذا غاب زوجها حفظته في غيبته فتلك عاملة من عمال الله لا تخيب».

19- قال الامام الباقر (عليه السلام):

«أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه و آله) يستأمره في النکاح فقال (صلى الله عليه و آله): نعم إنکح وعلیک بذوات الدين تریّت یداک، وقال: انما مثل المرأة الصالحة مثل الغراب الاعصم الذي لا یکاد یقدر علیه، قال: وما الغراب الاعصم؟ قال: الا بیض احدى رجلیه».

20 و 21- عن ابراهیم الکرخي قال: قلت للامام الصادق (عليه السلام) إن زوجتي ماتت وكانت لي زوجة صالحة وقد هممت أن أتزوج فقال:

«انظر ابن تضع نفسك ومن تشکره في مالک وتطلع له على دينک وسرک وامانتک فإن كنت لا بد فاعلاً فبکراً تُنسب

(1)- الحبار: 237 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 150

إلى الخير وإلى حسن الخلق» 1.

22- قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ان من القسم المصلح للمرء المسلم ان تكون له امرأة إذا نظر إليها سرته وان غاب عنها حفظته وان امرها اطاعته».

23- قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«أفضل نساء امتي أصبحهنَّ وجهاً وقلهنَّ مهراً» «2».

24- عن أميرالمؤمنين (عليه السلام): «أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: أخبروني أيُّ شيء خيرٌ للنساء؟ فقالت فاطمة (عليها السلام):

أن لا يرينَ الرجال ولا يراهنَّ الرجال، فاعجب النبي (صلى الله عليه و آله) وقال: ان فاطمة بضعةٌ مني» «3».

25 و 26- قال الصادق (عليه السلام):

«خير نساءكم التي أن اعطيت شكرت وان مُنعت رُضيَتْ» «4».

27- 30- قال الصادق (عليه السلام):

«خير نساءكم الطيبة الريح، الطيبة الطيبخ التي إذا انفقت بمعروف، وإذا امسكت امسكت بمعروفٍ، فتلك عامل، من عمال الله، وعاملُ الله لا يخيب ولا يندم».

31- قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«اعظم النساء بركة ايسرهنَّ مؤونة».

32- 34- قال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«خيار خصال النساء شرار خصال الرجال، الزهو والجبن والبخل فاذا كانت المرأة

(1) - البحار: 232 / 103.

(2) - البحار: 236 / 100.

(3) - البحار: 238 / 100.

(4) - البحار: 239 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 151

ذات زهو لم تمكّن من نفسها، وإذا كانت بخيلةً حفظت مالها ومال بعلمها وإذا كانت جبانةً فرقت من كل شيء يعرض لها»
«1».

35- 38- قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«تزوجوا الابرار فإنهم اعذب افواهاً، وارتق ارحاماً، واسرع تعلماً، واثبت للمودة» «2».

39 و 40- قال الصادق (عليه السلام):

«خير نسائكُم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء، وإذا لبست لبست درع الحياء».

هذه هي الخصال التي لابدّ من توفرها في المرأة والزوجة المؤمنة، ويترتب على الشاب المسلم البحث عن هذه الخصال اثناء اقباله على الزواج، واتخاذ من توفرت بها الشروط قدر الامكان زوجةً له واماً لذريته، والسعي في أن لا يقع في قبضة التشدد غير المبرر والوسوسة اثناء اختياره للزوجة، فالوسوسة والتحري الزائد عن الحد يعقّد الامور وينتهي بعملية الزواج إلى طريق مسدود.

(1) - البحار: 238 / 100.

(2) - البحار: 237 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 153

«وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنَا لِمُنْتَقِينَ إِمَاماً»

الفرقان / 74

10

التباحث حول الزواج

ثمة ترتيبات متبعة بين المسلمين بالنسبة للزواج، فبعد الفراغ من التحريات الضرورية يجلس ذو وكل من الرجل والمرأة للتباحث حول المهر ومراسيم عقد القرآن والزفاف.

ينبغي ان ينصب سعي الاسر على تقديم الاجابة الصحيحة عن الاسئلة والاستفسارات التي تطرح حول العريسين والتي تأتي في اطار الشرع المقدس وما يقره العقل.

يجب عليهم بيان السن الحقيقي لكل من الرجل والمرأة، وعمل الرجل ودخله واخلاقه وسلوكه ومنهجه في الحياة ومن يعاشره، وبيان مستواه العلمي بكل صدق وصراحة، والتصريح بما يعانيه من عيب، فرمما يمكن التغاضي عن ذلك العيب، كما ينبغي لاسرة المرأة ابداء ما بوسعهم من صدق وانصاف بالاجابة على الاسئلة التي تطرح بشأنها وان لا يستوحشوا الصدق في القول، حيث ان بيان جميع المعلومات الضرورية من شأنه سد الطريق امام كافة المؤاخذات التي قد تحصل لا حقاً وبمنع وقوع أي ازمة أو اختلاف أو فراق في المستقبل ويجول دون تدهور العلاقات بين الاسرتين واثارة القيل والقال بينهما.

وعلى هذا الصعيد يعتبر اللجوء إلى المكر والحيلة والخداع وسلوك سبيل التزوير والتدليس واخفاء العيوب، عملاً منافياً للاخلاق ومحرم شرعياً وذنباً لا يغتفر، وهو بمثابة النار التي سيعمي دخانها في نهاية المطاف عيون الزوج

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 156

والزوجة ومن ثم عيون ذويهما.

فيما سيؤول الصدق والصراحة إلى صيانة كلتا الاسرتين من الازمات والعواقب الوخيمة والمصائب ويمهد السبيل امامهما من اجل اتخاذ القرار الصائب ويكون سبباً في فلاحهم ونجاحهم جميعاً.

وطالما أدى التدليس والخداع والمكر والتحايل إلى انهيار عقد النكاح واسقاط المهر أو فسخ العقد قبل الزواج وهذا حق منحه الاسلام للطرف المغبون.

وقد نهي القرآن الكريم والسنة المقدسة عن ممارسة الخداع والمكر والتدليس، وفي كليهما ورد التأكيد على استحقاق المخادع للعذاب الالهي في الدنيا والآخرة.

يقول (صلى الله عليه و آله):

«ليس منا مَنْ مكر مسلماً» **«1»**.

ويقول أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«المكر بمن ائتمنك كفر» **«2»**.

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«مَنْ مكر حاق به مكراً» **«3»**.

وفي الخطبة 193 من نهج البلاغة يقول (عليه السلام) واصفاً المتقي:

«ولا دنؤه بمكرٍ وخديعة».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله):

(1) - البحار: 285 / 75.

(2) - ميزان الحكمة: 166 - 167.

(3) - ميزان الحكمة: 166 - 167.

«من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فإني سمعت جبرئيل يقول: ان المكر والخديعة في النار».

وقد وردت تفاصيل المسائل المتعلقة بالتدليس واخفاء عيوب الرجل والمرأة وممارسة الخداع والتحايل، وباختصار، ما يرى ذمة الرجل أو المرأة عن مواصلة الحياة الزوجية، أو الطلاق، أو ترك المرأة دون طلاقها أو الزام الرجل بالمهر، أو اسقاط المهر والصداق، كل ذلك ورد في الصفحة 361 وما يليها من الجزء المائة من كتاب بحار الانوار طبعة مؤسسة الوفاء، وفي ابواب النكاح من الرسائل العملية لمراجع الدين.

وجوب دفع المهر

بعد التباحث بين الاسرتين أو الخطيبين يتعين عليهم التوصل إلى اتفاق حول الصداق وفقاً للقواعد الشرعية بنحو لا يكون في الأمر افراط ولا تفريط.

وبطبيعة الحال، كلما ابدي التسامح في المهر وكان عند حد الاعتدال كان مبعثاً لمزيد من رضا الباري تعالى، وقد أكد ائمة المسلمين على عدم التعنت في مسألة المهر بغية التمهيد لتزويج الابناء والبنات بيسر وسهولة.

على الاسر ان لا تتصور بأن غلاء المهر يعد سبباً في استحكام الحياة الزوجية واستمرارها، فما أكثر النساء من ذوات المهر العالي قد عدنَّ إلى بيوت آبائهن بخفي حنين تخيم عليهن الذلة وفقدنَّ ماكنَّ به من استقرار روحي.

عليكم الاعتماد في هذه الامور على فضل الله ورحمته، والاحتراز عن كل ما من شأنه إثارة المتاعب والشعور بالصغار والمهانة لدى احد الطرفين.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 158

وإذا ما اتفقوا على المهر وجرى تحديد مقداره بعد موافقة الطرفين الرئيسيين، أي العريس والعروس، عند اجراء صيغة العقد يتعين على الزوج دفع نصف مبلغ المهر فيما يؤجل النصف الآخر كدين في عنقه إلى ما بعد الزواج والدخول بالزوجة، اما إذا دفعه اثناء اجراء عقد النكاح حينذاك تبرأ ذمته وتكون الزوجة قد حصلت على حقها شرعاً وقانوناً.

على الشباب الالتفات إلى ان دفع المهر واجبٌ ويحرم الامتناع عن ادائه.

ان وجوب دفع المهر يعد حقيقة ورد التصريح بها في القرآن الكريم في الآيات 236-237 و 241 من سورة البقرة، والآية 4 من سورة النساء والآية 27 و 28 من سورة القصص والآية 49 من سورة الاحزاب مما لا يفسح المجال امام أي كان لا يحاف المرأة حقها في هذا المجال وغيره من المجالات.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«من ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زانٍ، يقول الله عزوجل يوم القيامة: عبي زوجتك أمتي على عهدي فلم توف بعهدي وظلمت أمتي فيؤخذ من حسناته فيدفع اليها بقدر حقها، فإذا لم تبقى له حسنة أمر به إلى النار بنكته للعهد إن العهد كان مسؤولاً» «1».

ويقول الامام الصادق (عليه السلام):

«السراق ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحل مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينو قضاءه» «2».

وعن الرضا (عليه السلام) عن ابائه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ان الله تعالى غافر كل ذنب إلا من جحد مهراً أو اغتصب أجيراً أجره، أو باع رجلاً

(1) - البحار: طبعة مؤسسة الوفاء: 349 / 100.

(2) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 159

حرّاً» «1».

وقال الصادق (عليه السلام):

«اقدر الذنوب ثلاثة: قتل البهيمة، وحبس مهر المرأة، ومنع الاجير أجره» «2».

وقد تواترت التوصيات من لدن ائمة المسلمين إلى النساء فيما إذا رأين الاجواء مناسبة للتنازل عن المهر لازواجهن فلا يتقاعسن عن الارتقاء إلى هذه المرتبة الاخلاقية السامية التي تنم عن الجود والكرم والسخاء والعظمة.

في رواية عن النبي (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«ما من امرأة تصدقت على زوجها بمهرها قبل ان يدخل بها الا كتب الله لها بكل دينار عتق رقبة، قيل يا رسول الله فكيف الهبة بعد الدخول؟ قال: انما ذلك من المودة والالفة» **«3»**.

جهاز العروس

هنالك سئة سائدة بين المسلمين تتلخص في مبادرة ولي أمر العروس إلى اعداد جهاز فلذة كبده تعبيراً عن ابوته نحوها ومحبة الاسرة لها.

على اسرقي كل من العريس والعروس الالتفات إلى ما يلي: ينبغي للعريس وعائلته ان لا يغفلوا التزام القناعة التي تعد من خصال الانبياء والاولياء والميزة التي تحظى برضى الحق تعالى، وان ينظروا بعين القناعة والرضا والاهتمام إلى ما اعدته اسرة العروس بما تمكنت عليه ووسعته طاقتها، لئلا يحدث ما من شأنه

(1) - البحار: 350 / 100 - 351.

(2) - البحار: 351 / 100.

(3) - البحار: 351 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 160

التقريع والاستصغار والتحمل على حشيات الآخرين، ويتعين على ولي أمر الزوجة مراعاة ظروفه والتقيد بمكانته الاجتماعية حين اعداده للجهاز، هذا من ناحية، وتجنب الاسراف من ناحية اخرى إذ ان الله لا يحب المسرفين.

فلا ضرورة تستدعي اعداد جهاز مكلف يضم اثاثاً غالياً وسلعاً نفيسة بحيث تخرج تكاليف الجهاز عن الحدود الشرعية والعقلية فيترتب على ذلك ديون تقصم الظهر.

ولا بد بهذا الصدد من تجنب تقليد الآخرين وتبعية ما ارتكبه من اسرافٍ ولا تعملوا على اثاره الطمع لدى الشباب بالجهاز الغالي فينصب همهم بالبحث عمّن يتمتع بأبؤهن بالثروة الطائلة، وبذلك تثار المتاعب والمشاكل امام الآخرين في هذا المجال، فكل ذلك يعد منافياً للمبادئ الانسانية ومدعاة للغضب الالهي وسبباً لحلول العذاب يوم يقوم الناس لرب العالمين.

عليكم اعداد الجهاز من المال الحلال والطاهر حيث من شأن ذلك ضمان صحة ما يؤديه العريسان من عبادات بالملايس المشتراة لهما والفرش والبيت المعد لهما.

فلا توقعوا انفسكم في المتاعب نتيجة الطموحات العريضة التي يعيشها ابناؤكم، ولا تفتحوا امامكم - بسببهم - باب العذاب والعقاب يوم القيامة.

المثل الالهي في جهاز العروس

يروى العلامة المجلسي «رحمه الله» في مصنفه النفيس بحار الانوار في تاريخ سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) ان علياً لما خطب فاطمة (عليها السلام) لم يكن يملك شيئاً غير سيفه ودرعه وناضحه، فقال له (صلى الله عليه و آله): قم فبع الدرع، قال (عليه السلام): فقمْتُ فبعته واخذت الثمن ودخلتُ على رسول الله (صلى الله عليه و آله) فسكبتُ الدارهم في حجره، فلم يسألني كم هي ولا انا اخبرته، ثم قبض قبضة ودعا بلالاً فاعطاه فقال: ابتع

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 161

لفاطمة طيباً، ثم قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) من الدراهم بكلتا يديه فاعطاه ابابكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب واثاث البيت، واردفه بعمار بن ياسر وعدّة من اصحابه.

فحضروا السوق فكانوا يعترضون الشيء مما يصلح، فلا يشترونه حتى يعرضوه على ابي بكر فإن استصلحه اشتروه. فكان مما اشتروه:

1- قميص بسبعة دراهم.

2- خمار باربعة دراهم.

3- عباءة خيرية.

4- سرير مزمل بشريط.

5- فراشين من خيش مصر حشو احدهما ليف وحشو الآخر من جز الغنم.

6- اربع مرافق من ادم الطائف حشوها اذخر.

7- ستر من صوف.

8- حصير هجري.

9- رحي لليد.

10- مخضب من نحاس.

11- سقاء من آدم.

12- قعب للبن.

13- شن للماء.

14- مطهرة مزفتة.

15- جرة خضراء.

16- كيزان خرف.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 162

فلما عرض المتاع على رسول الله (صلى الله عليه و آله) جعل يقلّب به بيده ويقول: بارك الله لاهل البيت «1».

يقول (رحمه الله) في كتابه: كان ذلك جهاز بنت من يدانيه أحد بالهيبه والمحبة لدى الخلق، وكان اصحابه يفتدونه بالارواح والقلوب لا بالذهب والفضة، غير انه لم يجعل صهره يغرق بالديون ولم يغرف من بيت مال المسلمين لاقامة مظاهر الزينة

الزائقة إذا إنه موظف لاعانة المساكين واليتامى والمصالح العامة، ولم يبالغ في تكاليف الزواج كي ينجو الآخرون من المتاعب والمنغصات على مر التاريخ من خلال الاقتداء به (صلى الله عليه و آله).

والأهم من ذلك كله، ما اتسم به فعله من بساطة وصلاح وصدق وإخلاص، فعندما وجد نفسه عاجزاً عن اعداد جهاز ابنته، أمر صهره ان يبيع الدرع لاعداد اثاث المنزل بثمنه، ولم ير في ذلك مدعاةً لخلجه وضعته، فيما لم يُبد الصهر ايّ اعتراضٍ على ذلك ولم تساوره ازاء ذلك.

فكانت حصيلة ذلك الزواج احد عشر اماماً معصوماً، وثمرتها امتدت منذ ذلك الحين حتى عصرنا الحاضر فايّنت الآلاف من الفقهاء والعلماء والحكماء والشعراء والعارفين والمؤمنين، ذلك الزواج الذي لا نظير له من حيث البركة والخيرات على مدى تاريخ البشرية.

الدعاء عند الزفاف

تعتبر المناجاة والدعاء والتضرع والتوسل لله تعالى من الاعمال الحسنة ومن العبادات في جميع الاوقات.

(1) - البحار: 43 / 94.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 163

ومن بين الاوقات التي يستحب فيها الدعاء ومد الايدي نحو الحق تعالى، هو قبيل المبادرة إلى الزواج، ففيه يكون الدعاء اقرب للاجابة، و تتوفر القاعدة لتحقيق الطموحات المشروعة.

يقول أميرالمؤمنين:

اللهم ارزقني زوجةً سالحة. ودوداً، ولوداً، شكوراً، قنوعاً، غيوراً، إن احسنت شكرت، و ان اسأتُ غفرت، و ان ذكرْتُ الله تعالى اعانت، و ان نسيْتُ ذكرت، ان خرجْتُ من عندها حفظت، وان دخلت عليها سرّت، وان امرتها اطاعتني وان اقسمت عليها أبرّت قسمتي، وان غضبت عليها ارضتني يا ذاالجلال والاکرام هب لي ذلك فإنما اسألك ولا أجدُ إلا ما قسمت لي، فمن فعل ذلك اطاه الله ما سأل.

آداب الزواج وأوقاته

يعتقد البعض من العوائل ان مراسم العقد والزواج تعتبر متنفساً للقيام بما تمليه شهواتهم وغرائزهم، إذ يبادر أبناءهم واستجابة لرغبات الآباء أو المحيطين بالعريس والاقارب إلى ارتكاب ما حرم الله متوهمين ان ذلك يضيف على الحفل أجواءً من السعادة والاستمتاع، في الوقت الذي ينبغي ان تقتزن مراسم عقد القران والزفاف بالوقار وصيانة الكرامة والشخصية، بعيداً عن المحرمات والمعاصي واسباب إثارة الشهوات، كي تكون سبباً في نزول الرحمة الالهية ووسيلة لهبوط البركة.

وبطبيعة الحال لا بأس من ان تشيع مظاهر الفرح والسرور على أجواء العقد والزفاف وان لا تُغفل المشوقات المباحة كالترانيم بصوت حسنٍ والاعمال المسلية والمثيرة للسرور.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 164

فليس هنالك مانع شرعي من قراءة التواشيح الدينية والاناشيد الهادفة والاشعار المسلية التي عادةً ما تروج بين نساء المسلمين في مثل هذه المحافل ومن المتعارف عليه ايضاً السهر فيها، فقد ورد عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله)!

«لا سهر الا في ثلاث: تهجد بالقرآن، أو طلب علم، أو عروس تهدي إلى زوجها»¹.

والاسلام يفضل ان يقع الزفاف ليلاً كما هو الحال في زفاف الزهراء (عليها السلام).

عن جابر الانصاري قال:

لما زوج رسول الله (صلى الله عليه و آله) فاطمة من علي (عليهما السلام) اتاه اناسٌ من قريش فقالوا:

انك زوجت علياً بمهرٍ خسيس، فقال: ما انا زوجتُ علياً ولكن الله زوجة لي ليلة اسري بي عند سدره المنتهى، اوحى الله عزوجل إلى السدره ان انثري ما عليك فنثرت الدر والجوهر على الحور العين فهنّ يتفادين به ويتفاخرن به ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه و آله).

فلما كانت ليلة الزفاف اتى النبي (صلى الله عليه و آله) ببغلة الشهباء وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة (عليها السلام) اركبي، وأمر سلمان رحمة الله عليه ان يقودها، والنبي (صلى الله عليه و آله) يسوقها فينا هو في بعض الطريق إذ سمع النبي (صلى الله

عليه و آله) وجبة فإذا هو بجبرئيل (عليه السلام) في سبعين الفاً، وميكائيل في سبعين الفاً، فقال النبي (صلى الله عليه و آله): ما اهبطكم إلى الارض؟ قالوا: جئنا ننف فاطمة إلى زوجها، وكبّر جبرئيل وكبّر ميكائيل وكبّرت الملائكة وكبّر محمد (صلى الله عليه و آله) فوضع التكبير على العرائس من تلك الليلة «2».

نعم، يتعين ان تقام مراسم الزفاف وليلة الفرح بنحو يكون مدعاةً لهبوط ملائكة الله عزوجل.

(1) - البحار: 267 / 100.

(2) - البحار: 266 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 165

قال الصادق (عليه السلام):

«زفّوا عرائسكم ليلاً».

وقال الرضا (عليه السلام):

«من السنّة التزويج بالليل لان الله جعل الليل سكناً والنساء أمّا هنّ سكن».

ورد في الرواية:

انه صلى الله عليه وآله أمر بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والانصار ان يمضين في صحبة فاطمة وان يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقولنّ ما لا يرضي الله.

ويستحب في الاسلام اطعام الحاضرين ممن تجشموا عناء استجابة الدعوة والموجهة اليهم من اسرتي العريس.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«لا وليمة الا في خمس: في غرس، أو خرس، أو عذار، أو وكر أو ركاز، فالعرس التزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار الختان، والوكر الرجل يشترى الدار، والركاز الرجل يقدم من مكة».

يروى ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لعلي (عليه السلام) ليلة زواجه من فاطمة (عليها السلام):

«يا علي اصنع لاهلك طعاماً فاضلاً، ثم قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن، يقول امير المؤمنين (عليه السلام): فاشتريت تمرًا وسمناً، فحسر رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه حيساً، وبعث الينا كبشاً سميناً فذبح وخبز لنا خبزاً كثيراً وقال لي: ادع من احببت».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) مشيراً إلى الدعوة إلى العرس:

«إذا دعيتم إلى العُرسات فابطؤوا فإنها تذکر الدنيا، وأذا دُعيتم إلى الجنائز فاسرعوا فانها تذکر الآخرة».

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 166

على الاسر ان تقيم محافل عقد القران والزفاف بطريقة تخلوا من كل دواعي الافساد بالنسبة للأطفال واليافعين والشباب وما يعد مشجعاً ومرغباً نحو المعاصي والردائل، ومن ثم ليتسنى للمؤمنين رجالاً ونساءً الذين وجهت اليهم الدعوة المشاركة وهم مطمئنون مرتاحوا البال.

فالمحفل الذي يقام على ضوء الضوابط الاسلامية وتُراعى فيه الحدود الالهية يعتبر درساً للشباب ومهبطاً تنهال عليه الرحمة الالهية.

آداب الزفاف

ثمة آداب ينبغي اتباعها في الزفاف جرى بيانها من خلال آيات القرآن الكريم والروايات، ومراعاتها تصب في مصلحة العريسین وذريتهما.

وهنا نسترعي انتباهكم إلى التوصيات التي نقلتها الكتب المعتمدة عن النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته:

فإذا ما دخلت العروس بيتها على العريس ان يخلع خفّها ويغسل رجلها ويصب الماء من الباب إلى اقصى الدار، فإنّ الله بذلك يُخرج من الدار سبعين نوعاً من الفقر، ويُدخل سبعين نوعاً من البركة ويُنزل سبعين رحمة ترفرف على رأس العروس حتى تنال بركتها كل زاوية من البيت وتأمين العروس من الجنون والجذام والبرص ما دامت في تلك الدار.

وان تُمنع العروس في اسبوعها الاول من الالبان والخل والكزبرة والتفاحه الحامضة لما فيها من اثرٍ سلبى على الرحم ولعلها تصيبها بالعقم.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إذا حاضت على الخل لم تطهر ابداً بتمام، والكزبرة تبور الحيض في بطنها وتشدّ عليها الولادة؛ والتفاحه الحامضة تقطع حيضها فيصير ذلك داء عليها.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 167

وتجنب الجماع في اول الشهر ووسطه وآخره، وبعد الظهر، ويكره الكلام عند الجماع، والنظر إلى فرج المرأة ومجامعة المرأة بشهوة غيرها.

ان لا يتجامع الرجل والمرأة إلا ومع كلّ منهما خرقه فإنّ ذلك اقرب للوقار والاخلاق.

عدم ممارسة الجماع من قيام فإنّ ذلك من فعل الحمير.

الاحتراز عن ممارسة الجماع ليلة الفطر والاضحى وتحت الشجرة المثمرة وفي وجه الشمس وبين الاذان والاقامة وليلة الخامس عشر من شعبان وعلى سقوف البنيان، واثناء السفر.

ويستحب الجماع ليالي الاثنين والثلاثاء وليلة الخميس ويومه وليلة الجمعة وعصرها وفيه منافع مادية ومعنوية جمّة.

ففي الموارد التي منع فيها الجماع يُحتمل حدوث اضرار بالنسبة للطفل من قبيل الاصابة بالجنون والجذام والحماقه والحول والخرس والعمى والبخل والخنوثة أو الطلاق والعقم أو ان يكون الطفل ذا ستة اصابع أو أربعة، والفقر أو ان يكون الولد قتلاً أو عريفاً أو أعمى القلب أو مشوه الوجه أو معدماً.

أما الاوقات التي يستحب فيها الجماع فيحتمل ان تتحقق فيها للولد امور كثيرة من قبيل حفظ القرآن والرضا بما قسم الله أو الايمان والأمن من العذاب، أو ان يكون رحيماً القلب طاهر اللسان، والكرم والسخاء، والعلم والمعرفة، والسلامة في الدين والدنيا أو بلوغ ما وصله اولياء الله.

هذه الطائفة من التعاليم لا يمكن تشخيصها بالآلات المادية أو الاجهزة الطبية، انّها حقائق اوصى بها النبي الكريم (صلى الله عليه و آله) إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام) واوصاه

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 168

بحفظها كما حفظها هو (صلى الله عليه و آله) عن جبرئيل «1».

وُهي عن الجماع دون ملاعبة فانه يعد ظلماً للمرأة، فيجب ان تجري المواقعة بعد مقدمات تصب في مصلحة الرجل والمرأة نفسياً وجسماً.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ثلاثة من الجفاء: ان يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، أو يُدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل اهله قبل الملاعبة» «2».

وقال الصادق (عليه السلام):

«ثلاث من سنن المرسلين: العطر واحفاء الشعر وكثرة الطروقة» «3».

ويقول أميرالمؤمنين (عليه السلام):

وتحرم المواقعة اثناء فترة الحيض، وتركها اكثر من اربعة اشهر بلا عذر أو دون رضئ من الزوجة موجب للغضب الالهي، وكما ان الجماع يكره في حالة الجنب.

يقول علي (عليه السلام):

«إذا اراد احدكم ان يأتي زوجته فلا يعجلها فإن للنساء حوائج، إذا رأى احدكم امرأة تعجبه فليأت اهله فإن عند اهله مثل ما رأى ولا يجعلن للشيطان إلى قلبه سبيلاً، ليصرف بصره عنها، فإن لم تكن له زوجة فليصل ركعتين ويصلي على النبي وآله ثم ليسأل الله من فضله يبيح له برأفته ما يغنيه» «4».

(2) - البحار: 285 / 100.

(3) - نفس المصدر.

(4) - البحار: 287 / 100.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 169

ان الثواب المترتب على تلبية حاجة المرأة من الناحية الجنسية من الوفرة بحيث يدهش المرء، فقد ورد في رواية ان النبي (صلى الله عليه و آله) قال لرجل:

«أصبحت صائماً؟ قال: لا، قال فغدت مريضاً؟ قال: لا، قال: فاتبعت جنازة؟ قال: لا، قال فاطعمت مسكيناً؟ قال: لا، فارجع إلى أهلِكَ فأصبهم فإنه عليهم منك صدقة» **«1»**.

وينبغي تجنب الواقعة بحضور الصبي لما في ذلك من ضررٍ عليه من الناحية النفسية والاخلاقية، وربما يورثه الزنا في المستقبل كما صرح بذلك الامام الصادق عليه السلام **«2»**، وكذلك ينبغي تجنب الجماع على امتلاء لما في ذلك من اضرارٍ بدنية **«3»**، والامتناع اتيان الزوجة وهنالك رضيعٌ ينظر اليهما **«4»**.

ما اعظم الاسلام من دين يتمتع بهذه الجوانب الاخلاقية والعاطفية والتربوية، لا سيما ما يتعلق بالمرأة وحقوقها، وادارته لمرافق الحياة باسرها، وما اعجبه من مدرسةٍ تتميز بالرؤية والبصيرة أزاء الشؤون الفردية والاسرية والاجتماعية، وكافة الجوانب المعنوية والمادية، ولا بد أن يكون كذلك لانه تجسيدٌ للوحي الالهي وعلم الله سبحانه ورؤى النبي صلى الله عليه و آله وأهل بيته، وليس منبثقاً عن الفكر البشري المحدود.

(1) - البحار: 287 / 100.

(2) - نفس المصدر: 290.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر: 295.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 171

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»

البقرة/ 222

11

الصحة في الاسرة

أهمية الصحة والنظافة في الاسلام

بعد الفراغ من مقدمات الزواج، وانطلاق الزوجين بحياتهما الزوجية عليهما الاعتناء بالجوانب التي تمثل البنية التحتية للحياة، وعدم الغفلة عنها والتقاعس ازاءها.

ومن بينها الجانب الصحي والنظافة في جميع شؤون الحياة، إذ يجب ان يحظى الجسم بالمزيد من الاهتمام في الجانب الصحي وكذا الشعر والفم والاسنان والملابس والفرش والوسائل المعيشية لا سيما ادوات الطبخ وكل ما له صلة بالحياة اليومية.

هنالك فئة من الأزواج الشباب يغفلون عند بداية حياتهم الزوجية عن النظافة والصحة ويصبّون جلّ اهتمامهم على الأكل والشرب والاستمتاع بالملذّات الظاهرية، ويغيب التنظيم والانضباط والطهارة والنظافة من حياتهم، في حين ان ذلك مما ترفضه الفطرة السليمة والعقل السليم، والدين الاسلامي يرفض ذلك رفضاً قاطعاً، بل يستهجنه، ناهيك عن احتمال سيادة هذه الغفلة والفوضى على الحياة بمرور الزمن وتُصبح تهديداً لسلامة البيت واهله في جميع الجوانب الظاهرية والباطنية، لا سيما الاولاد فقد يترك اثاراً سلبية عليهم ويحولهم إلى كيانات تتصف باللامبالاة والتقاعس والوهن تمثل عبثاً على المجتمع، ويغدو وجودهم بؤرة للرديلة والدناءة وشتى المفاسد والموبقات.

وقد عبّر تعالى في كتابه الكريم عن محبّته للذين يهتمون بطهارتهم ونظافتهم

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 174

ظاهرياً وباطنياً ويولون العناية لصحة ابدانهم وارواحهم، ويحافظون عليها من الادران على اختلاف انواعها، إذ يقول تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»¹.

ان الاسلام يعتبر لا نظير له بين سائر الاديان في اهتمامه بالطهارة والنظافة والصحة على كافة الاصعدة، والقوانين الصحية لهذه المدرسة التي تربو على الخمسة آلاف قانون والتي جاء جانب منها في الجزئين الاول والثاني من وسائل الشيعة، تفوق القوانين الصحية باسرها، وهي تثير الدهشة في ظرافتها وحثها وترغيبها على الالتزام بهذه القوانين.

وقد حدد الاسلام خمسة عشر شيئاً على أنّها من وسائل الطهارة والنظافة، حيث لا يرى مثل هذا السياق والنهج في سائر المذاهب الموجودة في العالم.

وحرم الاسلام في كثير من الموارد التلوث والتلوّث والعمل على التلوّث، واعتبر مرتكبه ضالاً يستحق العذاب الالهي يوم القيامة.

فقد اعتبر الماء الجاري وماء البئر والعين والماء الراكد الذي يتجاوز ثلاثة اشبار ونصف طولاً وعرضاً وعمقاً، والماء القليل الذي يسقط على الجسم النجس وهو بمقدار يطهر ذلك الجسم، والارض واشعة الشمس المباشرة والاستحالة، كل ذلك اعتبره من المطهرات.

وقد اشار الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) في بعض الاحاديث إلى اهمية النظافة والطهارة، تعتبر من عجائب الأحكام الاسلامية.

يقول (صلى الله عليه و آله):

«الطهور شرط من الايمان»².

(1) - البقرة: 222.

(2) - ميزان الحكمة: 558 / 5.

واعجباً! إذ يكمن نصف الايمان في الجوانب الاخلاقية والعملية ونصفه الآخر في النظافة والطهارة!!

ويقول (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«أول ما يحاسب به العبد طهوره» «1».

وكان رسول الله (صلى الله عليه و آله) أكثر الناس اهتماماً بصحة الفم والاسنان، وشعر الرأس والوجه، والملابس وأثاث البيت، والمحلة والشارع والمدينة، وبل أنه كان شديد الاهتمام ازاء الاموات، فحكمه بتغسيل الاموات بالسدر والكافور والماء الصافي وتحنيط مواضع السجود بالكافور وحفر القبر والدقة والتنظيم بحفر اللحد واهالة التراب كي تُصان الجوانب الصحيحة للمدينة والمنازل والبشر من خلال تحلل جسد الميت داخل القبر وتفاعله مع التراب والكافور، كل ذلك يعد من عجائب احكامه وخوارق علومه ورؤاه (صلى الله عليه و آله).

لقد بلغت عناية ذلك الوجود المقدس بالطهارة ظاهرياً وباطنيّاً مستوى رفيعاً بحيث انّ معصوماً كأمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كان علمه وبصيرته يعتبر تجلياً لعلم الله وحكمته، وصفوه بانه الاطيب والاطهر، ودعا العالمين إلى الاقتداء به (صلى الله عليه و آله) في تطهير الروح والبدن، فيقول (عليه السلام):

«فتأسّ بنبيك الأطيب الاطهر (صلى الله عليه و آله) فإنّ فيه اسوة لمن تأسّى» «2».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة» «3».

ان اهمية النظافة والطهارة ومنزلتهما من الرفعة والسمو بحيث يرتبط

(1) - نفس المصدر.

(2) - نهج البلاغة: الخطبة 160.

(3) - ميزان الحكمة: 92 / 10.

الحديث عنهما بالذات الالهية المقدسة.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«تنظفوا بالماء من النتن الذي يتأذى به، تعهّدوا انفسكم فإنّ الله عزوجل يبغض من عباده القاذورة الذي يتأثّف به من مجلس اليه» «1».

ويقول الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله):

«طهروا هذه الاجساد طهّركم الله، فانه ليس عبدٌ يبيت طاهراً الاّ بات معه ملكٌ في شعاره، ولا يتقلب ساعةً من الليل الاّ قال: اللهم اغفر لعبدك فانه بات طاهراً» «2».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«بنس العبد القاذورة» «3».

وعنه (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«هلك المتقدرون».

عن جابر بن عبد الله، قال: أتانا رسول الله (صلى الله عليه و آله) فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: أما كان يجد هذا ما يُسكّن به شعره؟ ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة، فقال: أما كان هذا يجد ماءً يغسل به ثوبه؟ «4».

وقال الباقر (عليه السلام):

«كنس البيوت ينفي الفقر» «5».

وقال الصادق (عليه السلام):

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر.

(5) - ميزان الحكمة: 98 / 10.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 177

«غسل الاناء وكنس الفناء مجلبة للرزق» «1».

وقال أمير المؤمنين (صلى الله عليه و آله):

«لا تأووا التراب خلف الباب فإنه ماوى الشياطين» «2».

وقد اشتقت «الشيطان» من الشطن، وهي تعني الخبيث والليثيم والمخلوق المؤذي الشرير.

هذه المعجزة العظيمة والخرقة تعتبر نتاجاً للرؤية التي كان يتمتع بها الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) والائمة الطاهرون (عليهم السلام) حيث انهم انبأونا بذلك قبل قرون متطاولة من اكتشاف الميكروبات مستخدمين لفظ الشيطان أي المخلوق الخبيث والليثيم.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«لا تبيّنوا القمامة في بيوتكم واخرجوها نهاراً فإنها مقعد الشيطان» «3».

وعنه (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله تعالى بنى الاسلام على النظافة، ولن يدخل الجنة الا كلٌ نظيف» «4».

وقال الرضا (عليه السلام):

«من اخلاق الانبياء التنظيف» «5».

وقال (صلى الله عليه و آله) لعائشة:

«إغسلي هذين الثوبين، أما عملتِ ان الثوب يسبّح، فإذا اتسخ انقطع تسبيحهُ» «6».

(1) - نفس المصدر.

(2) - نفس المصدر.

(3) - ميزان الحكمة: 95 / 10.

(4) - نفس المصدر.

(5) - ميزان الحكمة: 95 / 10.

(6) - ميزان الحكمة: 94 / 10.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 178

على ضوء الآيات المتعلقة بأسباب التطهير، والطهارة والنظافة ومحبة الحق تعالى لهما، وكذلك الروايات بشأن الطهارة والنظافة، يتعين على أهل الدار العناية بنظافة اجسامهم وملابسهم ونظافة أثاث المنزل وجوانبه بما وسعته قدرتهم وطاقاتهم، واستناداً إلى القاعدة القرآنية التي تحث على التعاون على البر والتقوى، يتعين على صاحب الدار ان يعين زوجته على صعيد التنظيف.

وعلى الزوجة ايضاً ان تلتزم بواجبها الاخلاقي وتحافظ على نظافة الدار وآثاثه وملابس نزلته، كي تدخل السرور على زوجها بذلك تنال رضی الحق تعالى، وتضمن سلامة أهل الدار وتقضي على اجواء المرض والآلام.

على ربة البيت ان تعلم بأن العمل من اجل المنزل وتبدير اموره وتوفير سبل الراحة والاستقرار لاهله يُعتبر عبادة تستحق عليها الاجر والثواب ممن لدن الباري تعالى.

تعتبر سلامة الفم والاسنان من اهم الامور في عصرنا الراهن، إذ يقول المختصون ان سلامة اغلب اعضاء الجسم لا سيما جهاز المعدة الحساس ترتبط بسلامة الفم والاسنان.

ان الاسنان التي منّ الله بها على الانسان تعتبر نعمة لا تضاهي وعاملاً بالغ الاهمية من عوامل المحافظة على صحته.

فعملية المضغ انما تجري بواسطة الاسنان وإذا ما جرت هذه العملية بالنحو المطلوب فذلك يضمن استمرار المعدة في عملها الطبيعي وبالتالي فإنّه يعد عاملاً في دوام سلامة الانسان.

ومن بين الامور التي تزعج الآخرين وتثير استمزازهم هي رائحة الفم

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 179

الكريهة - التي قد تبلغ حداً لا يطاق - وهي نتاج لاهمال الفم والاسنان ونتيجة لتجمع بقايا الطعام بين الاسنان وتحت اللثة.

ان التسوس الذي يعد من الامراض الخطيرة والذي يفتك بالاسنان واللثة وهو مصدر للكثير من الامراض ومنها مرض القلب، انما هو من مخلفات عدم الاهتمام بسلامة الفم والاسنان.

وإذا ما خصص الناس قليلاً من أوقاتهم لتنظيف الفم بعد تناول كل وجبة من الطعام وتنظيف الاسنان بالمسواك والمضمضة بقليل من الماء والملح فانهم حينذاك سيساهمون في المحافظة على سلامة الفم والاسنان والبلعوم من جهة، والوقاية من تكاليف العلاج الباهضة التي تُصرف من أجل استعادة سلامة الاسنان التي تُفقد إذا ما أهمل هذا الجانب من جهة اخرى وبوسعهم التمتع باسنانهم سنوات طويلة بل مدى عمرهم.

وبالرغم من بزوغ فجر الاسلام في ارضٍ قاحلةٍ غير ذي زرع وفي مجتمع يخلو ممن يعرف القراءة والكتابة، الاّ أنّه طرح من الأحكام والمقررات التي تصون سلامة المجتمع من الناحية الصحية وعلى كافة الاصعدة لا سيما صحة الفم والاسنان ما يكشف عن عظمة هذا الدين وهذه المدرسة، ويبرهن على ان المبشر بهذا الدين قد بُعث من قبل الحق تعالى لهداية الناس وارشادهم وأنّه تعالى قد اجتبي الائمة الاثني عشر (عليهم السلام).

تأملوا هذه الطائفة من الأحكام الصادرة عن قادة ديننا فيما يتعلق بسلامة الفم والاسنان:

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 180

«لولا ان اشقَّ على امتي لأمرتهم بالسواك مع كلِّ صلاة» «1».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«من اخلاق الانبياء السواك» «2».

وقال الباقر (عليه السلام):

«لو يعلم الناس ما في السواك لأباتوه معهم في لحاف» «3».

وقيل للصادق (عليه السلام):

«اترى هذا الخلق كلّه من الناس؟ فقال: القى منهم التارك للسواك» «4».

عن رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى خفتُ أن أدرك» «5».

وفي كلام آخر قال (صلى الله عليه و آله):

«ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى ظننتُ أنّه سيجعلهُ فريضة» «6».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«في السواك اثنتا عشرة خصلة: هو من السنّة، وهو مطهرة للفم ومجلاة للبصر ويرضي الرحمن ويبيض الاسنان ويذهب بالحفر ويشدّ اللثة ويشهّي الطعام ويذهب بالبلغم ويزيد في الحفظ ويضاعف الحسنات ويفرّج الملائكة» «7».

وفيما يتعلق بطريقة السواك - حيث يؤكّد الاطباء والمختصون بأمراض الفم

(1) - ميزان الحكمة: 596 / 4.

(2) - البحار: 131 / 76.

(3) - میزان الحكمة: 597 / 4.

(4) - نفس المصدر.

(5) - میزان الحكمة: 597 / 4.

(6) - نفس المصدر.

(7) - البحار: 129 / 76.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 181

والاسنان على أن يكون السواك عرضياً وبتؤده لعدة دقائق - ثمة رواية مهمة عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) لا بد من الاعتراف بانها من معاجزه العلمية نظراً لتقدم بعثته (صلى الله عليه و آله) في التاريخ، إذ يقول (صلى الله عليه و آله):

«استاكوا عرضاً ولا تستاكوا طوياً» 1.

وكان النبي (صلى الله عليه و آله) يستاك كل ليلة ثلاث مرات: مرة قبل نومه، ومرة إذا قام من نومه إلى ورده ومرة قبل خروجه إلى صلاة الصبح، وكان يستاك بالاراك أمره بذلك جبرئيل 2.

التنظيم والالتزام والصحة في الأكل

إن المعدة والفم والاسنان، والرغبة لتناول الماء والخبز وسائر النعم، كل ذلك يعتبر من اللطاف الالهية على الانسان.

وقد وردت الكثير من الأحكام الهامة في القرآن الكريم والروايات فيما يتعلق باكتساب الارزاق المحللة وطريقة استهلاكها، والاعمال التي لها كامل التأثير على سلامة البدن والعقل والروح وبالتالي سلامة الاسرة والمجتمع، ويبدو ان الالتزام ببعضها يعد واجباً شرعياً والالتزام بالبعض الآخر واجباً أخلاقياً، وبعضها مستحب مؤكّد، وإن التمرد على تلك التي في حكم الواجب الشرعي يعتبر حراماً يستوجب العذاب الاخروي، والتهاون عن المستحبات يورث الخسران والندم وتصدع البدن فيصبح عندها عرضة للاصابة بالامراض.

ومن أهم الأحكام الواردة في القرآن الكريم وجوب استحصال المال والرزق لادامة الحياة وتوفير السكن والملبس والمأكل عن طريق الحلال. يقول تعالى:

(1) - ميزان الحكمة: 599 / 4.

(2) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 182

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» «1».

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» «2».

وقوله تعالى:

«كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» «3».

المطروح في هذه الاحكام وهو الطهارة والحلال واجتناب الاسراف، فالواجب طهارة المأكل وحليته، والحرام الاسراف في الاستهلاك.

ان عدم الاهتمام بحلية المأكل وتناول المواد المحرمة والخبثية التي تخلو من الطهارة، والسقوط في حبال الاسراف، كل ذلك يعتبر تمرداً على الحق تعالى وظلماً بحق النفس والآخرين، وهو مما يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته بلا شك ولا ترديد.

ويتعين على صاحب الدار ان يلمّ بالتعاليم السامية التي يطرحها الاسلام في هذا المجال ويعمل على ان تأخذ طريقها إلى اهل الدار كي تحافظ الدار والعائلة على طهارتهما، ويتسنى لاهل الدار طي سبيل الكمال والسمو، وبذلك يتحولون إلى روافد خير وبركة بالنسبة لهم وللآخرين.

(1) - البقرة: 168.

(2) - البقرة: 168.

(3) - الاعراف: 31.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 183

اضرار كثرة الأكل

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«كثرة الأكل والنوم يُفسدان النفس ويجلبان المضرة» «1».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«مَنْ كَثَرَ أَكْلُهُ قَلَّتْ صَحَّتُهُ وَثَقُلَتْ عَلَى نَفْسِهِ مَوْنَتُهُ» «2».

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«كثرة الأكل من الشره، والشره من العيوب» «3».

وقال الصادق (عليه السلام):

«ليس شيءٌ أضَرَ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثةٌ شئتين: قسوة القلب وهيجان الشهوة» «4».

وقال تعالى مخاطباً بني إسرائيل:

«لا تكثرُوا الأكل فإنه من أكثر الأكل أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقلَّ الصلاة، ومن أقلَّ الصلاة كُتِبَ من الغافلين» «5».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ياكم والبطنة فإنها مفسدةٌ للبدن ومورثةٌ للسقم ومكسلةٌ عن العبادة» «6».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

(1) - ميزان الحكمة: 117 / 1.

(2) - نفس الصمدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - ميزان الحكمة: 117 / 1 - 118.

(5) - ميزان الحكمة: 117 / 1 - 118.

(6) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 184

«ليس شيء ابغضُ الى الله من بطنٍ مَلآن» «1».

وقال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«لو أنَّ الناس قصدوا في الطعم لاعتدلت ابدانهم» «2».

وثمة حكمٍ عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بشأن الاكل حريٌّ بنا القول انَّه من عجائب احكامه (صلى الله عليه و آله) ومن قواعد الطب اذ يقول (صلى الله عليه و آله):

«كُل وانت تشتهي وأمسك وانت تشتهي» «3».

من المسلّم به ان الاكل على الشبع يعتبر مضرّاً للمعدة وتهديداً جدياً لصحة البدن، وان الاكل عن جوع والامساك قبل الشبع يعتبر من أهم عوامل المحافظة على سلامة الجسم وحيويته وطول العمر وتمتع المرء بالذكاء والمهارة.

قصة فيها عبرة

يُروى ان احد الملوك بعث طبيباً حاذقاً إلى المدينة لمعالجة اهلها مجاناً، فبقي فيها مدةً من الزمن دون ان يراجعه أحد أو راجعه القليل من الناس فتعجب لذلك، فذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليخبره بذلك فقال له: اني قد امرتهم ان لا يأكلوا الا وهم يشتهون ولا يُمسكوا الا وهم يشتهون، فقال له الطيب: لقد اصبت الطب كله.

وهناك وصية مهمة لأئمة المؤمنين (عليه السلام) للبدء في تناول الطعام، إذ يقول (عليه السلام):

«ابدأوا بالملح في اول طعامكم، فلو يعلم الناس ما في الملح لاختاروه على الترياق

(1) - نفس المصدر.

(2) - الوسائل: 406 / 16.

(3) - ميزان الحكمة: 123 / 1.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 185

المجرب» «1».

وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن أكل الحار حتى يبرد واعلن ان الله سبحانه وضع البركة في البارد، كما نهى (صلى الله عليه و آله) عن ان يُنفخ في الطعام كي يبرد «2».

كما ورد النهي المؤكد عن ان يأكل المرء وهنالك ذو روح ينظر اليه ولا يطعمه.

عن نجيب قال: رأيت الحسن بن علي (عليهما السلام) يأكل وبين يديه كلبٌ كلما أكل لقمةً طرح للكلب مثلها، فقلت له: يا بن رسول الله؟ ألا ارجم هذا الكلب عن طعامك؟ قال: دعه، اني لاستحي من الله ان يكون ذو روح ينظر في وجهي وانا آكل ثم لا اطعمه» «3».

نعم، لابد من الأكل وكذلك لابد من الاطعام، فالأكل ضروري للبدن، والاطعام تجسيد للاحلاق والكرم وحل لمشاكل المحتاجين، ومدعاة لنزول الثواب والمغفرة ولطف الله ورحمته، وان التقدير بهذا الشأن ازاء العيال والارحام وسائر الناس يعتبر عملاً منافياً للانصاف ومحابة للشيطان.

يقول الامام المجتبی (عليه السلام):

«في المائدة اثنتي عشرة خصلة يجب على كل مسلم ان يعرفها: اربع منها سنّة واربعة تأديب، فاما الفرض: فالمعرفة والرضا والتسمية والشكر، وأما السنّة: فالوضوء قبل الطعام والجلوس على الجانب الايسر والأكل بثلاثة اصابع ولعق الاصابع واما التأديب: فالأكل مما يليك وتصغير اللقمة وتجويد المضغ وقلة النظر في وجوه الناس» «4».

(1) - الوسائل: 125 / 16.

(2) - الوسائل: 518 / 16.

(3) - ميزان الحكمة: 125 / 1.

(4) - الوسائل: 539 / 16.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 186

وقال الامام الرضا (عليه السلام):

«من اراد ان يكون صالحاً خفيف الجسم فليقلل من عشائه بالليل» «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ كَثَرَ تَسْبِيحَهُ وَتَمْجِيدَهُ وَقَلَّ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَمَنَامُهُ اشْتَاقَتْهُ الْمَلَائِكَةُ» «2».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«إِبْسُوا وَكُلُوا وَاشْرَبُوا فِي انصاف البطون فإنه جزء من النبوة» «3».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«قلّة الغداء كرمّ النفس وادوم للصحة» «4».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«إذ أراد الله سبحانه صلاح عبده الهمة قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام» «5».

وثمة أمور أخرى يترتب على رب الأسرة الالتزام بها بجدية أولاً ومن ثم أهل الدار منها الاحتراز عن التبوغ من قبيل السيجارة والغليون والمخدرات، فالتدخين على اختلاف أنواعه يعدّ حراماً في نظر بعض فقهاء الشيعة، لأنّه يمثل تهديداً لكيان الأسرة وقد يجر إلى المفسدات الأخلاقية والاجتماعية.

ومن الأمور الأخرى التي نهي عنها الإسلام هو الاشتراك بالمشط والمنديل والمسواك وسائر المستلزمات ذات الصبغة الشخصية.

إن الأمل يحدونا بأن تلتزم العوائل بأسرها لا سيما أربابها بهذه الجوانب حفاظاً على السلامة البدنية والروحية والأخلاقية بالنسبة للجميع، لأن الالتزام بهذه الأحكام يعد عبادة كالالتزام بالأحكام الشرعية وعصيانها ذنب يستلزم العتاب والعقاب الألهيين.

(1) - البحار: 324 / 62.

(2) - ميزان الحكمة: 116 / 1.

(3) - ميزان الحكمة: 116 / 1.

(4) - نفس المصدر.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 187

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «عليكم بحسن الخلق فإنّ حسن الخلق في الجنة لا

محالة، وایاکم وسوء الخلق فإنّ سوء الخلق في

النار لا محالة».

الوسائل 10/ 29

12

الاخلاق الاسلامية في الاسرة

أهمية مكارم الاخلاق

من الضروري ان يلتزم الزوجان بمجموعة من الضوابط الاخلاقية التي ورد المزيد من التأكيد عليها في القرآن الكريم والاحاديث وذلك بغية صيانة نفسيهما وضمان سعادة اولادهما.

وليس من المعتذر التزام فضائل الاخلاق والاحتراز عن قبائحها، واستخدام الاساليب الاخلاقية والابتعاد عمّا ينافيها يسهّل على المرء السير في هذا الطريق الالهي، ويرسخ الرابطة الزوجية ويعمق المحبة بين الزوجين ويعتبر درساً عملياً للآخرين لا سيما ابناء العائلة، وان تطبيق الضوابط الاخلاقية فيما بينهم يخلق اجواءً يسودها الصفاء والصدق والطهارة والسلامة والامن والراحة والمودة، ويخلق شعوراً لدى الزوجين بأن يتذوقوا طعم الحياة بكافة جوانبها وكأنها احلى من الشهد المصنّى.

وقد اثنى الله سبحانه في كتابه الكريم على الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله لتحليله بمكارم الاخلاق ووضعه إياها موضع التطبيق:

«فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ هُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» «1».

«وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» «2».

(1) - آل عمران: 159.

(2) - القلم: 4.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 190

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«الاسلام حسنُ الخلق» «1»

. وقال الامام الحسن (عليه السلام):

«انَّ احسنَ الحسن، الخلق الحسن» «2».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله):

«حسنُ الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة» «3».

وقال علي (عليه السلام):

«حسنُ الخلق رأس كلِّ بر» «4».

وقال الصادق (عليه السلام):

«لا عيشَ اهنأ من حسن الخلق» «5».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ حَسُنَتْ خلقه بَلَغَهُ اللهُ درجة الصائم القائم» «6».

وعنه (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«أول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حسنُ خلقه» «7».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«انَّ احَبَّكُمْ إِلَيَّ واقربكم مني يوم القيامة مجلساً احسنكم اخلاقاً واشدكم

(1) - ميزان الحكمة: 137 / 3.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر.

(5) - البحار: 388 / 71 - 389.

(6) - البحار: 388 / 71 - 389.

(7) - البحار: 385 / 71.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 191

تواضعاً» «1».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله) لأُمير المؤمنين (عليه السلام): الا اخبركم باشبهكم بي أخلاقاً؟ قال بلى يا رسول الله، قال:

«احسنكم خلقاً واعظمكم حُلماً وابزكم بقرابته واشدكم من نفسه انصافاً» «2».

ولمكارم الاخلاق وحسن الخلق من الاهمية والعظمة ما جعل رسول الله (صلى الله عليه و آله) يصرح بأنها الغاية من بعثته
حيث قال صلى الله عليه و آله:

«انما بعثتُ لأتمم مكارم الاخلاق» «3».

وقوله (صلى الله عليه و آله):

«انما بُعثْتُ لأتمم حسنَ الخلق» «4».

ان مكارم الاخلاق ومحاسنها تمثل تجلياً لصفات الحق تعالى واخلاق الانبياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ومنشأ خير وبركة لمن تحلى بها، أما قبائح الاخلاق فهي تجسيد للالاعيب الشيطانية وسبب في تأزم الحياة وتدهور العلاقات الاجتماعية ومدعاة لفقدان الامن واثارة التفرقة والتذمر بين الناس وخراب الدنيا والآخرة.

المودة والتعبير عنها

لقد اودع الباري تعالى المحبة والمودة في قلب كل من الرجل والمرأة تجاه بعضهما، واعتبر ذلك من آياته، وهذه الحقيقة تمثل تعبيراً عن اهمية قضية المودة

(1) - نفس المصدر.

(2) - البحار: 58 / 77.

(3) - ميزان الحكمة: 149 / 3.

(4) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 192

بين الرجل والمرأة وعظمتها لا سيما محبة الرجل للمرأة، إذ يقول تعالى:

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»
«1».

ان هذا المودة والمحبة تتفتح براعمها وتبلغ ذروتها في مطلع الحياة الزوجية بل وحتى قبل عقد القران، وعلى الزوجين المحافظة على هذه النعمة وهذه العاطفة القلبية السامية التي تبعث السعادة في الحياة والمعاشرة، وتنمي الصفاء والطهارة من خلال التودد لبعضهما البعض والتحلي بالحلم والعفو ومكارم الاخلاق والتعاون والتسامح بالحقوق المتبادلة وصيانة شخصية الطرفين

وحیثیائهما، والتورع عن أسباب تصدع هذه المودة والمحبة، إذ ان المحافظة على بناء المودة من العبادة، وتهدیم عرش المحبة لا ريب في انه ذنبٌ ومعصيةٌ توجب العذاب والعقاب الالهيين يوم المحشر، وسببٌ في اثاره الشقاء الدنيوي.

وقد دعا الصادق (عليه السلام) لمن تمتع بقدرة كسب محبة الآخرين، إذ يقول (عليه السلام):

«رحم الله عبداً اجتر مودة الناس إلى نفسه...» «2».

ان تبديل المودة والحب إلى بغض وضغينة وعداء دون توفر مبرر عقلي وشرعي لذلك، انما هو تبديل النعمة إلى كفران، والمحافظة على المودة وتفعيلها ونقلها إلى الطرف المقابل تعتبر سبباً في تحقق السعادة الدنيوية والاخرية.

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ويل لمن يبدل نعمة الله كفراً، طوي للمتحابين في الله» «3».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

(1) - ميزان الحكمة: 205 / 2.

(2) - ميزان الحكمة: 205 / 2.

(3) - الوسائل، 171 / 16 طبعة آل البيت.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 193

«أفضل الناس مئة من المودة» «1».

والانسان محكومٌ بأن يبذل المودة لمن يستحق المحبة والود والصداقة فضلاً عن المقربين اليه من الزوجة والاولاد.

ورد في حديث قدسي:

«الخلق عيالي، فاجبهم إلى الطفهم بهم واسعاهم في حوائجهم» «2».

على ضوء ما تقدم فإنَّ المحبَّة الكامنة في قلب المرأة تجاه الرجل وبالعكس تعتبر من آيات الله سبحانه ومن النعم الالهية الخاصة، وأهم دافع لتشكيل الحياة الصالحة واستمرارها، وشيوع الصفاء والصدق في ربوع الحياة، وعليه من الواجب المحافظة عليها والعمل على اضطرادها وتجنب عوامل زوالها.

قال الصادق (عليه السلام):

«من أخلاق الأنبياء حبُّ النساء» «3».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«جعل قرة عيني في الصلاة، ولذتي في الدنيا النساء، وريحانتي الحسن والحسين» «4».

وقال الصادق (عليه السلام):

«ما تُلذذ الناس في الدنيا والآخرة أكثر لهم من لذة النساء وهو قول الله عزَّوجلَّ»

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ...

إلى آخر الآية، ثم قال: وإن أهل الجنة ما يتلذذون بشيء من الجنة أشهى عندهم من النكاح، لا طعام ولا شراب» «5».

(1) - ميزان الحكمة: 210 / 2.

(2) - الكافي: 199 / 2.

(3) - الوسائل: 22 / 20 - 23 طبعة آل البيت.

(4) - نفس المصدر.

(5) - الوسائل 23 / 20 - 24.

وقال النبي (صلى الله عليه و آله):

«قول الرجل للمرأة اني احبك لا يذهب من قبلها ابداً» ¹.

وقال الصادق (عليه السلام):

«العبد كلما ازداد للنساء حباً ازداد في الايمان فضلاً» ².

وبطبيعة الحال لابد من الالتفات هذه الحقيقة وهي ان لا تأخذ المحبة والمودة تجاه المرأة طابع الافراط، فالافراط بالمحبة يحول دون سلوك المرء لصراط الله المستقيم والقيام بالاعمال الصالحة وبذل الخيرات والميزات، لا سيما إذا حاولت المرأة التحكم بالرجل من خلال استغلال محبته لها وفرض المزيد من رغباتها عليه.

يجب ان يكون حب المرأة وكل شيء تابع لايمان الانسان بالله سبحانه والمعاد وان لا يعيق الانسان عن السير نحو الكمالات والقيام بالصالحات.

وإذا ما اراد حب المرأة ان يتحول إلى بؤرة للمعاصي والذنوب والاسراف والتبذير، أو البخل والحرص أو سبب في الامساك عن اداء القرائض، يجب والحالة هذه تصحيح مساره، فمثل هذا الحب انما خليط مع نفثات الشيطان ويعيد عن رضى الحق تعالى.

الانصاف في الآمال

ان لكل رجل وامرأة قابليته وامكانيته الخاصة به من الناحية البدنية والروحية، وان تفهم هذه القابلية والامكانية مرتبط بفترة المعاشرة والسلوك الطبيعي والاخلاقي.

(1) - نفس المصدر.

(2) - نفس المصدر.

وبعد مدة وجيزة يتفهم الزوجان بعضهما البعض نوعاً ما ويتعرف كل منهما على قابلية الآخر بدنياً وروحياً، وعلى الزوجين أن يدركا أن الحق تعالى قد وضع في الاعتبار مسألتين حين شرع التكليف للانسان:

اولهما: انه تعالى لم يكلف الانسان ما يخرج عن امكانيته ويفوق طاقته ووسعه، وثانيهما: انه تعالى وضع التكليف والواجبات الشرعية على ضوء وسع الانسان وهو ما عبّر عنه المحققون بالمرحلة التي تقل عن حدود قدرته.

وهذا ليس سوى تجلّ لرحمة الله ورأفته بعباده والبشر قاطبة إلى قيام يوم الدين، وقد اشار تعالى إلى هذه الحقيقة في الآيات 233 و 286 من سورة البقرة والآية 152 من سورة الانعام والآية 42 من سورة الاعراف والآية 62 من سورة المؤمنون.

«لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا»

وقوله ايضاً:

«لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا»

بناءً على ذلك يتعين على كلا الزوجين التأسّي بهذه الاخلاق الكريمة والصفات الرحيمية للحق تعالى في قضية الطلبات والطموحات المتقابلة، إذ عليهم:

أولاً: عدم الطلب من الطرف المقابل ما يخرج عن الطاقة والقابلية على الصعيدين المادي والمعنوي إذ ان فرض ما هو خارج عن حدود القدرة وطلب ما لا يمكن تحمله يعد ظلماً، وجوراً على البعد الروحي، ومدعاة لحلول العقاب الالهي.

ثانياً: مراعاة قابلية بعضهما البعض اثناء طرح الطلبات، بل تحديد الطلبات والطموحات على ضوء الوسع والقابلية، وطرح التكاليف الطبيعية والحياتية

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 196

بينهما والطلب من بعضهما البعض بنحوٍ يجري انجازَه بكل شغفٍ ولهفة.

وإذا كان بوسعهما - وهو كذلك - التحلّي بالانصاف ازاء بعضهما البعض إذ ان ذلك من اخلاق الله تعالى ومن فعال الانبياء والائمة ومن خصال اولياء الله.

ربما تتخذ المبالغة بالأمال طابع تكليفٍ يفوق الطاقة، ولا شك بأن المطالب الثقيلة لو لم تُنفذ من قبل الزوج فإنّ ذلك مما يعكر الاجواء ويؤلم القلوب وبالتالي يثير الضغينة والنفور وتكون نتيجة ذلك تأزم الحياة وانحيار صرح الصفاء والصدق والمودة. ان المبالغة بالأمال خصلة مذمومة وحاصل الكبر والغرور وهو مرض نفساني وفعلٌ خارج عن اطار الانسانية وصفةٌ قبيحة. والتسامح بالطموحات انما هو ثمرة الوقار والتأدب وحاصل المعرفة والكرم، وثمره طيبة من ثمار التواضع.

فإنّ اردتم حياةً تفوق في حلاوتها الشهد المصنفي لا مجال فيها لاختلاف يعتد به، ولا يتعرض الزوج إلى ما يكدر صفو حياته، ولا تتعرض شخصيته للاحتقار، ولا ينتقل التأزم والمرارة إلى الآخرين، فعليكم التسامح بالطموحات ازاء بعضكم البعض في جميع شؤون الحياة واعلموا ان ذلك مدعاة لبلوغ رضى الحق تعالى بالنسبة لكم لانه نفحةٌ من رحمته تعالى في الحياة الدنيا.

على اية حال، على الزوجين التحلي باللين والصفاء وان يكونا مصدر مودةٍ ومحبةٍ ويتسامحا فيما بينهما على كافة الاصعدة الحياتية، إذ ان هذا التسامح يعتبر باباً من ابواب المعروف، وان اهل المعروف ومن تطهروا وتطيّبوا عن المنكرات روحياً واخلاقياً هم ممن تشملهم عناية الباري عزوجل ومن يستحقون الاجر الجميل والثواب الجزيل من لدنه تعالى.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 197

«اول من يدخل الجنة المعروف واهله، واول من يرد عليّ الحوض» «1».

وقال الصادق (عليه السلام):

«ان للجنة باباً يقال له: المعروف، لا يدخله الا اهل المعروف، واهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة» «2».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«كلّ معروف صدقة» «3».

وفي القرآن الكريم اكد جل شأنه ان ثواب كلّ معروف بعشرة امثاله:

«مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امْتَالِهَا» «4».

ان التسامح في الطموح ضربٌ من المعروف وحسنةٌ من محاسن الروح ونوع من الصدقات تقابل بعشرة اضعافٍ من الاجر، فلم لا يبادر الزوجان إلى هذه التجارة الراجعة ويحرمان انفسهما من هذه النعمة الالهية مدى الحياة؟ حيث ان حرمان النفس من عناية رب العالمين ورحمته ظلمٌ فاحشٌ وذنب لا يغتفر وخسارةٌ لا تعوّض.

الحلم والعفو

ربما يرتكب الزوج أو الزوجة خطأً تجاه بعضهما البعض، إذ ربما تقع الزوجة في الخطأ أثناء تديرها لشؤون البيت كاعداد الطعام ومدارة الاولاد واداء حق الزوج، وقد يخطيء الزوج ايضاً في سلوكه وتصرفه واخلاقه واسلوبه

(1) - الوسائل: 303 / 16 طبعة آل البيت.

(2) - الوسائل: 304 - 305.

(3) - نفس المصدر.

(4) - الانعام: 160.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 198

في ادارة شؤون البيت وتقييمه لزوجته، فما كان من الاخطاء يمكن التغاضي والحلم عنه من قبل الطرفين فالتجاوز يكون في محله، اما في الاحوال التي تكون الحياة تقطع اشواطها الطبيعية فلا مجال فيها للتجاوز.

ان الواجب الشرعي والاخلاقي يحتم على الزوج العفو عن زوجته عند الحاجة، وكذا بالنسبة للمرأة، ومن القبيح هنا التشبث بالملكابة والتعنّت والانانية وعدم الاعتناء بحثثيات الطرف المقابل والتنكرّ للتعاليم الإلهية ووصايا الانبياء والائمة فيما يتعلق بالعفو والحلم وذلك مما يعد محرماً في بعض الحالات ويستوجب العقاب الالهي.

العفو والحلم من متفرعات الاحسان، والمحسن استناداً للمنطق القرآني يعتبر حبيب الله:

«وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» «1».

والعفو والحلم من الاهمية بمكان بحيث ان أجر العافي يقع على الله تعالى:

«فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» «2».

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تغفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك» «3».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ان الله عفوٌ يحبُّ العفو» «4».

(1) - آل عمران: 134.

(2) - الشورى: 40.

(3) - البحرار: 400 / 71.

(4) - ميزان الحكمة: 367 / 6.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 199

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«مَنْ اَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ اَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» «1».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ مُرَوِّتُنَا الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمْنَا» «2».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله):

«تجاوزوا عن ذنوب الناس يدفع الله عنكم بذلك عذاب النار» «3».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«قلّة العفو اقبح العيوب، والتسرع إلى الانتقام اعظم الذنوب» «4».

وعنه (عليه السلام) انه قال:

«شر الناس من لا يعفو عن الزّلة ولا يستر العورة» «5».

وقال الصادق (عليه السلام):

«عفواً من غير عقوبة، ولا تعنيف ولا عتب» «6».

واستناداً إلى الآيات القرآنية والروايات، فإنّ الله يحب العفو، وهو تعالى تكفل بأجر العافي، والعفو من مكارم الدنيا والآخرة، ومدعاة للنجاة من النار، واتباع لاهل البيت (عليهم السلام)، وقلّة العفو دليل على المرض النفسي وشرانية نفس الانسان.

فلماذا لا يعفو الزوجان عن بعضهما البعض إذا بدر من احدهما خطأ خلال

(1) - نفس المصدر.

(2) - نفس المصدر.

(3) - ميزان الحكمة: 368 / 6 - 370.

(4) - نفس المصدر.

(5) - نفس المصدر.

(6) - نفس المصدر.

مسيرة حياتهما كي يصبح احباء الله وينعما بثوابه ويتحولوا إلى منهلٍ لمكارم الدنيا والآخرة، ويعبّرا عن ولائهما لائمة اهل البيت (عليهم السلام) ويصبحا من زمرة، فكل ذلك انما هو ثمرة تجارة معنوية مع الله سبحانه من غير المعقول تضییعها، لا سيما وان التحليّ بذلك يعتبر فعلاً يسيراً وبسيطاً لا تكليف فيه.

فإذا ما اتخذ الزوجان من العفو منهجاً لهما ومارسا هذه الخصلة الالهية لفترة وجيزة، فانها سوف تترسخ لديهما وبذلك يصبحا ممن اتصف بهذه الميزة الالهية بعد قصيرٍ من الوقت.

التغافل أو التناسي

التغافل، من الخصال الحميدة والرفيعة والهامة التي يندر مَنْ يتحلّى بها بين عامة الناس.

ان الاطلاع على الخطأ والتقصير والوقوف على العيب والنقص، والتغاضي عنه بنحوٍ يطمئن الطرف المقابل بعدم اطلاع أي انسان عليه، يعتبر من أسمى المزايا الروحية واعظم الخصال الانسانية.

انّها ذروة الكرم والعظمة في الشخصية ان يرى الرجل خطأً من زوجته أو تشاهد المرأة خطأً من زوجها، فيتعمد التغاضي بكل رجولة وإباءٍ وكرم، ويحافظ على حالة التغاضي في كل ما يطرأ مستقبلاً.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ان العاقل نصفه احتمالٌ ونصفه تغافل».

وعنه (عليه السلام):

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 201

«اشرف اخلاق الكرم كثرة تغافله عما يعلم» «1».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«لا عقل كالتجاهل، لا حلم كالتغافل» «2».

ان التدقيق والشدة في المحاسبة وتصور عصمة الطرف المقابل من جميع الجوانب وعدم الصفح وتثبيت الاخطاء وكما تعارف عليه التنقيب عن الخطأ كل ذلك مما ينافي الاخلاق، وكما يعبر أمير المؤمنين (عليه السلام):

ان العفو والصفح والاسمى منهما التغافل والتجاهل هي من الامور الضرورية التي لا بد للرجل والمرأة التحلي بها وعن طريق هذه الخصال الحميدة والاخلاق الفاضلة تهنأ الحياة وتعمها السعادة، وتتمتع الاعصاب بالراحة التامة، ويسلم كل من البدن والروح من الكثير من الامراض.

ان العفو والصفح والتجاهل والتغافل ما هي الا ثمرة طيبة لكبح جموح الغضب أو ما عبر عنه القرآن الكريم «كظم الغيظ»، وتجنب الحدة والهروب من نيرانها.

والغضب والحدة والمراء والعناد والجدال غير المبرر، انما هي مما يرفضه الحق تعالى، ومن شعب جهنم، وصفات ذميمة، وتخلق عدواني، ومما يؤدي إلى انهيار صرح الحياة ودافع ينتهي إلى الطلاق والانفصال، والغرق في وحل الكثير من المعاصي والموبقات، والانغماس بكل ما هو شر وباطل.

وقد ورد بشأن المراء بالباطل والعناد:

ان رجلاً قال للحسين بن علي (عليه السلام) اجلس حتى نتناظر في الدين، فقال (عليه السلام): يا هذا انا بصيرٌ بديني مكشوفٌ عليّ هُدائي فإن كنتَ جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه، مالي

(1) - ميزان الحكمة: 268/7.

(2) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 202

وللمماراة، وان الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه... «1».

مما لا شك فيه ان الجدال والنقاش إذا كان من أجل اثبات الحق ومن مصاديق الجدال بالتي هي احسن، فذلك مما لا اشكال به، بل يمثل السبيل للتطور العلمي واستجلاء الحقيقة ومما يقره العلم والعقل والشرع، اما إذا كان من باب العناد ومحاولة تحطيم الطرف الآخر والنيل من كرامته وخلخله الاستقرار، فلا شك في أنه محرّم يعتبر مرتكبه عاصياً ويستحق عليه العقاب.

قال الامام الرضا (عليه السلام) لعبد العظيم الحسيني.

يا عبداً العظيم! ابلغ عني اوليائي السلام وقل لهم ان لا يجعلوا للشيطان على انفسهم سبيلاً، ومُرَّهُمْ بالصدق في الحديث واداء الامانة، ومرهم بالسكوت وترك الجدل فيما لا يعينهم «2».

الغضب والحدة

لقد حذّرت الروايات والتعاليم الاسلامية ومن قبلها آيات القرآن الكريم من الغضب والحدة معتبرة الغضب من العوامل المدمرة ودليلاً على الطيش وسبباً في الهلاك، وجمرة من جمار الشيطان، وضرب من الجنون وهو مفتاح كل شر.

في كلام لأُميرالمؤمنين (عليه السلام) بهذا الشأن أنّه قال:

«الغضب شرٌّ ان اطلقته دمر» «3».

«الغضب مركب الطيش» «4».

(1) - البحار: 2 / 135.

(2) - البحار: 74 / 230.

(3) - ميزان الحكمة: 7 / 231.

(4) - ميزان الحكمة: 7 / 230 - 231.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 203

«الغضب يثير كوامن الحق» «1».

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«الغضب مفتاح كل شر» «2».

نعم، فالمغتاض یرتکب ما شاء من الایحاء، ویتحمل علی کرامة الطرف المقابل، ویشیر اعصابه وقلبه، فتتفخ ادواجه ویمحمر وجهه، فیضرب ویدمر ویحرق ویطلق ویلحق الضرر و... الخ.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«الغضب جمرة من الشيطان» «3».

وقال علي (عليه السلام):

«الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم» «4».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«الغضب يفسد الالباب ويبعد من الصواب» «5».

ويقول (عليه السلام) متحاملاً على هذه الميزة الشيطانية:

«ليس منّا من لم يملك غضبه» «6».

وقال (عليه السلام):

«من غلبت عليه غضبه وشهوته فهو في حيز البهائم» «7».

(1) - نفس المصدر.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - ميزان الحكمة: 232 / 7 - 233.

(5) - نفس المصدر.

(6) - نفس المصدر.

(7) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 204

قال الباقر (عليه السلام) بشأن كظم الغيظ:

«مَنْ كَظَمَ غِيظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى امْضَائِهِ حَشَا اللَّهَ قَلْبَهُ اَمْنًا وَاِيْمَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» «1».

وقال علي (عليه السلام):

«مَنْ كَفَّ غَضَبُهُ سِتْرَ اللَّهِ عَوْرَتَهُ» «2».

وكتب إلى الحارث الهمداني:

«واكظم الغيظ، وتجاوز عند المقدرة، واحلم عند الغضب، واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة» «3».

وقد تواترت الروايات في الكافي، ووسائل الشيعة وبحار الانوار تؤكدان الامان والقرب من الله يوم القيامة هو الأجر الذي يستتبع كظم الغيظ.

سئل المسيح (عليه السلام) عن العلة في الغضب فقال:

«الكبر والتجبر ومحقرة الناس».

وجاء في وصايا النبي (صلى الله عليه و آله) لأئمة المؤمنين (عليه السلام):

«لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد، وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم، وإذا قيل لك اتق الله فانبذ غضبك وراجع حلمك».

التفاخر

ان التفاخر على الآخرين من قبائح الاخلاق، ومما عدّه الاسلام من المعاصي والذنوب، ومن ابتلى بهذا الوباء الشيطاني يستحق النعمة الالهية الا ان يتوب ويؤوب إلى رشده وتواضعه.

(1) - الكافي: 2 / 110.

(2) - ميزان الحكمة: 7 / 236.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 205

ان الزوجين إذ يجمعها ميثاق اخلاقي و شرعي، بعد ان ارتضى كل منهما الآخر من خلال لقاءهما قبل الزواج ومعرفتهما باحوال كل منهما من ناحية الاسرة والثروة والجمال والقبيلة، واصبحا الآن يعيشان حياة مشتركة، يتعين عليهما - إذا ما حدث طارئ - ان يتجنبنا التفاخر الاسري والمادي وذكر الحسب والنسب والثروة والجمال والشباب والعلم، إذ ان ذلك من شأنه إثارة كوامن النفس والغليان الباطني، وربما يثير الخجل، ويتسبب في اشعال نار الغضب والتذمر والحقد والعداء ويؤدي إلى ردود فعل معاكسة لدى الطرف الآخر، وغالباً ما يجر إلى النزاع والمخاصمة والتفرقة والطلاق، وكل ذلك من العواقب الوخيمة الناجمة عن التفاخر ولا تقع تبعاتهما الا في رقبة المتفاخر.

قال امير المؤمنين (عليه السلام):

«لا تُحمق اعظم من الفخر» «1».

وفي كلام له (عليه السلام):

«ضع فخرك واحطط كبرك، وإذكر قبرك» «2».

ان التفاخر والخيلاء من القبح بمكان بحيث ان السجادة (عليه السلام) يدعو الله تعالى ضمن دعائه التاسع عشر في الصحيفة قائلاً:

«واعصمني من الفخر».

وقال علي (عليه السلام):

«ما لابن آدم والفخر، اوله نطفة وآخره جيفة، لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه» «3».

وقد ذكر الباري تعالى في كتابه وفي مواضع عديدة، ان الله لا يحب المتفاخر

(1) - ميزان الحكمة: 414 / 7.

(2) - نفس المصدر.

(3) - البحار: 294 / 73.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 206

المتكبر، منها قوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» «1».

على اية حال، ينبغي على كل من الزوج والزوجة تجنب التفاخر فيما بينهما على صعيد الاسرة والجمال والثروة والعلم، فكل ذلك زائل لا محالة، وان هذه الخصال الشيطانية انما هي مصدر للمتاعب والازمات وذهول الفكر وسبب في زوال المودة والمحبة ومدعاة لاثارة الخصام والنزاع والحرمان من رحمة الله سبحانه.

السلوك

يجب ان تكون تصرفات الزوجين ازاء بعضهما مثلاً للتأدب والوقار والرفقة والصدقة والتعاون والانسجام والمحبة والود والتواضع، وان يكون تعاملهما فيما بينهما قائماً على اساس الاحترام المتبادل وتقدير شخصية الطرف المقابل.

على الرجل ان يعرف ان المرأة مخلوق رقيق ولطيف وهي منهلة للعاطفة والحنان ومصدرة للمحبة والود والحياء، وعليه ان يلحظ هذه الجوانب في تعامله معها، وعلى المرأة ان تعلم بأن الرجل مخلوق قوي وحش و يتميز بمواصفات تختلف كثيراً عن المرأة، وباختصار فإن صرح الحياة يقوم بوجود.

قال تعالى:

«الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» «2».

من هنا يتعين على الزوجات ملاحظة هذه الجوانب في تعاملهن مع

(1) - لقمان: 18.

(2) - النساء: 34.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 207

ازواجهنّ إذ ان الانسجام والحياة الهانئة انما تتحقق في ظل مراعاة هذه الحقائق من قبل الطرفين.

لنسعى من أجل أن يكون سلوك كل منا وتصرفه تجاه الآخر مصداقاً واقعياً للعمل الصالح والسلوك الصائب كي نفلح في تمشية الامور الحياتية، وكذلك ننعيم بالأجر والثواب الاخروي نتيجة ما نقوم به من عملٍ وارضائنا بعضنا لبعض.

المنطق

ينبغي لكل من الزوج والزوجة ان يكون حديثهما وكلامهما فيما بينهما مقروناً بالحبّ والمودة وتعبيراً عن المشاعر والعواطف، ومثالاً للتعقل والاحساس والانصاف.

يجب اثناء تبادل الحديث التزام العدالة بالقول «1» والقول الحسن «2»، والقول اللين «3»، والقول الميسور «4» والقول الاحسن «5».

فعندما يصطبغ الكلام بالصبغة الالهية، ويكون التقييم تقييماً صائباً، وإذا كان الحديث سلساً ومبسّطاً، والقول نابغ من العدل والانصاف فانه يضفي على الحياة الدفء والاستحكام والمحبة والسلامة.

وإذا كان القول حقاً ويتصف بنبرة دافئة مقترنة بالحنان والمحبة، فإنّ جزاءه تفتح عين البصيرة واستماع نداء الحق تعالى، وهذا ما يؤيده قول رسول (صلى الله عليه و آله):

(1) - الانعام: 152.

(2) - البقرة: 83.

(3) - طه: 44.

(4) - الاسراء: 28.

(5) - فصلت: 33.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 208

«لولا تكثر في كلامكم وتمريج في قلوبكم لسمعت ما اسمع ولرأيت ما ارى» «1».

«فعليكم الكف عن اللغو والاسفاف في الكلام والادلاء بما لا ينفع في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«من حسن اسلام المرء تركه الكلام فيما لا يعنيه» «2».

مرّ اميرالمؤمنين (عليه السلام) برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه، ثم قال: يا هذا انك تُملئ على حافظيك كتاباً إلى ربك فتكلّم بما يعينك ودع ما لا يعينك.

وقال ابوذر (رضي الله عنه):

«اجعل الدنيا كلمتين: كلمة في طلب الحلال، وكلمة للآخرة، والثالثة تضر ولا تنفع فلا يردها» «3».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«كلّ كلام ابن آدم عليه لا له الا أمرٌ بمعروفٍ أو نهْيٌ عن منكر أو ذكرُ الله» «4».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَاؤُهُ وَمَنْ كَثُرَ خَطَاؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ» 5.

على الزوجين ان ينصبَّ حديثهما داخل المنزل حول شؤون الحياة ومتطلبات المنزل وما يحتاجانه وكذلك ما يحتاجه الاولاد، وابداء الود والمحبة تجاه بعضها البعض، والتواصي فيما بينهما بالحق والصبر، والمحافظة على اسرار بعضهما البعض وعدم نقل ما يدور في المنزل إلى بيوت الاهل والاقارب

(1) - كنز العمال.

(2) - ميزان الحكمة: 434 / 8 - 440.

(3) - ميزان الحكمة: 434 / 8 - 440.

(4) - نفس المصدر.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 209

والاصدقاء، ويجعل من الدار موطناً يُداول فيه قول الحق، والصلاة وتلاوة القرآن، ويُناي فيه عن الكذب والغيبة وقول السوء والفحشاء، إذ يستفاد من آيات القرآن الكريم والروايات ان الكذب والغيبة والبهتان والفحشاء وقول السوء والسخرية والاحتقار تُبعد الانسان عن رحمة الباري تعالى وتلقي به في لهوات النعمة الالهية.

على الرجل ان يحترز من استضافة اهل المعاصي في منزله واقامة المجالس التي تتنافى والتعاليم الالهية، إذ ان اضرار ذلك ستحقيق به وبعياله وبذلك يضع اخرته وآخرة عياله في مهب الريح.

وعلى الزوجة ان تتورع عن الاسراف في تمشية شؤون الحياة وتجنب الاهدار في الانفاق الذي ربما ينجم عن تقليد الآخرين، إذ ان لكل دينار حساباً خاصاً يوم القيامة.

على الزوجين ان ينقلا حالة الوقار والتأديب والتدين وطهارة النفس بشكلٍ عمليٍّ إلى ابنائهما والمحيطين بهما وذلك من خلال سلوكهما وحديثهما وتصرفهما، وإذا ان هداية شخصٍ واحدٍ وان كان الولد بمثابة هداية الناس جميعاً.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 211

«وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ»

النور/ 31

13

الحجاب وطهارة المرأة

فوائد الحجاب

ان الخمار أو الحجاب الذي يستر محاسن المرأة وزينتها ويصونها من اعين المتطفلين الفاقدين للاب ومن انغمسوا بالشهوة الحيوانية، والوقوع في احاييل الشيطان، انما هو حكمٌ قرآني وقانون الهي ومسؤولية انسانية وعملٌ اخلاقي.

والحجاب الاسلامي - وافضل انواعه الخمار الذي يمثل إرثاً تركته لنا رمز العفة والطهارة فاطمة الزهراء (عليها السلام) - لا يحول أبداً بين المرأة وبين طلب العلم وبلوغ الرشد والكمال، بل يصونها من الكثير من الاخطار والمصائد التي نصبها ذوو الطباع الحيوانية في طريق الجميلات والفتيات، ويحافظ على طهارتها وعفتها وحيائها ويجعل ذلك منحصراً بزوجه، أو بمن سيكون من نصيبها في المستقبل ان لم تتزوج بعد.

ان جوهره نفسيةً وجميلة كالمراة إذا ما حُفظت بين اكناف الحجاب فانها ستكون بمأمنٍ عن تطاول المتلصصين والناهين والراكسين في وحل المعصية والرذيلة.

فإذا ما تحصنت الشابات عن الانظار ولم تقع أعين الناس على وجوههن الطاهرة البريئة، حينها ستخمد جذوة الاهواء والرغبات، وستنطفئ نيران الغرائز والشهوات ولا تقضي بلهيبها على طهارة امه بكاملها ولا تدمر صرح المبادئ المعنوية لبلدٍ بأكمله.

وإذا لم تقع عين الشباب على جمال الفتيات والنساء ومحاسنهنّ التي تبهر

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 214

الانظار في الشارع والسوق والمتنزهات والاماكن العامة والمستشفيات والمؤسسات والمراكز التجارية، لا يطلقون حينها العنان لنظراتهم واهوائهم وميولهم في مطاردة الفتيات والتجاوز على نوااميس الناس، ولا يُصابون بالركود الذهني والانهيار العصبي والبلوغ العاجل، ولا يلجأون إلى الاستمناء واللواط والزنا ولا يستحوذ عليهم شroud الافكار والمنغصات والقلق وفقدان الاهتمام بالتحصيل العلمي، والعلاقات غير المشروعة والامراض النفسية، وبالتالي تعطيل قدراتهم الانسانية.

بناءً على ذلك ينبغي القول: ان الحجاب واجب على المرأة، وفرض مبرم، ولا شك في كفر من ينكره وخروجه عن الاسلام وهو يعلم بأنه من ضروريات الدين وهو من اوامر الله التي وردت في القرآن الكريم.

والشباب الذي يُنكر الحجاب لا يمكنه الزواج من المسلمة، إذ أنّ هذا الزواج باطل ولا يترتب اي أثر للعقد الموقع بينهما، والعلاقة التي تجمعهما تعتبر علاقة محرّمة، وابناؤهما ابناء حرام وفعلهما بحكم الزنا، وكذا الحال بالنسبة للمرأة التي تنكر الحجاب فإنّ الأحكام ذاتها تجري بحققها.

فالحجاب يحافظ على وقار المرأة وشخصيتها وكرامتها وعظمتها ويحتفظ بجمالها ومحاسنها للزوج فحسب.

وفي نفس الوقت الذي تلتزم به المرأة بحجابها فإن بامكانها تسلق مدارج التحصيل العلمي وطبي سبيل الكمال والفضائل، وما يثار من أنّ الحجاب يمثل حائلاً لها في طريق التكامل والرقى ما هو الآ من وساوس الشيطان واجراء فكري خاطيء القاه المستعمرون الناهبون واللصوص الذين ينقضون على النوااميس واذناب الشرق والغرب.

ان حالة التآلف التي تسود كيان العائلة واستحكام العلاقة بين الزوجين

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 215

ودوام الحياة الزوجية واستكانة قلوب الرجال ورسوخ انسجام الرجل ومحبتة مع زوجته الشرعية وتشبيد الكيان العائلي وتوطيد ثقة الرجل وركونه لزوجته، كل ذلك مرهون بالتزام نساء البلد بالحجاب وعدم وقوع انظار الرجال على محاسن وجمال غير نسائهم.

فإذا ما تسنى للرجال ان تمتد ايديهم للنساء بيسر وسهولة وفي جميع المرافق الاجتماعية فلن يكون هنالك ضمان للمحافظة على محبتهم وتعلقهم بزوجاتهم وسيؤدي تهيج شهواتهم ورغباتهم إلى قتل حالة الرغبة فيهم نحو حياتهم الزوجية وسيتحولون إلى معاول تدمر كيان العائلة الدافئ.

ان الاضرار الناجمة عن السفور واطلاق العنان للنساء والحرية الممنوحة لهنّ بنمطها الغربي، مما لا تعد ولا تحصى، فقد تسبب السفور إلى الآن باغواء الملايين من الرجال، وانزلاق آخرين في الموبقات، وتفشي الطلاق بين الوائل، وبروز ظاهرة الغرام بين الرجل والمرأة المتزوجة، والعلاقات غير المشروعة، وكما اراد اليهود والنصارى فقد اصبح سبباً في خروج الكثير من الرجال والنساء من رحاب الاسلام والتدين.

وقد شعر الذين أرسوا قواعد السفور بالانزعاج من هذه الظاهرة معتبرين إياها من الظواهر المشؤومة التي برزت خلال القرون المتأخرة.

لقد كان نظام الاسرة في ايران نظاماً قوياً راسخاً يقوم على اساس الحياء والعفاف والاتزان والآداب، والايمان والتقوى ومن النادر ان يحصل فيه، بيد إنه ومنذ ان سلط الاستعمار ذلك الجاهل اللقيم والخائن القذر رضاخان بهلوي وبادر إلى خلع الحجاب من النساء تبدل وضع البيت والاسرة فارتفعت حالات الطلاق إلى الحد الذي بلغت فيه طلبات الطلاق المقدمة إلى المحاكم خلال الفترة الاخيرة من حكم هذه العائلة سيئة الصيت ما بين ستة آلاف إلى سبعة آلاف طلب

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 216

في الشهر الواحد، فاصبح المتزوجون بلا نساء والمتزوجات بلا رجال، وبذلك فقد انضمت الفتتان إلى المجتمع متفرغين من رباط الزوجية واخذوا بنشر الفساد والافساد.

وبعد واقعة كشف الحجاب كان المرجع الكبير آية الله الشاه آبادي (رحمه الله) - وكما نقل لي من استمع له - ينادي كراراً من على منبره وفي المحافل العامة والخاصة: ان رضاخان بسطوه على الحجاب وقتله للثائرين ضد السفور في مسجد گوهرشاد وحرم الامام الرضا (عليه السلام) قد قصم ظهر مائه واربعة وعشرين الف نبي!!

نعم، فإنّ ذلك العارف المتأله البصير الذي كان مجتهداً متضلّعاً في الأحكام الاسلامية والفلسفة ومتبحراً قلّ نظيره، كان يعتبر كشف الحجاب والسفور قصماً لظهور رسل الله!!

يقول سيد قطب في كتابه «هل نحن مسلمون؟»: طبقاً للوثائق التي بحوزتي، فإنّ أحد البواب جمع كافة القساوسة والكاردينالات في الفاتيكان وطلب منهم تقديم ما يقترحونه من اجل القضاء على الاسلام واخماد جذوته باسلوب لا يكلف الفاتيكان والمسيحية الكثير من التكاليف، فتشكلت اللجان لهذا الغرض، وبادر الكل لابداء وجهات نظرهم، ومن بين جميع الآراء والنظريات حظي رأيي واحدٌ بموافقة البابا وسائر القساوسة والكاردينالات، ومفاد هذا الرأي: ان امضى سلاح وأزهد سبيل للقضاء على الاسلام يتمثل في اخراج النساء المسلمات من الحجاب وتعريضهن امام الشباب والرجال سافرات في الزقاق والسوق والاماكن العامة والمتنزهات وصالات السينما والمؤسسات والمراكز التجارية والمسارح والمراكز الاجتماعية!

وقد جرى تنفيذ ذلك على ايدي الخونة، وقد ساعدت رغبات ونزوات من

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 217

ضعف ايمانهم أو فقدن الايمان على اضرار نار هذه الفتنة المدمرة، ووصل الحال في البلاد الاسلامية ولا سيما في ايران إلى ان يحى الاسلام من الوجود، الاسلام الذي يعتبر حصيلة جهود الانبياء والائمة والعلماء، ويُحمد نبراس هدايته، آلا ان يد الحق تعالى امتدت من جديد عن طريق سليل النبوة وحفيد الامامة، أي محطم الاصنام الخميني الكبير (رحمه الله) لتوجهه صفقة للنهابين وتنقذ الاسلام من قيود الاشرار وتعيد الحجاب التستر به نواويس المسلمين.

يتعين على ابناء الامة الاسلامية المحافظة على هذه الثورة التي قادها ذلك الرجل الالهي، والدفاع عن قيمها وان لا يدعوا مجالاً للاعداء في تشويه هذا النور أو اخماده ويعيدوا الشعب الايراني إلى الورا، كي يتسنى تصدير ثقافة الثورة بكل صلابة وثبات واعادة سائر الشعوب الاسلامية إلى حظيرة الاسلام.

من خلال ما تقدم ندرك اهمية قول المفكر الشهيد المطهري الذي طالما نادى في خطبه: ان الحجاب صيانة وليس تقييداً.

نعم، فالحجاب صيانة للمرأة وزوجها واسرتها والمجتمع لا سيما الشباب ومن لم يدخلوا بيت الزوجية بعد، صيانة من آلف الاخطار وشتى المفاسد، وسداً يقف امام انهيار كيان الاسرة الدافئ.

وقد أكد المحققون ان حجاب المرأة قد ذكر في اربع عشرة آية من آيات القرآن الكريم فيما يعتقد البعض ان هذا المعنى يستشف من ما يناهز الخمس وعشرين آية.

في كلام لأمر المؤمنين (عليه السلام) مع ابنه الحسن (عليه السلام) - وبالحقيقة انه (عليه السلام) يخاطب الناس جميعاً - يقول (عليه السلام):

«... واكفف عليهنَّ من ابصارهنَّ بحجابك إياهنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ خَيْرٌ لَكَ وَلَهُنَّ مِنَ الْارْتِيَابِ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 218

يوثق به عليهنَّ، وان استطعت ان لا يعرّفن غيرك من الرجال فافعل» «1».

وفي رواية، يقول الراوي:

كنت قاعداً في البقيع مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) في يوم دجنٍ ومطرٍ إذ مرّت امرأة على حمار فهوت يد الحمار في وهدة فسقطت المرأة فاعرض النبي (صلى الله عليه و آله) بوجهه، قالوا: يا رسول الله! أنّها متسرولة، قال: اللهم اغفر للمتسرولات، ثلاثاً، يا أيّها الناس! اتخذوا السراويلات فإنّها من استر ثيابكم وحصّنها بها نساءكم إذا خرجن «2».

على المرأة ان تعترف بعبوديتها لله تعالى وترعى ما وهبها من نعم، ورعاية مواهب المنعم والمالك والربّ الحقيقي تتمثل بتعظيمه والخشية من المعاد ومحكمته، وان تطيع أحكامه التي وردت في القرآن الكريم وجرّت على لسان الانبياء والائمة كي تأمن هي واسرتها ومجتمعها من الوقوع فريسة للسفور والتبرج، وقد قال تعالى:

«وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ «40» فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» «3».

ومما يؤسف له ان الكثير من البنات والنساء في هذا الزمان وعلى امتداد عالمنا قد سلكن طريق التحلل واطلقن العنان لشهواتهن وغرائزنهن وبسطن مائدة الفساد والافساد بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ، وما يحزّ في النفس ان طائفة من بنات المسلمين ونسائهم ممّن يُحسبنّ على رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد اخذن بتقليد تلکم النساء.

(1) - البحار: 214 / 77.

(2) - ميزان الحكمة: 259 / 2.

(3) - النازعات: 40 - 41.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 219

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) بشأن هاتيك النساء:

«يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة، وهو شر الازمنة، نسوة كاشفات عاريات، متبرجات، من الدين خارجات، في الفتن داخلات، مائلات إلى الشهوات مسرعات إلى اللذات، مستحلات المحرمات، في جهنم خالدات» **«1»**.

واقعة مدهشة

قرأت ذات مرة في صحيفة كيهان واسعة الانتشار، ولا أتذكر العدد:

ان امرأة شابة - وهي نموذج لما ورد في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) - نتيجة لما تتمتع به من حرية على النمط الغربي وكثرة الوافدين على بيتها من اصدقاء زوجها، وظهورها امامهم سافرة شبه عارية وتردها على المجالس المختلطة، ومع انّها كانت امّاً لطفلة في الثالثة من العمر، وقعت في غرام شابٍ واخذت تراودها أحلام الوصول اليه، فيما كان ذلك الشاب منغمساً في الشهوة فاقداً للدين واخذت هذه الشابة المتزوجة تثير نزواته، فقال للمرأة: ان هذه الطفلة تعرفل ما نصبو اليه ولا بد من ازاقتها عن طريقنا!!

فاستمر الجدل بين العشيقين الفاسقين ذوي النفس الحيوانية حول الطفلة البريئة إلى ما يقرب من اربعة اشهر، اندفعت بعدها الام - التي خلقت لتكون منهلًا للحنان والعاطفة ومنبعاً للرحمة والرأفة - ونتيجة لغلبة الشهوة عليها ورغبتها في السقوط بين احضان الآخرين وتناسب امومتها فجّرت طفلتها البريئة الجميلة ذات الشعر الذهبي إلى الحمام وحنقتها بيديها الآثنتين، كي تزيل ما يضايق شهوتها ونزوتها، ويصيب ذلك الشباب المنحرف مراده للحظات معدودة، وتحقق المرأة المتزوجة رغبتها الجنسية لبضع دقائق دون حياء، وبذلك تلوث

(1) - الوسائل: 19 / 14.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 220

سمعتها إلى الابد وتحرق كيان زوجها بنارٍ لا تخمد ابداً وتبتليه بمصيبة اليمة.

لو كان زوج تلك المرأة غيوراً ولا يدع زوجته الشابة الجميلة تتلاقفها العيون وبامكان الجميع النظر اليها وهي على ذلك الجمال الجذاب لما قُتلت تلك الطفلة البريئة واحترق فؤاد أبيها بنار ابدية، ولما خُدشت عفة زوجته، ولما وقع الشاب بهذا الشكل في اتون الشقاء والتعاسة، ولما انهار كيان هذه الاسرة الفتية، نعم فالحجاب صيانة وليس تقييد.

آراء مفكري الغرب حول اوضاع المجتمع الغربي

في مقالة له كتب بيزرائيلي أحد رؤساء الوزراء في بريطانيا - البلد الذي يعد في طليعة مراكز الفساد والافساد: ما اكثر الاعمال الجنونية التي اواجه خطر ارتكابها، بيد اني احاول تجنب واحدٍ منها بكل حزم وان لا اخطوا فيه خطوة واحدة، وذلك هو الزواج عن طريق الغرام، فكلما تصادفني فتاة في الشارع أو السوق اميل اليها واقول انّها الزوجة المثالية بالنسبة لي. ان هؤلاء الجهلة اخرجوا هذه الجوهرة النفيسة الطاهرة من رحاب العفة والبراءة والحجاب واطلقوا لها اليد في ان تمارس ما تمليه الشهوة ثم القوا بها جانباً بذريعة الهروب من الزواج الغرامي، لانهم وجدوا هذه الجوهرة قد فقدت قيمتها واهميتها واخذت تنتقل بين الاحضان وترتكب كل ما ينتافى مع العفة والادب ويتعارض مع الوقار والانسانية.

وكتبت السيدة - ال زيماري - وهي شاعرة وكاتبة سويدية في مقالة مهمة لها في صحيفة اكسبرس حول المجتمع الاوربي، تقول: ان الرجال لا يعرفون للوفاء والصدق معنى، فهم يكرهون بالنساء! نقول لهذه السيدة: منذ ان اوقعتم المرأة في وحل التبرج والتحلل والسفور وجعلتموها رهينة الشهوات والنزوات الطائشة

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 221

باسم الحرية، واستطاع الرجال امتاع انظارهم منها وهي شبه عارية بكل يسر وسهولة متى ما شاؤوا، حينها فقدوا ما لديهم من وفاء وصدق تجاه زوجاتهم وعوائلهم وتحولوا إلى اناسٍ مكرين مخادعين.

ان آثار التبرج والسفور وحرية المرأة في اقامة العلاقات مع من تشاء وما نجم عن هذه الظاهرة من افرازات هو مما يستعصي على الحاسبات حصرة.

نتيجة لرؤية الرجال لهذه المشاهد فقد تنصلوا عن زوجاتهم، وكما يعبر عنه بالخلاص من تكاليف المنزل التي كانت على عواتقهم، وتوجهوا نحو الاسواق الحرة لاشباع غرائزهم، وحيث ان من لم يتزوج من الشباب وجدوا ما يطفىء جذوة شهوتهم

بازهد الاثمان فقد عزفوا عن بناء الحياة الزوجية وتوجهوا نحو المغازلة واصطياد نواميس الناس، وهكذا انهار البناء العائلي في الغرب ومن قلدّهم من الشرقيين وتحولت الاوضاع إلى ما يشبه حياة الغاب.

وتضيف السيدة الزيماري في مقالتها: هنالك الكثير من الآنسات الحسنات في جميع انحاء السويد حالياً ممن يحملن بالزواج، وكثيرٌ منهنّ قد اضطررن لاقامة علاقات مع الرجال.

نعم، فهنّ بانتظار من يتقدم للزواج منهنّ، ولكن ليس هنالك من يتقدم للزواج، لان الشباب بامكانهم الحصول على النساء بأيّ كيفية شاؤوا، ولا يرون بأنفسهم حاجة للزواج، وهنالك الكثير من الرجال المتزوجين قد طلقوا زوجاتهم كي يتسنى لهم ارضاء غرائزهم بحرية!!

ثم تقول السيدة الزيماري: وصيتي للفتيات ان لا يقمن أي علاقة مع أي رجل قبل الزواج.

أيّ دعوة مهمة هذه؟ أمّا دعوة لا تمثل حلاً عملياً لما تعيشه المرأة حالياً من وضعٍ في العالم قاطبة، ومع ما يعيشه الرجل من طيش في المجتمع الغربي، فإذا

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 222

ما اراد العالم ان ينال الصلاح والسداد عليه العمل بالاحكام الشرعية والانسانية للاسلام فيما يتعلق بالمرأة، وفي مقدمة هذه الأحكام عودة المرأة الى حجابها ورجوعها إلى عففتها وبراءتها ووقارها وحيائها، وفي غير ذلك ليس هنالك من علاج لهذه المفاسد الهدامة.

ان الظلم الذي مارسه الغرب بحق المرأة لا نظير له على امتداد التاريخ البشري، فقد وجّه اهتمام المرأة وارادتها نحو الزينة والتبذل وغواية الرجال والظهور في الشوارع والاسواق واشاعة الفساد في كافة جوانب الحياة، وبدلاً إلى سلعة رخيصة لاثارة الشهوات، واستغلها لكسب المال والثروة وارضاء الشهوات.

قال علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:

«ان البهائم همُّها بطونها، وان السباع همُّها العدوان على غيرها، وان النساء همُّهنَّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها، ان المؤمنين مستكينون، ان المؤمنين مشفقون، ان المؤمنين خائفون» «1».

درس من واقعة الحسين (عليه السلام)

یروی ان الحسین (علیه السلام) اوصی اخته زینب (علیها السلام) قبل ان يتوجه إلى ساحة القتال ان تجمع ما لدى النساء من حلّی وإذا ما استشهد (علیها السلام) وهجم الاعداء على المخيم تلقي تلك الحلی أمامهم لينشغلوا بها وتمكن العیال من اللجوء إلى مكان آمن.

وقیل ان یزیداً لما اخذ يضرب ثغر الحسین (علیه السلام) بالقضیب رأت احدی

(1) - نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 9، «ب» 13 ص 160.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 223

جواریه الزهراء (علیها السلام) فی المنام وهي تدعو بالویل علی یزید، فقامت هذه الجارية من نومها مدعورة مضطربة وتوجهت إلى مجلس یزید حاسرة الرأس ولما رآها یزید صاح بها والقی علیها إزاره.

واعجباً! إذ ان یزیداً شارب الخمر واللاعب بالکلاب والقردة لم يتحمل ان تخرج جاریته حاسرة الرأس والقی علیها ازاره وابعدها عن الاجانب، الا ان هنا لك من الرجال من غیرة له علی ناموسه فیخرج زوجته سافرة متزينة ويدعها تذهب اينما شاءت أو یصطحبها معه!!

قال النبی (صلی الله علیه و آله) حول الغیرة.

«ان الغیرة من الايمان» «1».

وقال الصادق (علیه السلام):

«ان الله غیورٌ یحبُّ کلَّ غیور، ومن غیرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها» «2».

الحجاب ونظرة السوء فی القرآن

ان التبرج والسفور من الممارسات القبيحة، ومفاسدهما ما لا حصر لها، وان تحريمهما نابغ من غيرة الله سبحانه، فطوبى لمن سار على هدي الحق تعالى وغار على ناموسه.

وحيث انه لا مناص للرجل والمرأة من التردد في الشوارع والاسواق وبيوت الاقارب والحضور في المحافل والمدارس والجامعات لكسب العلم، والسفرات الترفيهية ولغرض الزيارة، فقد ورد في القرآن الكريم ما يعد حكماً واجباً بحق المرأة، وآخر بحق الرجل والمرأة لغرض المحافظة سلامتهما العقلية

(1) - ميزان الحكمة: 7 / 357 - 358.

(2) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 224

والروحية، اما بشأن النساء فقد قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيسِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِضْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» «1».

اما فيما يتعلق بالاثنتين:

«قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَ قُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ» «2».

قال الامام الصادق (عليه السلام): ان عيسى قال لاصحابه:

«إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة، وكفى به لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه» «3».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«ليس في البدن شيء أقل شكراً من العين فلا تعطوها سُؤلها فتشغلکم عن ذکرالله عزوجل» «4».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله):

«لكل عضوٍ حظٌّ من الزنا، فالعين زناه النظر» «5».

وحينما قالت بنتُ شعيب لابيها - وهو ما اورده القرآن -:

«يا ابي استأجره انَّ خير من استأجرت القوي الأمين.

قال لها شعيب (عليه السلام):

يا بنيّة هذا قويٌّ قد عرفتيه بدفع الصخرة، الأمين من اين عرفتيه؟ قالت: يا أبتِ ابي مشيت قدّامه، فقال: امشي من خلفي
فإنّ ضللتُ فارشديني إلى

(1) - الاحزاب: 59.

(2) - النور: 30 - 31.

(3) - البحار: 284 / 78.

(4) - البحار: 36 / 104.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 225

الطريق فانا قومٌ لا ننظر في ادبار النساء» «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ مَلَأَ عَيْنَهُ مِنْ حَرَامٍ مَلَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ» «2».

وعن رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الله سبحانه:

«النظر سهمٌ من سهام ابليس، من تركها من مخافتى ابدلتهُ ايماناً يجدُ حلاوته في قلبه» «3».

محارم المرأة في نظر القرآن

ان كتاب الله الذي يعتبر كتاب هداية ومصدر سعادة وبناء للذات ومبعث خير للعالمين في الدنيا والآخرة وضَّح من خلال آية واحدة مَنْ هم محارم المرأة كي تعرف الذين يحلّ لها ان تبدي زينتها أمامهم، وَمَنْ تُخفي زينتها أمامهم، يقول تعالى:

«... وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ لِيُضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْثَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ، وَ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «4».

(1) - البحار: 32 / 13.

(2) - ميزان الحكمة: 78 / 10.

(3) - نفس المصدر.

(4) - النور: 31.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 226

فيا ايّها المسلمات، والبنات من امة محمد (صلى الله عليه و آله)! اطعن الأحكام الالهية من أجل خير دنياكنّ وآخرتكّن.

ويا ايّها الغياري، ايّها الشباب! حافظوا على نوااميسكم من تجاوزات الطائشين وذلك بالتزام الحجاب الاسلامي، واجعلوا من زوجاتكم ملكاً لكم، لا أن يتلذذ الآخرون بجمالهنّ وزينتتهن واجسادهنّ، وهذا خلاف الغيرة والرجولة والاخلاق والشرف والمرورة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 227

«مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ»

النساء / 79

14

الامن في الحياة

الحسنات والسيئات

ان الانسان كائن مركب من العقل والقلب والروح والجسم، ولكل بعد من كيان الانسان هنالك حسنات وسيئات، والحسنات جميعها من الله سبحانه، أما السيئات فمنشؤها الإنسان نفسه.

ولا يصدر عن الوجود المقدس المذكورة اوصافة في كتاب الله مثل الرحيم، الرحمن، الرب، الودود، الغفور، الكريم، اللطيف، الباري، المصور، القدوس، العزيز الآ الخير والاحسان والرحمة والبركة.

ولا نتيجة عن الجهل والحقد والحسد والضغينة وضيق الصدر والحرص والطمع والكسل غير السوء والشر والخسران.

ان كسب الحد الأدنى من العلم والمعرفة والبصيرة التي تحرك عجلة الحياة وتنور الحياة بشقيها الباطني والظاهري وتساعد على ادارة شؤون الزوجة والولد وتمنح الانسان رؤية صحيحة للكون وعالم الوجود، يعتبر تارة واجباً عينياً على الانسان واخرى واجباً كفائياً، فتعلم القضايا الأساسية كمعرفة الله والمعاد والنبوة والولاية يعتبر أمراً ضرورياً وواجباً عينياً، وتعلم المسائل الفقهية والعلوم المادية بقدر الحاجة يعتبر واجباً كفائياً.

ان العلم والمعرفة بمثابة لقمة لذيدة وخير عظيم قرنه الله سبحانه بالنجاح الضروري لنمو عقل الانسان وكماله وقابليته على الادراك.

وحيثما يقتزن العقل - وهو هبة من الله - بخير آخر وهو التوفيق والمعرفة

يتألاً في باطن الوجود بحرٌ من نورٍ يوفر جانباً من الأمان الباطني الذي يسري بشكلٍ طبيعي من الانسان إلى الزوجة والولد، حيث ينهلان إلى جانبه من نعمة الأمن الباطني، وبالتالي تنتور اجواء الحياة بنور الاستقرار إلى حدٍ ما.

ان العلوم الدينية في حدود الواجب العيني، والمسائل الفقهية، اي معرفة الحلال والحرام، والعلوم المادية بالقدر الضروري، ضرورية بالدرجة الاولى لرب الاسرة الذي يمسك بزمام إدارتها، وفي المرحلة اللاحقة تعتبر ضرورية للمرأة والولد ليعيشوا معاً في مملكة البيت الصغيرة متعمتين بالمعرفة والبصيرة والوعي ويؤمنون شر الجهل واضراره والخسائر المترتبة على عدم الفهم.

نعم، ان المعرفة بحدود سعتها تفيض بالأمن، أما الجهل فهو يفرز الخسران والدمار.

الجهل

ثمة روايات مهمة وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) اعتبرت الجهل موتاً معنوياً، واضراً للحياة من الأكلة الضارة بالنسبة للبدن، وأنه داءٌ وعيائٌ وسببٌ في الانحدار والشقاء الأبدي، ومفسدٌ للمعاد، وأصلُ الفساد على كافة الأصعدة، ومعدن الشر، وعدوٌ لدود للانسان، وسبب الكفر والضلال، وحائلٌ دون قبول الموعدة والنصيحة، ودافعٌ نحو الافراط والتفريط.

قال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«الجهل موتٌ... الجهل داءٌ وعيائٌ، الجهل يُزِلُّ القدم، الجهل يفسد المعاد، الجهل أصل كلِّ شرٍّ، الجهل معدنُ الشرِّ» «1».

(1) - ميزان الحكمة: 154 / 2.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 231

وسئل رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن علامات الجاهل، فقال:

«إِنْ صَحِبْتُهُ عَنَّا، وَإِنْ اعْتَزَلْتَهُ شَتَمَكَ، وَإِنْ اعْطَاكَ مَنْ عَلَيْكَ، وَإِنْ اعْطَيْتَهُ كَفَّرَكَ، وَإِنْ اسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ» «1».

وإذا كان رب الاسرة جاهلاً بالمسائل المعنوية والأصولية والجوانب المادية والظاهرية فإنه يصبح مصدراً للاضطراب واللامن والأذى والعناء في البيت وخارجه، وعندها يتعرض المال والثروة والحياة الزوجية والأولاد إلى الخطر والخسران.

ان تأكيد الاسلام على كسب المعرفة والتحلي بالبصيرة في الأمور المعنوية والمادية بالمقدار اللازم إنما هو من أجل توفير الأمان ظاهرياً وباطنياً وغرسه في نفوس الزوجة والأولاد والمحافظة عليهم من شر الانسان وخطره، ولا يلحق الضرر بدنياهم وآخرتهم أو يستحوذ عليهم الشقاء.

ورد في الكتب الاسلامية ان المسيح شوهده يوماً هارباً فسأله رجلٌ عن السبب فكان جوابه انه هرب من الجاهل.

نعم، يجب الهروب من الجاهل والجاهل اتباعاً لسيرة الأنبياء وتأميناً للسعادة في الدنيا والآخرة.

ان الجاهل فقيرٌ وان كان ثرياً، والعالم الواعي ثريٌ وان كان فقيراً.

العلم والمعرفة

على ضوء ما جاء في كتاب الله الخالد: ان الذين يعلمون ليسوا بمنزلة واحدة مع الذين لا يعلمون على جميع الأصعدة.

(1) - تحف العقول: 28.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 232

«هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا أتى عليّ يومٌ لا ازداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم» «2».

وعنه (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«قلبٌ ليس فيه شيءٌ من الحكمة كبيتٍ خربٍ، فتعلّموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالاً فإنّ الله لا يعذر على الجاهل» «3».

وفي كتاب غرر الحكم ينقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفه العلم والمعرفة بما يلي: العلم يُنجد، العلم حجابٌ من الآفات، العلم أفضل غنية، العلم مصباح العقل، العلم نعم دليل، العلم أفضل هداية، العلم جمال لا يخفى، العلم أفضل الأنيسين، العلم أفضل الاحساب، العلم ضالة المؤمن، العلم قائد الحلم، لا كنز انفع من العلم، كفى بالعلم شرفاً.

وفي جملة موجزة يوضح رسول الله (صلى الله عليه و آله) كافة الحقائق الناجمة عن العلم والمعرفة في الدنيا والآخرة.

«العلم رأس الخير كله» «4».

ويذكر الامام علي (عليه السلام) سبعة فوارق جوهرية بين المال والعلم حيث يقول (عليه السلام):

الأول: العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراغة.

(1) - الزمر: 9.

(2) - ميزان الحكمة: 449 / 6.

(3) - نفس المصدر.

(4) - البحار: 175 / 77.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 233

الثاني: العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص بها.

الثالث: يحتاج المال إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه.

الرابع: العلم يدخل في الكفن ويبقى المال.

الخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل إلا للمؤمن خاصة.

السادس: جميع الناس يحتاجون إلى صاحب العلم في أمر دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

السابع: العلم يقوّي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه «1».

ان السفينة الفارغة أكثر تعرضاً إلى خطر الأمواج والتحطم والتهيه والغرق في عرض البحر، أما السفينة المحملة والثقيلة فهي تشق الأمواج وتسير باطمئنان وامانٍ نحو غايتها، والأولى مثلها كالانسان الجاهل، أما الثانية فهي كالبصير الواعي والعارف. كيف يتصرف مَنْ تحلّى بباطنٍ زاهرٍ بنور التوحيد، وقلبٍ مطمئنٍ بالحقيقة وفؤادٍ يعيش في ظل القيامة، ويعلم ان ذلك اليوم: يوم:

«فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» «2».

ويرى الله مسافرٌ في هذه الدنيا، وان الآخرة هي دار البقاء، ويعتبر نعم الله امانهً لديه، والله مكلفٌ ومسؤول تجاه كل واحدة من هذه النعم، ويرى ان الزوجة والأولاد والبيت والمتجر والثروة كلها من عطاء الله وتقوم علاقته مع جميع الأشياء على ضوء المعرفة؟

من المسلم انّ تصرفه سيكون نابغاً من الحكمة، وعمله نورانياً، وتحركاته عين الحقيقة، وتعامله مع كل شيء لا سيما الزوجة والأولاد يقوم على أساس

(1) - البحار: 1/ 185.

(2) - الزلزال: 7 - 8.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 234

الصلاح والسداد والرأفة والرحمة والكرامة، ومثل هذا الانسان يفيض اماناً وطمأنية سواء في داخل البيت أو خارجه، ويعيش الآخرون معه بكل اطمئنان وهدوء وثقة، وهذا ما يريده الاسلام من الرجل بصفته رباً للأسرة وزوجاً وأباً.

القلب مصدر الحقائق

وردت في النصوص الاسلامية تعابير عجيبة بشأن القلب، مثل: حرم الله «1»، عين «2»، امام «3»، سلطان «4»، وعاء «5»، ونسبت إلى القلب بعض الأوصاف منها: السلامة، المرض، الطيب، الخبث، اللين، الكبير، النورانية، العمى، السقوط، الاقبال، الادبار، الحياة، الموت، السعة، الختم، الطبع، الزيغ، القسوة، وهي تعابير وردت في القرآن الكريم وفي كتب مثل الكافي، الشافي، البحار، الوسائل، المستدرک، تحف العقول، روضة الواعظين، المحجة البیاء، وقد ذکر لكل من هذه التعابير معنى.

والقلب وعاء عجيب يحرز صاحبه الراحة والاطمئنان إذا ما صُبَّ فيه الايمان بالحق تعالى واليوم الآخر بالطهارة، والنورانية والحياة والخوف من العذاب، والاخلاص والرأفة، والرحمة والمحبة، ويعيش صاحبه بأمان وسلامة مع من يرتبط بهم، وأما إذا كان هذا الوعاء مركزاً للطمع والبخل والحرص والحسد والضغينة والنفاق والكفر والشرك والقسوة وسوء الظن وما شابه ذلك من

(1) - البحار: 25/70.

(2) - ميزان الحكمة: 212/8.

(3) - البحار: 53/70.

(4) - ميزان الحكمة: 216/8 - 218.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 235

الطبائع فإنَّ صاحبه سيتحول إلى مخلوقٍ خطيرٍ وضارٍ خبيثٍ وظالمٍ لا يأمنه أحد.

ولابد من الإشارة إلى من لم يتزوج بعد من الشباب: إذا رأيتم قلوبكم قد تلوثت بهذه الطبائع الذميمة فعليكم المبادرة إلى اصلاحها ومن ثم المبادرة إلى الزواج كي تشعر البنات بالأمن وهنَّ يغادرن بيوتهن ويودعن احضان آبائهن وامهاتهن الطافحة بالحبّة والحنان يحدوهنَّ الأمل نحو بيوتكم ومن ثم ينجن لكم الذرية، ويعشنَّ معكم بكل طمأنينة، فيتمكن من اداء مسؤوليات الزوجية والأمومة على أحسن وجه.

وان الدار التي تفتقد للأمن، والانسان المخجل بالأمن مثلهما كجهنم، والويل لمن لا يأمنه عياله ويحيون معه بمرارة وشقاء دائم، والويل لمن يتجرع زوجها وأولادها منها الشقاء والعناء والتي تعمل على تبديل جو الاسرة إلى جو مليء بالرعب والفوضى دون وجل من الله سبحانه، والويل للذين يؤذون والديهم ولا يأمن جانبهم.

ولأميرالمؤمنين (عليه السلام) تصوّر عجيب حول القلب فهو ان لم يرتبط بالله سبحانه ويكون مفعماً بمحبته فايّ بلاءٍ سيحلبه لصاحبه، يقول (عليه السلام): أعجب ما في الانسان قلبه وله موادّ من الحكمة، واضدادها من خلافها فان سنح له الرجاء أدلّه الطمع، وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وان سعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته العزّة، وإن جدّدت له النعمة اخذته العزّة، وان اصابته مصيبة فضحّه الجزع، وإن استفاد مالاً اطعاه الغنى، وإن عضّته فاقة شغله البلاء، وإن جهده الجوع قعد به الضعف، وإن افراط في الشبع كظّته البطنة،

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 236

فكلّ تقصير به مضرّ، وكل افراط به مفسد «1».

وحول سلامة القلب ومرضه روي عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قوله:

«في الانسان مضغة إذا هي سلمت وصحت سلم بها سائر الجسد، فإذا سقمت سقم بها سائر الجسد وهي القلب» «2».

وعنه (صلى الله عليه و آله) أنّه قال:

«ان لله تعالى في الأرض أواني الا وهي القلوب، فاحبّها إلى الله أرقيها واصفهاها واصلبها، أرقيها للاخوان، واصفهاها من الذنوب، واصلبها في ذات الله» «3».

وروي عن أميرالمؤمنين حديث غاية في الأهمية بشأن سلامة القلب اذ قال (عليه السلام):

«لا يسلم لك قلبك حتى تحب للمؤمنين ما تحب لنفسك» «4».

ما أعجبه من اقتراح عجيب لسلامة القلب، وياله من حديث مفعم بالنور والحكمة ورد عن سيد الأولياء والعاشقين!:

أجل، فإذا اراد المرء للآخرين ما يريده لنفسه، طهر قلبه من الرذائل تدريجياً فيتحول حينها إلى قلب سليم، وعند ذاك يمتلئ إيماناً وحباً ورافة ورحمة وكرامة واخلاصاً وسينعم الناس جميعاً لا سيما المرأة والأولاد إلى جانبه من بخير الدنيا والآخرة.

على الشباب الذين لم يدخلوا عش الزوجية بعد العمل على سدّ ما يجدونه

(1) - البحار: 52 / 70.

(2) - ميزان الحكمة: 216 / 8 - 218.

(3) - نفس المصدر.

(4) - البحار: 8 / 78.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 237

من نواقص في قلوبهم، وآلا فإنهم سيظلّمون زوجاتهم وأولادهم فيما بعد، وعلى المتزوجين المبادرة إلى علاج ادران الرذائل إن هم احسّوا بوجودها في قلوبهم، وآلا فلن يكون زوجاتهم وأولادهم في مأمنٍ منهم، وليعلم الجميع حقيقة ان عذاب البرزخ انما يصيب الذين يشقى عيالهم معهم نتيجة ابتلائهم بسوء الخلق.

إذا ما رُفد العقل بالعلم وتخلّق القلب باخلاق الله، حينها تصبح النفس نفساً نورانية وتتحوّل حركات البدن إلى حركات ملكوتية، ويصبح للانسان إلى منهل خير وفضيلة وأمان، والآن تأملوا هذه الآية الكريمة بهذا الصدد:

«الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُونَ وَ هُم مُّهْتَدُونَ» «1».

نعم، كما تقدم في بداية البحث فإنّ الحسنات جميعها من الله سبحانه أما السيئات فهي من الانسان، ويمكن اكتساب الحسنات ومحو السيئات من صفحة الوجود من خلال الاقبال على الله عن طريق التمسك بالانبياء والقرآن والأئمة والعلماء الربانيين واستثمار القوى الظاهرية والباطنية.

وبعد اكتساب الحسنات تكون مسؤولية الانسان العمل على نقلها إلى الآخرين لا سيما زوجته وولده، وفي هذا المجال يعتبر الاهمال ذنباً كبيراً يستوجب عقاب الله.

لقد دعانا الأئمة (عليهم السلام) إلى ان نكون اسوة للآخرين باعمالنا لا بالسنتنا، حيث ان كلّ انسان يلمس جمال الباطن في شخص ما فهو يندفع إلى اكتسابه.

على رب الاسرة ان يكون حجة لله في بيته وان يكون اسوة حسنة لعياله على صعيد الجمال بجوانبه المعنوية والأخلاقية والعملية، ولا يكون هكذا ما لم يغذي العقل والروح والبدن بالقدر الممكن من العلم والأخلاق والصفاء والطهارة والتقوى والعمل الصالح حتى يتحول بيته وأهله إلى شعبة من دار أهل

(1) - الأنعام: 82.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 238

البيت (عليهم السلام) ومظهر لاولياء الله، وهنا تتضح ضرورة المشاركة في المجالس الدينية النافعة وارتداد المساجد ومجالسة الفقيه، والعالم الرباني، فيما ينجم من الابتعاد عن هذه الحقائق تراكم الجهل وتفشي الأمراض القلبية والانحرافات النفسية والعملية.

ومع تحلي الوحي في القرآن الكريم وما وصلنا من آثار الأنبياء والأئمة في الكتب القيمة والمعتبرة، وتوفر المساجد والمجالس الدينية، والعلماء الربانيين، لسلوك الصراط الالهي وطريق السلامة، لن تبقى لأي أحد حجة ولا عذر عند الله سبحانه.

العذاب في عرصات القيامة

ان نيران جهنم سببها الجهل وفساد القلب والانحرافات العملية، ولم يشأ الله الرحيم ان يعذب كل أحد تعذيباً الزامياً، وانما هي والرذائل الأخلاقية هي التي تظهر يوم القيامة بصورة عذاب يحيط بالمذنب، ولولا الذنوب والمعاصي والانكار والكفر ومعاندة الله لم يكن ثمة وجود لعذاب البرزخ والقيامة.

جاء في دعاء الكميل:

فباليقين اقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من اخلاص معانديك لجعلت النار كلّها برداً وسلاماً وما كان لأحد فيها مقرأ ولا مقاماً لكنك تقدّست أسماءك اقسمت ان تملأها من الكافرين من الجنة والناس أجمعين، وان تخلد فيها المعاندين.

بناءً على هذا فإنَّ الناس هم الذين يمهّدون العذاب لأنفسهم من خلال ارتكاب الذنوب والمعاصي، وليس الله الرحيم، الغفور، الكريم، بل هو الذي هيأ جميع الوسائل اللازمة لحصول عباده على الحسنات التي تكون نتيجتها الأمان

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 239

في الدنيا والآخرة.

على أية حال، يتعين على الزوجين العمل على توفير الأمان المطلوب في الحياة الدنيا لهم ولأولادهم واربائهم واقربائهم مستعنيين بالايمان والأخلاق والعمل الصالح والصفاء والوفاء والصدق والحلم والصبر وسعة الصدر، لينالوا بذلك الأمان يوم القيامة بالاضافة إلى ما ينعمون به من أمان في هذه الدنيا حيث يقول النبي (صلى الله عليه و آله):

«الدنيا مزرعة الآخرة».

ويقول الامام الباقر (عليه السلام):

«ولنعم دار المتقين» «1».

فالمؤمنون يتزودون من دنياهم لآخرتهم، ويعمّرون آخرتهم بدنياهم، فيعيشون في الدنيا سعداء، وفي الآخرة أكثر سعادة.

ان المؤمنين والمتقين يتأخرون ويكسبون ويزرعون ويملكون ويتزوجون، ويديرون شؤون البيت والحياة على أحسن وجه ويقضون حوائج الناس ويتزاورون ويتصدقون، وخلاصة القول يتمتعون بدنياهم في أجواء ملؤها السلامة والأمان والايمان والاخلاق، ومن بعدها يحظون بآخرة افضل.

ليت البيوت جميعها تعيش الأمان والسلامة، وليت ديارنا بأسرها يسودها الايمان والأخلاق والعمل الصالح، وليت جميع الرجال والنساء مزينون بالمحاسن ومطهرون من الرذائل، لئلا يتعرض أحدٌ إلى المشاكل ويعيش الجميع سويةً مستظلين بظلال السلامة لاطمئنان ويهتئون بالمواهب الالهية.

وقد وصف جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) المؤمن الحقيقي قائلاً:

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 240

«الناس منه في راحةٍ ونفسه منه في تعب» «1».

الآباء الصالحون

ان تحلّي كلٌّ من الرجل والمرأة بالفضائل وابتعادهم عن الرذائل والقبائح من شأنه ان يحوّل كل منهما إلى منهلٍ للامان والاستقرار ازاء بعضهما البعض، ويمثلان عامل تكامل ورفقي بالنسبة لاولادهما.

فلا يهملان متطلبات اولادهما فإذا ما احتاج اولادهما، إلى المحبة أو النفقة أو الدراسة والتعلّم أو التزاور أو النزهة أو الزواج فإنّهما يبادران إلى تلبية متطلباتهم بمنتهى الودّ والحنوّ والعطف، وإذا عجزا عن تلبية متطلباتهم فهما يقنعانهم من خلال الأخلاق وسعة الصدر وحسن الخلق والبشاشة والأولاد بدورهم يتقبلون ذلك بكل ادبٍ واتزان.

ان الأبناء الصالحين إذا ما دعوا احياناً لارتكاب المعصية من قبل الوالدين وقد تصدر هذه الدعوة عن جهلٍ منهما - فهم يرفضونها بمنتهى الأدب وبذلك لا يُعرّضون أنفسهم إلى الخطأ والالتباس، كالتّي غضبت على ولدها لأنه اسلم على يد الرسول (صلى الله عليه و آله)، بل انها امتنعت عن الطعام، غير أنّها لما سمعت برضى الله سبحانه عن ولدها واهمل طاعتها انت اضرابها والتزمت جانب الصمت ازاء ابنها.

فيا ايّها الآباء والامهات! حينما يثير رسول الله (صلى الله عليه و آله) اهتمامكم بالسقط حتى أنّه قال: ... ان السقط يجيء محبباً على باب الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا حتى يدخل ابواي الجنة قبلي «2».

(1) - البحار: 37 / 78.

(2) - الوسائل: 14 / 20 طبعة مؤسسة آل البيت.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 241

فلماذا لا تولون ولدكم - هذه النعمة الالهية - الاهتمام الذي يستحقه على الأصعدة المادية والمعنوية؟ فإنّ الظفر بالولد والاهتمام به وتلبية متطلباته الانسانية يُعد تجارّة راجحةً في الدنيا والآخرة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 243

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «من تزوج لله ولصلة الرحم توجه الله بتاج الملك»

الوسائل 51 / 20

15

تجلیات الفضيلة في الاسرة

اخلاص النية

تترتب على الزواج معطيات ونتائج ايجابية كثيرة منها: استئناس الزوجين ببعضهما البعض، التخلص من العزلة، زيادة الرزق، قرة العيون، المحافظة على نصف الدين، نيل رضي الباري تعالى، التلذذ والاستمتاع الجنسي، الانجاب، الظفر بمعين، الخ..

وإذا اخلص المرء نيته لله سبحانه في مسألة الزواج فإنه بالإضافة إلى ما تقدم من منافع فهو يمارس بذلك عبادة مهمة وطاعة عظيمة تسمو به إلى مستوى الملائكة فيتزوج بتاج أهل الملكوت، فلماذا لا نبادر إلى عمل ينوره نور رضى الله سبحانه تفوق قيمته كل شيء؟

لنبي صرح الزواج والحياة الزوجية منذ البداية على اساس من الاخلاص، وعلى رجالنا ونسائنا ايلاء هذا الأمر كامل الاهتمام كي يتشرف ظاهرا الحياة وباطنها بلطف الله ورحمته وقبوله.

ذروة اخلاص النية

في هذا المجال نلفت انتباهكم إلى قصة عجيبة من موسى بن عمران (عليه السلام):

لما دخل موسى على شعيب إذا هو بالعشاء مهياً فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى: اعوذ بالله، قال شعيب: ولم ذاك؟ الست بجائع؟

قال: بلى، ولكن اخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيتُ لهما، وإنا من أهل بيتٍ لا

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 246

نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، فقال له شعيب: لا والله يا شاب ولكنّها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونطعم الطعام، فجلس موسى فأكل «1».

واعجباً! بعد تلك الفترة الطويلة التي مضت على خروج موسى من مصر وتنقله في الصحراء دون ان يحصل على طعام اذ كان يتغذى على اعشاب الصحراء، فهو يدخل على شعيب (عليه السلام) ويرى مائدته قد اعدّت، بيد أنّه ابى تناول الطعام بالرغم مما كان عليه من جوعٍ لئلا يؤثر ذلك في عمله الذي قام به خالصاً لوجه الله سبحانه، لكنه عندما اطمئن إلى خلوص نيّة شعيب في هذه الضيافة جلس امام المائدة.

لقد ادى اخلاص شعيب إلى ان يرعى اغنامه أحد انبياء اولي العزم لمدة ثماني سنوات، فيما اثمر اخلاص موسى عن زواجه من ابنة شعيب!

اخلاص عجيب

ذكر لي أحد العلماء ممن اتصف بالاخلاص والولاء لأهل البيت (عليهم السلام) وقد كانت تجمعني به علاقة تمتد إلى سنوات متمادية، ونحلت من اخلاقه وسلوكياته: لما غادرت طهران إلى قم المقدسة لدراسة العلوم الدينية كان حينها آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائري زعيماً للحوزة العلمية في قم.

بعد فترة عرفتُ بالحاج الشيخ لما كنت اتمتع به من ميزة خاصة في ذكر مصائب أهل البيت (عليهم السلام) فطلب مني الشيخ الحائري (رحمه الله) ان اقرأ له ذكر مصائب أهل البيت (عليهم السلام) في المناسبات.

وشياً فشيئاً اشتهرت بذلك، وكنت افتخر بانني اقف بين الذاكرين للإمام

(1) - البحار: 21 / 13.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 247

الحسین (علیه السلام).

وفي يوم خميسٍ دُعيت إلى منزل أحد كبار العلماء في اطراف المدينة، فطلب مني ان ارتقي المنبر فاجبتهم إلى ذلك فتحدثت عن الموت مستنداً إلى بضع احاديث من نهج البلاغة، فبكى صاحب الدار بكاءً شديداً واستمر بكأؤه حتى نهاية المجلس، وفي الخميس القادم دُعيتُ ثانية الى ذلك البيت وطلب مني ان اتحدث بأسلوب أكثر بساطة لان هذا الرجل الجليل يبكي بكاءً مرّاً حين يتذكر ما تناولت في المحاضرة السابقة، ثمّ ذكروا لي قصة مثيرة عن اخلاصه.

فكان مما قالوا: عندما كان اعزباً لم ينفع مع الحاحنا عليه بالزواج، غير أنّه وافق على الزواج في آخر المطاف، فاقترح عليه الزواج من شابة لم تتزوج بعد، وبعد لقائه بها حسب التعاليم الشرعية رفض الزواج منها، ثمّ مضت مدة من الزمن فسمعنا أنّه تزوج من امرأة ارملة سوداء الوجه قبيحة المنظر ولها من الأولاد ثلاثة فدهشنا لذلك، وعندما سألناه عن السبب أجاب: حين رأيت الفتاة الباكر اعجبني وكلما حاولت ان اخلص نيتي في هذا الزواج واقدم على ذلك قرية لوجه الله سبحانه الا انني لم افلح فتركتها، ولما رأيت هذه الأرملة فقيرة الحال ومعها ثلاثة أيتام لا رغبة لأحدٍ بالزواج منها، حينها عثرت على قاعدة الاخلاص فتزوجت قرية إلى الله وطمعاً في الربح الحقيقي يوم القيامة!!

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«طوبى لمن اخلص لله عمله وعلمه وحبّه وبغضه واخذه وتركه وكلامه وصمته وفعله وقوله» «1».

وقال (عليه السلام):

(1) - ميزان الحكمة: 3/ 56- 58.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 248

«الاخلاص اشرف نهاية» «1».

وعنه (عليه السلام):

«في الاخلاص يكون الخلاص» «2».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«الاحلاص ملاك العبادة» «3».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«طوبى للمخلصين اولئك مصاييح الهدى، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء» «4».

وقال الامام الحسن العسكري (عليه السلام) واصفاً عظمة المخلصين:

«لوجعلت الدنيا كلها لقمة واحدة ولقمتها من يعبد الله خالصاً لرأيت اني مقصر في حقه» «5».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«أخلصوا اعمالكم لله فإن الله لا يقبل الا ما خالص له» «6».

وقال (عليه السلام):

«ضاع من كان له مقصد غير الله» «7».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«تمام الاحلاص اجتناب المحارم» «8».

(1) - نفس المصدر.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - ميزان الحكمة: 3/ 59- 62.

(5) - نفس المصدر.

(6) - نفس المصدر.

(7) - نفس المصدر.

(8) - میزان الحکمة: 63 / 3.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 249

إذا لم يطعَ الهوى والغرائز والتقليد الأعمى والتعلق المفرط بالامور المادية، والغفلة فإنَّ زهرة الاخلاص ستفتح في كلِّ عملٍ من دوحة الباطن فيملاً عطرها كل ارجاء الحياة.

ما اجمل ان يبني الرجل والمرأة الزواج على اساس من الاخلاص ويستمران على ذلك في مسيرة الحياة رغم العراقيل.
يقول تعالى:

«قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «1».

ان الرياء في الواجبات مبطلٌ لها، وفي المندوبات سببٌ للتقليل منه قيمة العبادة.

التقوى والعبادة

على الزوجين مراعاة الأحكام الالهية والتعاليم الاسلامية ازاء بعضهما البعض، ومن المتعذر مراعاة هذه الحقائق الا بالتقوى والعدالة، اي اجتناب السيئات والقبائح والأخلاق السيئة والسلوك المذموم، والعدالة تعني عدم الافراط والتفريط في الأمور كافة.

ان ظلم الرجل للمرأة وظلم المرأة للرجل مهما كان مقداره أمرٌ قبيحٌ وان كان بعضه لا يستحق الاهتمام بنظرهما.

ان المرأة لا تتمتع بقدرة بدنية عالية وقد لا يتوفر لديها الاقتدار الروحي بالمستوي العالي، فعلى الرجل ان يأخذ بنظر الاعتبار الجوانب البنيوية لزوجته خلال تعامله معها مثلما راعى الباري تعالى قدرة المرأة وأعفاها من بعض

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 250

التكاليف والمسؤوليات.

ان نقاط ضعف المرأة يجب ان تُجبر بالتعامل الطيب للرجل، فهي غير قادرة على ان يحاربها الرجل ويجعل من البيت ساحة للحرب والجدال معها، وفي هذا الصدد ادعوكم لتدبر هاتين الروايتين.

فقد كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ابنه الحسن (عليه السلام) ذكره فيها بقضايا مهمة، منها ما ذكره حول ماهية المرأة فقال (عليه السلام):

«فإن المرأة رجحانة وليست بقهرمانة»¹.

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«أكثر اهل الجنة من المستضعفين النساء، علم الله ضعفهنّ فرحمهنّ».

لهذا يتعين على الرجل ان يتقي الله ويتعامل مع زوجته برحمة ورأفة ومحبة، ويراعي في تعامله معها وضعها الجسمي والروحي بوصفها باقة ورد عطرة ويتجنب الافراط والتفريط والاحفاف بحقها باي نحو كان، فالله تعالى - وهو خالق المرأة - يأمر بمراعاة التقوى ازاء النساء والاحسان إلى أمة الله² في البيت بشكل مناسب على الأصعدة المادية والمعنوية.

ولكن على المرأة ان تدرك ان الرجل يتحمل المصاعب لادارة هرون البيت ولا بد ان يسعى لتوفير السكن واللباس والطعام من أجل سعادة زوجته وولده وتدير امورهم وهي امور لا تتحقق دون مواجهة المصاعب ومزاولة العمل وتحمل مشاق السفر والحضر، من هنا عليها ان تستقبله حين يعود إلى البيت

(1) - الوسائل: 20 / 168.

(2) - ورد هذا التعبير بشأن المرأة والذي يبين عناية الله ورحمته الخاصة بها، في رواية مهمة في الصفحة 13 الجزء 20 من كتاب رسائل الشيعة طبعة مؤسسة آل البيت وذلك فيما يتعلق بزواج آدم وحواء.

بتعامل کریم و اخلاق حسنه و تلبي رغباته الطبيعية فتعطر اجواء المنزل بالسلوك الحميد والابتسامة والثناء على جهوده خارج البيت.

أجل، ان التقوى والعدالة والأخلاق الفاضلة والتصرف الممدوح والابتسامة التي تنم عن الرضا وتثمين الجهود والمحافظة على الهدوء والاستقبال اللائق.

كلها فضائل يجب أن تُلقى بظلالها على الحياة الزوجية للزوجين وتتنور حياتهما ببركة هذه الحقائق.

وفي روايات الشيعة هنالك فصل هام يتناول مسألة معاشرّة المرأة مع زوجها والرجل مع أهل بيته، يثير الإعجاب من حيث عدد تلك الروايات وما يتضمنه ذلك الكلام الملوكوتي من مفاهيم.

فلا يجوز ان يظلم احدهما الآخر ولو بمقدار حبة خردل، وعلى الظالم ان يعلم انه سيواجه عقوبةً شديدةً.

ان المرأة ليست ملكاً للرجل كي يتصرف بها كما يشاء، والمرأة لا تتمتع بالحرية التامة ازاء الرجل حتى يحق لها القيام بأي عملٍ دون وازع، بل هنالك تكاليف ومسؤوليات لكلٍ منهما فرضها الله ورسوله والأئمة المعصومون، وفي اطار تلك التكاليف يمكنهما التعامل فيما بينهما، وكل عملٍ آخر يخرج عن الحدود الالهية والواجبات الانسانية والأخلاقية هو ظلمٌ له مردوداته في الدنيا والآخرة.

وفيما يرتبط بظلم الزوجة للزوج وظلم الزوج للزوجة - وهو عملٌ شيطاني يتنافى مع الكرامة والفضيلة - ثمة رواية مهمة جداً عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حيث يقول (صلى الله عليه و آله).

من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعنيه وترضيه وان صامت الدهر قامت واعتقت الرقاب وانفقت الأموال في سبيل الله، وكانت

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 252

اول من ترد النار، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً..

«1»

. ليعلم امثال هذه المرأة والرجل ان الله تعالى عبّر في كتابه عن سخطه على الظالم وابعاده عن دائرة محبته:

«وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» «2».

وعلى الرجل والمرأة ان يعرفا ايضاً ان الظلم لا ينحصر بالظلم البدني والايداء الجسمي، بل ان النظرة المصحوبة بالغضب وسوء الخلق والكلام البذيء والسب والاحتقار وعدم التمكين من مصاديق الظلم.

ان المرأة التي تظلم زوجها، والزوج الذي يظلم زوجته ليسا في عداد المسلمين الحقيقيين، وانما ممن خرج عن دائرة الهداية وغرق في مستنقع الضلال، لقوله تعالى:

«بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» «3».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«بين الجنة والعبد سبع عقبات أهونها الموت، قال انس: يا رسول الله فما اصعبها؟

قال: الوقوف بين يدي الله عزوجلّ إذا تعلّق المظلومون بالظالمين» «4».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد».

وقال (عليه السلام):

(1) - الوسائل: 163 / 20 طبعة مؤسسة آل البيت.

(2) - آل عمران: 57.

(3) - لقمان: 11.

(4) - ميزان الحكمة: 596 / 5.

«الظلم يُزِلُّ القدم ويسلبُ النعم ويهلك الأُمم» «1».

وعنه (عليه السلام) أنّه قال:

«واللّٰه لو أعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي اللّٰه في نملةٍ أسلبها جلبٌ شعيرة ما فعلت» «2».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«اتقوا الظلم فإنّه ظلمات يوم القيامة» «3».

وقال رجلٌ لرسول الله (صلى الله عليه و آله):

«أحب أن أحشر يوم القيامة في النور؟ قال: لا تظلم أحداً، تحشر يوم القيامة في النور» «4».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«كلُّ ظلمٍ الحادِّ وضربُ الخادم في غير ذنبٍ من ذلك الحاد» «5».

وجوه فاضلة

ان المؤمنين والمؤمنات يتميزون بمزايا تتجلى آثارها العملية في حياتهم وتؤدي إلى اصفاء رونق على الحياة والتمتع بها وتكون سبباً في ظهور حيل صالح وموجباً لاعمار آخرتهم.

قال تعالى:

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ

(1) - ميزان الحكمة: 595 / 5 - 596.

(2) - نفس المصدر.

(3) - میزان الحکمة: 599 /5 - 560.

(4) - نفس المصدر.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 254

الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «1».

وهذه الآية من جملة الآيات القرآنية التي وردت بشأن المؤمنين تكفي لوحدها للاطلاع على ظاهرهم وباطنهم.

ومثل هؤلاء الرجال والنساء حينما يعيشون حياة زوجية، تكون حياتهم مزيجاً من النور والصفاء والطهارة والخير والبركة والصدق، فالرجل في هذه الحياة تعتبر مثالياً وكذا المرأة، وحياتهم طيبة ودنياهما وآخرتهما عامرتان.

يقول العلامة المجلسي (رحمه الله): هنالك من الرجال مَنْ إذا خرج إلى العمل قال له عياله: اياك وكسب الحرام فإننا نصبر على الجوع والضرّ ولا نصبر على النار فإني فضيلة اسمى من الصبر والاستقامة ازاء المشكلات والمصاعب حفاظاً على النفس من عذاب يوم القيامة؟

وقد رأيت بنفسي بعض العظماء ينهون نساءهم وأولادهم عن المطالبة بما يفوق طاقتهم متوسلين بالاسلوب الطيب والكلام اللين مع الوعد بتلبيتها عند تحسن الوضع. فيوافق العيال ويتجنبون اذياء آبائهم روحياً وممارسة الضغط عليهم، فيهنئون في حياتهم وينعمون بحياة هادئة نورانية لطيفة.

لقد كانت خديجة الكبرى تشاطر زوجها الكريم المعاناة والآلام أيام محنته، وعاش النبي (صلى الله عليه و آله) معها حياةً بحيث انه (صلى الله عليه و آله) كلّما ذكرها بعد وفاتها دعا لها بالرحمة وبكى عليها.

ففي بداية زواجها من رسول الله (صلى الله عليه و آله) بذلت كلّ ثروتها له وهو (صلى الله عليه و آله) كان يصرفها لقضاء حوائج المحتاجين والرسالة الاسلامية حتى لم يبق من تلك

(1) - التوبة: 71.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 255

الثروة شيء يذكر، وفي اواخر حياتها عاشت خديجة مع زوجها في بيت متواضع بسيط الاثاث، وهي في الرmq الأخير وفي تلك الظروف الصعبة، سألت رسول الله (صلى الله عليه و آله): ان كان قد رضي عنها، فهبط أمين الوحي مخبراً الرسول (صلى الله عليه و آله) برضى الله عن خديجة ففرحت خديجة فرحاً غامراً فعبرت عن ان الموت والحياة بالنسبة لها في غاية العذوبة.

وحينما افتقدت فاطمة الزهراء (عليها السلام) امها وهي لم تتجاوز آنذاك سن الرابعة، سألت أباهما عنها فاخبرها (صلى الله عليه و آله) بأنها قد ارتحلت إلى الملكوت الأعلى.

نعم، ان المؤمنة التي تتجلى آثار ايمانها في افعالها و اخلاقها انما هي كائن ملكوتي ومنهل لرضى الحق تعالى، ومنبع للفضائل والكمالات.

قصة ذات عبرة

عاش جدّي وجدتي لأمي معاً ما يقرب من سبعين عاماً في منتهى الصفاء والوفاء والصدق والايمان والاخلاص، وكانا يواظبان بشوق على اداء الواجبات والمستحبات، فلم يغفلا حتى أيامهما الأخيرة عن صلاة الليل وتلاوة القرآن وزيارة الأئمة واقامة المجالس الدينية واستضعافة الناس وحل مشكلاتهم وزيارة الأقارب وحضور صلاة الجماعة، كما ان جدّي وجدتي لابي عاشا كذلك وأكثر منه لما يربو على الخمسين عاماً.

وفي مطلع شهر محرم وأيام عزاء سيد المظلومين وبالذات قبيل صلاة الظهر توفيت جدتي لأمي فيما كان جدّي لأمي يتمتع بالسلامة والصحة.

وبعد دفنها أراد الأقارب الاعلان عن مجلس الفاتحة غير ان جدّي لأمي قال: لا تتكلفوا كتابة الاعلان واقامة المجلس، تمهلوا فإنني مغادركم غداً بعد صلاة العشاء فاقيموا مجلس الفاتحة لنا نحن الاثنين!!

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 256

ساور القلق الجميع، ألا أنه كان يواسيهم، فلم يكن هنالك من يعقل ذلك، وفي مساء اليوم التالي وبعد فراغه من الصلاة توجه لله بالدعاء قائلاً: الهي لقد وعدت باغاثة المحتاج، وأنا الآن محتاج اليك حيث اسافر إلى القيامة فاعني، ثم نطق بكلمات طيبة وفارق الدنيا وهو على سجادة الصلاة، وقد دُفنا في قبر واحد.

و ذات ليلة رايته في عالم الرؤيا فقلت له: اين انت الآن؟ فاجابني: بقيت وزوجتي في المكان الذي دُفنا فيه لمدة ثلاثة ايام ثم نقلنا عند سيد الشهداء (عليه السلام) ونحن الآن نعيش حياة هائلة في اجواء البرزخ الملكوتية!

واقعة عجيبة

في أيام طفولتي وصباي، تعلّقتُ بما كان يتحلّى به والدي من طبائع اسلامية وتصرفه ازاء أهل العلم ورواد المسجد والمجالس الدينية، فاحببت علماء الدين والمساجد والمجالس الدينية، فأخذت اتردد على المراكز الدينية وازدادت محالستي للعلماء وكان البلد ونسبة عالية من الشباب في عهد الطاغوت غارقين في الفساد، فأثر ذلك في نفسي وتبلور شخصيتي، ونتيجة في عهد الطاغوت غارقين في الفساد، فأثر ذلك في نفسي وتبلور شخصيتي، ونتيجة لما كسبته من هذه الينايع - اي الاسرة والمسجد والعالم الرباني - اتجهت برغبة خالصة نحو الحوزة العلمية في 1963 م وكنت حينها في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من العمر، وبطبيعة الحال فقد اتسعت الآفاق امامي هناك ازاء العلم والعلماء.

وخلال مرحلة كسب العلوم الاسلامية تمكنت من الالتقاء بالعارفين والشخصيات المرموقة، وقد سمعت بقصة من أحد العلماء - لا اتذكره - وكانت قصة لطيفة ومعبرة تبين المكانة الفكرية والروحية للمرأة عندما تمتاز طينتها

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 257

بندی الايمان والأخلاق الحسنة والعمل الصالح.

فقد ذكر ذلك الرجل العظيم: ان الذي بنى مسجد جوهر شاد المجاور لمرقد الامام الرضا (عليه السلام) - وهو يعد اليوم من أهم المساجد على وجه الأرض حيث تُصلّى فيه آلاف الركعات يومياً وتقرأ فيه الزيارات آلاف المرات وتُقعّد فيه عشرات المجالس وحلقات الدرس لتعلّم العلوم الاسلامية والتربية على أيدي العلماء الربانيين - كانت امرأة كريمة فهيمة متدينة عالمة عفيفة.

وقبل الشروع ببناء المسجد طلبت من البنّائين والمسؤولين عن العمل ان يوفرُوا أوَانٍ لتقديم الماء والعلف للحيوانات التي كان من المقرر أن تنقل مواد البناء على طول الطريق الواصل بين مكان هذه المواد والمسجد لئلا تنقل الحيوانات حمولتها وهي تعاني الجوع والعطش، لأن ذلك مما لا يرضاه الحق تعالى والوجدان، وقالت لهم: لا يحق لأصحاب المراكب ضرب الحيوانات، ويجب تحديد ساعات العمل، وعليكم التعامل برفقة ورفق مع البنّائين والعمال وتسديد اجورهم على قدر جهودهم، وفي حالة الحاجة إلى التنبيه يتم ذلك بلين، ولا تزعموا احداً واشتروا البيوت المجاورة بقيمة مناسبة فنحن نريد بناء مسجد للعبادة ومكاناً للزيارة ومحلاً لدراسة العلوم الالهية، واياكم ان تظلموا انساناً أو حيواناً ولو بمقدار ذرة لما في ذلك من أثر في قيمة العمل.

جاء في نهج البلاغة عن أميرالمؤمنين (عليه السلام):

فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم.

واضاف ذلك العالم قائلاً: كانت السيدة جوهر شاد كثيراً ما تزور المسجد للاطلاع وتقديم التعليمات اللازمة.

وفي أحد الأيام شاهدها أحد العمال خلسة فتعلّق بها ولم يجرؤ على البوح بذلك، لخطورة الموقف، حيث ان السيدة جوهر شاد كانت زوجة الميرزا

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 258

شاهرخ وكنه تيمور گورگاني فلا معنى لهذا التعلق والحب، لكن هذه الأمور لم تكن مفهومة لدى ذلك العامل البسيط.

ومرض العامل، فعرفت بمرضه من خلال تقرير العمل اليومي، وكان يسكن مع امه في بيتٍ خرب، فذهبت لعيادته، فوجدته ملقئاً على فراش المرض يئن مصفر الوجه ناحل البدن، وبعد ان سألت عن حاله واصرت على معرفة سبب المرض اندفعت امه - بسداجة تفوق سداجة ابنها - فافصحت عن السبب، فلم تغضب السيدة جوهر شاد ولم تستغل سلطانها وانما توجهت باللوم لام العامل، وعبرت عن استعدادها للزواج منه بعد الانفصال من زوجها، وطلبت ان يدفع المهر قبل الاقدام على ذلك الأمر وهو أن يتعبد الشاب لمدة اربعين يوماً في محراب المسجد الذي هو في طور السيئ.

فقبل الشاب وراح يتعبد لعدة ايام يدفعه إلى ذلك حبه وتعلقه القلبي، إلا ان موقفه تغير بعد ذلك بتوفيق الله ورعاية الامام الرضا (عليه السلام) وهي الحقيقة التي كانت جوهر شاد على علم بها.

وبعد أربعين يوماً ارسلت اليه تسأل عن حاله فقال لمبعوث السيدة جوهر شاد: لو عرفت لذة ترك اللذة لما اعتبرت لذة النفس لذة.

بامكاننا تحويل اجواء البيت إلى مظهر للفضائل المعنوية والأثار الالهية والانسانية من خلال الايمان بالله والحذر من القيامة والتحلي بالاخلاق الفاضلة والسلوك الحميدة، وهو ليس بالأمر الصعب، ومن ينال توفيق الله يسهل عليه قطع الطريق وان شقَّ على الآخرين.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 259

16

الإسلام والجوانب المادية للأسرة

خير المال وشره

ان حاجة المرء للمال تعتبر حاجة طبيعية لادارة شؤون الحياة لا سيما وانه يتحمل مسؤولية ثقيلة تتمثل في عياله.

ولا ينطوي المال والثروة أو الكسب والتجارة بذاتها وبعيداً عن تدخل الانسان على اي نوعٍ من الخير والشر.

على سبيل المثال، ان الحديد يعتبر من الأملاك وهو يمتاز بامكانية تصنيعه، اذ تصنع منه مختلف الآلات، إلا أنه مادام بعيداً عن تصرف الانسان فهو يعتبر مادة صماء تفتقد للخير والشر، فإذا ما وقع بيد مؤمن عاقل ذي نفس كريمة يتحول آنذاك إلى وسيلة خير، أما إذا وقع بيد شرير أناني فإنه يتحول إلى اداة للشر.

فعندما وقع الحديد بيد ابن ملجم أقدم على قتل امام الموحدين ومولى المتقين وسيد العارفين، وهو في محرابه في ليلة القدر فأصبح مصداقاً لأشقى الأشقياء، إذن، تحول الحديد بيده - نظراً لوضعه الباطني - إلى مصدر للشر والفساد والخسران حيث تسبب بخسارة لا تعوض ابداً.

وعندما وقع الحديد بيد أمير المؤمنين (عليه السلام) أصبح وسيلة لبقاء الدين وانتشار نور الهداية، وفُضِّلَت ضربة من ضرباته على عبادة الثقلين إلى يوم القيامة كما عبّر بذلك النبي (صلى الله عليه و آله) حين قال:

«ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 262

ان الأموال وما تدّرّه التجارة تعتبر بالنسبة لمن توسّم الآداب الالهية وعشق الحق تعالى، منطلقاً للعروج نحو الملكوت ووسيلة لبلوغ القرب من رب العالمين وسبباً في نزول صلواته ورحمته وموجباً لنيل الثواب العظيم والنعم الأبدية.

نعم، فالمال بالنسبة للمؤمن الذي تحلّى بالجود والكرم والرأفة وتخلّق باخلاق الله سبحانه، يعتبر رأس مالٍ للتجارة من أجل الآخرة ووسيلة للسفر نحو النعيم الأبدي، ومنيع خيرٍ في الدنيا والآخرة.

أولم يعبر الباري تعالى في سورة البقرة عمّا يتركه المؤمن بعد رحيله من الدنيا ب «الخير»؟ «1» نعم، ان رمز إيمان المؤمن وكرمه وجوده ورأفته يتمثل في وصيته بأمواله حيث ينفق ثلث منها في أعمال البرّ وفقاً لوصيته، أما الثلثان الآخران فيكونان من حصة الورثة طبقاً لما يقدره القرآن الكريم.

وفي بيانه لمضمون الآية الكريمة:

«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» «2».

يقول الامام الصادق (عليه السلام):

«رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا» «3».

بناءً على ذلك، يعتبر المال والثروة بمثابة المصنع الذي يدّر برضى الله والجنان على المؤمنين، اذ ان المؤمن يكسب المال عن طريق الحلال ومن خلال

(1) - البقرة: 180.

(2) - البقرة: 201.

(3) - البحار: 383 / 71.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 263

اتباعه للجوانب الشرعية بعيداً عن التعامل المحرّم ملتزماً بما حُلِّل من المعاملات، وباختصار مستظلاً بظلال طاعة الله سبحانه، ثم ينفقه على عياله ويؤدي ما عليه من واجبات كالخمس والزكاة، ويبادر إلى اعانة السائل والمحروم، يأخذ بيد الضعيف والمظلوم، ويعين الأقربين والمعارف.

وفي الحقيقة فإنّ انفاق المال المكتسب عن طريق الحلال في هذه الموارد الشرعية والطبيعية يعتبر طاعة وعبادة، وكما عبّر القرآن الكريم عنه بخير الدنيا والآخرة، ومن هنا عبّر في كتاب الله عن المال والثروة بالخير او الحسنة، وكسبه وانفاقه كالعبادة بالنسبة للمؤمن ومدعاة للحصول على الأجر العظيم والثواب الأبدي.

وما يقوله أميرالمؤمنين (عليه السلام) بشأن وقوع المال بأيدي من لا دين له ومن وقع اسيراً لهواه جديراً بالاستماع، اذ يقول (عليه السلام):

«المال مادة الشهوات، المال نهبُ الحوادث، المال يقوّي الآمال، المال سلوةُ الوارث، المال يكرّم صاحبه في الدنيا ويضعفه في الآخرة» «1».

وقال رسول (صلى الله عليه و آله):

«ان الدينار والدرهم أهلكا مَنْ كان قبلكم وهما مُهلكاكم» «2».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«ان لكلّ امةٍ عَجلاً وعجلُ الأمة الدينار والدرهم» «3».

نعم، فمن ضعف إيمانهم ينحدرون من خلال المال في الشهوات وطغيان الطموحات وخزي الدنيا والآخرة، وكما عبّر النبي (صلى الله عليه و آله) بانهم يصابون بعبادة العجل ولكن بصورة عبادة المال.

(1) - ميزان الحكمة: 277 /9 - 278.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 264

الحلال والحرام

لا شك في ان ما يحصل عليه الانسان نتيجة عمله في التجارة والكسب المحلل يعتبر من الكسب والاتجار الذي أمر الله به وقد عُبر عنه في فقه اهل البيت (عليهم السلام) بالحلال، وكل ما اكتسب بصورة غير مشروعة كالرشوة والاعتصاب والسرقة والسلب والمكر والنهب والربا انما هو حرام.

ان السعي من أجل كسب الحلال يعتبر عبادة وموجباً للحصول على الأجر والثواب، اما السعي من أجل نيل الحرام فهو معصية ويعتبر سبباً في حلول العذاب والغضب الالهيين.

ومن انحراف عن طريق الحلال وسار في طريق الحرام وإذا ما نُصح فهو يدّعي الاضطرار لان الله قدّر له ذلك، لاشك بأنه يتّهم الباري عزوجل ويقول شططاً ويرتكب كذباً محضاً.

هنالك الكثير من الآيات التي تؤكد ان الله سبحانه قدّر لجميع الناس الرزق من الحلال الطيب ودعاهم لكسب الحلال والأكل منه، ولم يقدّر لاحد الرزق من الحرام، اذ ان الحرام يعتبر مصدراً لانحراف الانسان على الصعيدين الفكري والأخلاقي وسبباً في تدني ايمانه.

ان نسبة الحرام إلى الله عملٌ قبيحٌ وتهمةٌ لا طائل منها وذنبٌ لا يغتفر يورث العذاب الأليم يوم القيامة.

فليس من العدل والحكمة ان يقدر الباري تعالى الرزق من الحرام فيما تتركز أوامره على أكل الطيبات، ولو كان الأمر كذلك لكان تناقضٌ في ارادته وأوامره والحال ان التناقض منتفٍ عن الذات الالهية المقدسة، غير ان الجهلة من الناس هم الذين يفترون على الله ذلك نتيجة حماقتهم وجهلهم.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 265

يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» «1».

ويقول تعالى في موضع آخر:

«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ».

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«ليس من نفسٍ الا وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجهٍ آخر، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصَّها به من الحلال الذي فرض الله لها وعند الله سواهما فضلٌ كبير» «2».

لا تحرموا انفسكم من الحلال

دخل علي (عليه السلام) المسجد وقال لرجل: أمسك عليّ بغلي، فخلع لجامها وذهب به، فخرج علي (عليه السلام) بعد ما قضى صلاته ويده درهمان ليدفعهما اليه مكافأة له، فوجد البغلة عُضلاً، فدفع الى غلمانة الدرهمين ليشتري بهما لجاماً، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق قد باعه الرجل بدرهمين فاخذه بالدرهمين وعاد الى مولاه، فقال (عليه السلام): ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدّر له «3».

(1) - البقرة: 168 - 169.

(2) - البحار: 5/ 147.

(3) - ميزان الحكمة: 4/ 123.

انفقوا على عيالكم من الحلال

هنالك مجموعة من الآثار الظاهرية والباطنية المترتبة على الحلال والحرام مما لا مفر لأحدٍ من الابتلاء بها.

ففي الحلال يكمن رضى الباري تعالى والخافز نحو العبادة، والنشاط الروحي وصفاء القلب والشفاء من كل داء، والحرام على العكس من الحلال تماماً.

ومن بين الأمور الفقهية التي تناولتها الآيات واحاديث أهل البيت (عليهم السلام) بشكل ملفت للنظر هو وجوب النفقة على العيال وذلك ما يقع على عاتق رب الاسرة.

اذن ان توفير السكن والملبس والطعام حسب القدرة للزوجة وأولاد يعتبر من التكاليف الشرعية المناطة بالرجل.

وإلى جانب هذا التكليف الذي يعدّ مسؤولية الهية تقع على عاتق رب الاسرة، ثمة تكليف آخر وهو وجوب طلب الحلال لسدّ مخارج العائلة.

وعلى رب الاسرة تقدير هذين التكليفين الالهيين بكل وجوده، اذ عن طريق هذين التكليفين تتفتح براعم الحياة في جانبها الأخلاقي وذلك لا يتسنى الا من خلال الاهتمام بالشؤون الحياتية للزوجة والأولاد، كما انّ ذلك يعتبر عبادة غاية في الأهمية ومفعمة بالأجر بالنسبة للانسان، وان السعي لطلب الرزق الحلال بمثابة جهادٍ في سبيل الله.

وإذا ما تغذى العيال من الحلال ستظهر على كيانهم آثارٌ ايجابية وملكوّية وذلك ما يساعد على سيادة الأمان والاستقرار القلبي والنفسي لافراد العائلة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 267

النبي صلى الله عليه و آله ولقمة الحلال

ان ما فعله الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) يجب ان يكون درساً بالنسبة للمسلمين كافة، اي ان يولوا دقة كافية للحلال والحرام لئلا يحملوا على ظهورهم اوزاراً ويحل في ساحتهم الوبال حياة عابرة يصعب عليهم افرار عواتقهم منها.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة» «1».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«طلب الحلال واجب على كل مسلم» «2».

وعنه (صلى الله عليه و آله):

«طلب الحلال جهاد» «3».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«من أكل من كدّ يده حلالاً فتح له ابواب الجنة يدخل من أيّها شاء» «4».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«العبادة عشرة اجزاء، تسعة اجزاء في طلب الحلال» «5».

وقال الرضا (عليه السلام):

«ان الذي يطلب من فضل يكفّ به عياله اعظم اجراً من المجاهد في سبيل الله» «6».

(1) - البحار: 103 / 7 - 9، ميزان الحكمة: 119 / 4.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر.

(5) - نفس المصدر.

(6) - البحار: 339 / 78.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 268

وقال الباقر (عليه السلام):

«من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس وسعيّاً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عزوجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر» «1».

وقال الصادق (عليه السلام):

«لا خير في مَنْ لا يحبّ جمع المال من حلالٍ فيكفّ به وجهه ويقضي به دينه» «2».

وعن رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ بات كالألّا من طلب الحلال بات مغفوراً له» «3».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«ان الله يحبُّ ان يرى عبده تعباً في طلب الحلال» «4».

وقد ورد في الروايات ان سعة الرزق وضيقه انما هو ابتلاء للعبد كي ينال رفيع الدرجات من لدن الباري عزوجل.

«طوبى لعبد جاع وصبر وشبع فشكر» «5».

فالمؤمن لا يهن إذا ما ضاق رزقه، ولا يصاب بالغرور إذا توسع عليه، وإذا ما ضاق رزقه فهو لا يجانب الحلال، وإذا ما وسّع عليه فهو يأكل ويطعم ويبادر إلى اداء التكاليف الالهية.

موجبات سعة الرزق

(1) - الوسائل: 11 / 12.

(2) - البحار: 7 / 103.

(3) - البحار: 2 / 103.

(4) - میزان الحکمة: 119 / 4.

(5) - مستدرک الوسائل ج 16 / 218.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 269

نلمس في آيات القرآن الكريم والأحاديث الكثير من موجبات زيادة الرزق، وبالإضافة إلى ان الالتزام بها يؤدي إلى زيادة الرزق، فإنّها تبعث على تنامي الجانب الأخلاقي والعاطفي لدى الاسرة والمجتمع.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق» «1».

وقال (عليه السلام):

«العسرُ يُفسد الأخلاق، التساهل يدُرُّ الأرزاق» «2».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«مواساة الأخ في الله يزيد الرزق» «3».

وعنه (عليه السلام):

«استعمال الامانة يزيد في الرزق» «4».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«مَنْ حَسَنَ بِرَّهْ أَهْلَ بَيْتِهِ زَيْدٌ فِي رِزْقِهِ» «5».

وعنه (عليه السلام):

«ان البرَّ يزيد في الرزق» «6».

وقال (عليه السلام):

«حسن الخلق يزيد في الرزق» «7».

(1) - البحار: 389 / 77.

(2) - ميزان الحكمة: 117 / 4.

(3) - البحار: 395 / 74.

(4) - البحار: 172 / 75.

(5) - البحار: 407 / 69.

(6) - البحار: 81 / 74.

(7) - البحار: 396 / 71.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 270

وقال علي (عليه السلام):

«استنزلوا الرزق بالصدقة» «1».

وقال الباقر (عليه السلام):

«عليك بالدعاء لاختوانك بظهر الغيب فإنه يُهيل الرزق» «2».

وعنه (عليه السلام):

«الزكاة تزيد في الرزق» «3».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«من حسنت نيته زيد في رزقه» «4».

المال الحرام

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): قال الله:

«مَنْ لَمْ يَبَالِ مِنْ أَيِّ بَابٍ اكْتَسَبَ الدِّينَارَ وَالْدِّرْهَمَ لَمْ يَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ النَّارِ ادْخَلَتْهُ» «5».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ كَسَبَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حَلٍّ افْقَرَهُ اللَّهُ».

وعنه (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حَلٍّ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ».

ان الأموال التي لا تُخَمَّس ولا تُزَكَّى ولا يؤدي منها حق السائل والمحروم

(1) - البحار: 60 / 78.

(2) - البحار: 60 / 76.

(3) - البحار: 15 / 66.

(4) - البحار: 11/103.

(5) - البحار: 11/103.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 271

وسائر الحقوق الشرعية انما هي بحكم الحلال المختلط بالحرام، وهي مما لا يجوز التصرف به، واطعام العيال من الحرام أو ما اختلط به يعتبر بحد ذاته معصية غير المعصية التي ترتكب في كسب الحرام أو منع الحقوق الشرعية.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«شَرُّ الْأَمْوَالِ يُخْرِجُ مِنْهُ حَقَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ» «1».

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«ان الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبور هم مشدودة ايديهم الى اعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بما قيس انملة، معهم ملائكة يعبرونهم تعبيراً شديداً، يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خيرٍ كثيرٍ، هؤلاء الذين اعطاهم الله فمنعوا حقَّ الله في أموالهم» «2».

وقال الامام المجتبي (عليه السلام):

فيا اخوتي، يا من تتحملون اليوم مسؤولية توفير الجوانب المادية والتربية الروحية لزوجاتكم واولادكم، ويا من ترمعون بناء الحياة الزوجية في المستقبل!

ان لعيالكم حقاً عليكم، وهو الحق الذي عُزِّرَ عنه في الكتب الفقهية بالنفقة، وهم ليسوا مسؤولين عن عملكم وتجارتكم، وفي المحشر اذ لا خبر لديهم عن ما يحيط بكم لا يتحملون ما اكتسبه رب الاسرة من حرام، فنيان الحرام لا تحقيق الا بمن كسب الحرام اذا عليه ان يتجرع ضعفين من العذاب، عذاب نتيجة كسبه للحرام، آخر لاطعامه الآخرين منه، فعليكم التزام جانب الحذر فيما يردكم من دخلٍ وعليكم التزام القناعة بما حلَّ الله لكم، واجتناب ما حَرَّمَ الله، وعليكم اداء ما على الأموال من حقوق شرعية كي تعمر دنياكم وآخرتكم.

(2) - البحار: 197 / 7.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 272

التائب حبيب الله

في احدى اسفاري إلى مشهد التقيت بشخصٍ كأنه يعرفني منذ سنوات، وبعد حديث طال بيننا لعدة دقائق دعاني لا ذهب حيث يجلس. وحيث اني التقيه لأول مرة فقد لبيتُ دعوته، فتبين انّه ممن كان يستمع لمحاضراتي أيام محرم وصفر، اذ أنّه كان يعرفني ألا انني كنت لا اعرفه.

وبعد ان غادر المجلس لدقائق معدودة سألت عنه من كان برفقته فلمّا ذكر اسمه عرفته جيداً، فقد كان رجلاً قوياً يحسب له اقوياء طهران وشجعانها الف حساب.

كان يعمل في بيع المشروبات الكحولية والتهريب وقبض التذاكر في صالات القمار والحانات، ولم يكن هنالك من يجاريه في طهران، فجمع ثروة طائلة من الحرام.

وإذا بالنور الالهي يشرق على قلبه ويخالفه التوفيق الرباني، وإذا بوجدانه وفطرته وعقله يستنقذوه من مخالف السطوة والتهور، فباع كل ما لديه من املاك وآثاث ووضع ما لديه من نقود في صرةٍ وتوجه إلى آية الله العظمى البروجردي (رحمه الله) في قم، فاستقبله مرجع الشيعة الأعلى آنذاك بوجهٍ صبورٍ وثرٍ باسم بعد ان اطلع على احواله عن طريق خادمه، فقال للسيد البروجردي:

ان كلّ ما في هذه الصرة حرامٌ ولا طاقة لي على تحمل حساب يوم القيامة فازل عن كاهلي هذا الوزر العظيم.

فرد عليه السيد: إذا كنت صادق التوبة فاخلع ما عليك من ملابس وعد إلى طهران بالقميص والملابس الداخليه، فخلع ملابسه، فتأثر السيد كثيراً لموقفه اذ لمس منه صدق التوبة، فاعاد له ملابسه وما بقي له من امواله وكانت تقدر آنذاك بخمسة آلاف تومان مبشراً بإياه بمستقبل زاهرٍ مليء بالبركة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 273

وكفَّ عن الحرام فعاد إلى طهران بذلك المبلغ وطوى صفحة الماضي، واشتغل بكسب الحلال بتلك النقود فتحسن وضعه كثيراً وتغيرت حياته ووجه زوجته واولاده للسير في طريق الحق تعالى، وتكفل باقامة مجلس ديني، حتى توفي في عام 1994 م وكانت وفاته في ليلة جمعة، وما لم يبق من عمره سوى لحظات خاطب الامام الحسين (عليه السلام) بعيون باكية: «إنني قد افنيت شطراً كبيراً من عمري في خدمتك والآن يحدوني الأمل بأن احظى برعايتك، وكما تنقل زوجته وولده: فقد توجه ببصره نحو زاوية من الغرفة وسلم على سيد الشهداء (عليه السلام) ثم اسلم روحه إلى باري الأرواح.

نعم ايها الأحبة، فإنَّ باب التوبة مفتوح للجميع، والتوبة تطهير للباطن وتنوير للقلب وتهذيبٌ للاحلاق وتنقية لظاهر الحياة. وتطهير للمال من الحرام، فلماذا لا ننعم بهذه التجارة الراجعة؟ ولماذا لا نخرج من الظلمات نحو النور ونحن نعيش أيامنا الأخيرة؟ حيث ان جميع ما في الدنيا من ثروات لا تستحق البقاء في ظلمات المعصية، لنتب إلى الله فالتائب حبيب الله:

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...» «1».

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ليس شيء أحبُّ إلى الله من مؤمنٍ تائبٍ أو مؤمنة تائبة» «2».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«أما والله اشدَّ فرحاً بتوبة عبده من الرجل براحلته» «3».

وعنه (صلى الله عليه و آله):

(1) - البقرة: 222.

(2) - ميزان الحكمة: 1/ 540 - 541.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 274

«لله افرح بتوبة من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الظمان الوارد» «1».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له» «2».

وقال علي (عليه السلام):

«التوبة تطهّر القلوب وتغسل الذنوب» «3».

وللتوبة النصح آثار اشار اليها النبي (صلى الله عليه و آله)، وإذا ما تجلّت تلك الآثار حينها يمكن اليقين بحصول التوبة والآ فلا بدّ من التشبث بانوار التوبة من جديد.

يقول (صلى الله عليه و آله):

«التائب إذا لم يستبِث اثر التوبة فليس بتائب: يُرضي الخصماء، ويعيد الصلاة، ويتواضع بين الخلق، ويتّقي نفسه عن الشهوات، ويهزل رقبته بصيام النهار» «4».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) لقائل بحضرته - استغفر الله -: ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار؟ ان الاستغفار درجة العليين وهو اسمّ واقع على ستة معانٍ، أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود اليه ابدًا، والثالث أن تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع ان تعتمد الى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقّها، والخامس أن تعتمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة لما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول:

استغفر الله «5».

(1) - نفس المصدر.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - البحار: 6/ 35 - 36.

(5) - البحار: 36 / 6.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 275

«تَعَاوُنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ»

المائدة/ 2

17

المرتکبات المعنوية للاسرة

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 277

النعم المعنوية

لقد منَّ الله سبحانه على الانسان بنعم لا يقوى على معرفة قدرها واهميتها احدٌ سواه جلَّت قدرته، وذلك كي يحيا الانسان طاهراً زاكياً نقياً.

وبعض هذه النعم يتمثل في العقل والكتاب والنبوة والامامة والعلماء ومجموعة الآثار المترتبة على هذه المناهل وتتجلى بصورة مجموعة من المسائل العقائدية العملية والأخلاقية.

ولغرض ان يتعرف القراء الكرام على مفهوم كلٍّ منها لا بأس بالتطريق اليها على نحو الاجمال:

العقل

والمراد منه قوة الادراك، حيث انه يتولى ادراك الحق والباطل في الأمور النظرية، والخير والشر والمضار والمنافع في الأمور العملية.

وهو مجهز بحواس ظاهرة يدرك من خلالها ظواهر الأشياء، وحواس باطنة يدرك من خلالها المعنويات والروحيات كالارادة والحب والبغض والرجاء والخوف ونحو ذلك، وهو يستخدم كلاً من هذه الحواس على ضوء ما يقتضيه الوضع والزمان، وله حكم نظري في النظريات وحكم عملي في العمليات.

والعقل فعال ما دامت له الغلبة في كيان الانسان وكانت جميع قوى الانسان رعية له، اما إذا تغلبت قوة ما في كيان الانسان على العقل آنذاك يصاب العقل

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 278

بالضعف والشلل وينحرف الانسان عن صراط الاعتدال وينحدر إلى اودية الافراط والتفريط.

فالذين هَوَّوا في الافراط أو التفريط في حياتهم انما ذلك نتيجة لغلبة شهوتهم وغضبهم وحرصهم وطمعهم على عقلمهم.

ان اطلاق العنان للشهوات والغرائز، ومعاشرة اهل البدع والمعاصي، وانكار الحقائق، هي من العوامل التي تُضعف العقل وتوهنه، وتشل هذه الموهبة الالهية، وإذا ما عُطل العقل عن العمل حينذاك يصعب بل يتعذر تشخيص الحق والباطل ومعرفة الحقائق، وعندها يستحق الانسان خزي الدنيا وعذاب الآخرة وان تشبث بألف وسيلة من المكر والخداع لبلوغ الخير المادي وأمن الشر الظاهري «1».

وهذا ما يؤكد خطاب خزنة جهنم لاهلها:

«... أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ «8» قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ «2».

والتعقل ممكن ما لم تكن قوة أخرى هي صاحبة الكلام في وجود الانسان، فإذا كانت الشهوة هي صاحبة الكلام حينها يفقد العقل قدرته على هداية الانسان.

سئل الامام الصادق (عليه السلام) عن العقل، قال:

«ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان» «3».

(1) - موجز عن حديث طويل في الميزان ج 2 / 247 - 251.

(2) - الملك: 10.

(3) - البحار: 1 / 131.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 279

فقيل له: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل.

فأي نعمة عظيمة هذه حيث يغدو الانسان في ظلها عبداً حقيقياً لله سبحانه ينال على أثرها الجنة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«همة العقل ترك الذنوب واصلاح العيوب» «1».

ونور هذه النعمة من القوة بمكان بحيث ان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

«لو لم ينة الله سبحانه عن محارمه لوجب ان يتجنبها العاقل» «2».

وما يقصده (عليه السلام) هو ان هذه القوة المعنوية تتمتع بعظيم الادراك.

وجاء في باب العقل من كتاب غرر الحكم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال:

«العاقل من غلب هواه ولم يبع اخرته بديناه، العاقل من عصى هواه في طاعة ربه، العاقل من يملك نفسه إذا غضب وإذا

رغب وإذا رهب، شيمة العقلاء قلّة الشهوة وقلة الغفلة» «3».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له» «4».

وقد ورد في الكثير من الروايات ان عقاب الانسان يوم القيامة منوط بالعقل فهو ملاك المسؤولية والتكليف «5»، والانسان هو الذي يجب عليه استثمار العقل

(1) - ميزان الحكمة: 419 / 6.

(2) - نفس المصدر.

(3) - غرر الحكم، باب العقل.

(4) - البحار: 157 / 77.

(5) - الكافي: 26 / 1.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 280

للتفريق بين الحق والباطل والخير والشر، والاقبال نحو الحقائق، وان تعطيل العقل انما هو ذنب لا يغتفر.

يتعين على رب الاسرة صيانة العقل من جموح الشهوات والغرائز والمفاسد وذلك كي يتنعم بعقله الذي يعدّ مصباح الهداية والحجة الباطنية ومصدر ادراك الحق والباطل والخير والشر، وان لا يدع عقله يقع اسيراً للشهوات والأهواء النفسية وكذا يفعل مع افراد اسرته، اذ ان تعطيل العقل عن ممارسة دوره يجعل الانسان ينحدر من صف الأدمية إلى حضيرة الحيوانية.

وعلى هذا الصعيد، لا بد من الحؤول دون تردد المفسدين واهل البدع إلى البيت والاتصال بالعائلة، وعدم التردد على بيوتهم، وان تخضع الزيارات والمعاشرات والضيافات للقواعد الاسلامية.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

قال عيسى بن مريم للحواريين: تحبّوا الى الله وتقرّبوا اليه، قالوا: يا روح الله بماذا تحب الى الله ونتقرّب؟ قال: ببغض أهل المعاصي والتمسوا رضى الله بسخطهم، قالوا:

يا روح الله فمن نحالس اذن؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله «1».

وقال الامام علي بن الحسين (عليه السلام):

«مجالسة الصالحين واعيةٌ إلى الاصلاح» «2».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله):

لا تجلسوا إلا عند كلِّ عالمٍ يدعوكم من خمسٍ إلى خمسٍ: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الاخلاص، ومن الرغبة إلى الرهبة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الغش إلى

(1) - البحار: 147 / 77.

(2) - البحار: 141 / 78.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 281

النصيحة «1».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«لا يأمن مجالس الأشرار غوائل البلاء» «2».

وقال الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله):

«ياكم ومجالسة الموتى، قيل يا رسول الله من الموتى؟ قال: كلُّ غنيٍّ أطغاه غناه» «3».

وعن علي (عليه السلام):

«جانبوا الأشرار وجالسوا الأخيار» «4».

فإذا ما اردتم ان يسود العقل في حياتكم، جنبوا انفسكم واهليكم مصاحبة الأشرار ومعاشرة المفسدين، وغلبة الشهوات.

وفي عصرنا الراهن تعتبر اشربة الفيديو واللاقطات الفضائية من جملة الأشرار التي تلف البشرية قاطبة، فالجلوس امام مصدري الشر هذين يفسد العقل ويدمر الأخلاق ويطيح بصرح الانسانية.

القرآن

القرآن هو كتاب الله، ومنار الهدى، وشفاء لما في صدور، ودليل نحو حياة افضل، وفيه ذكر الله، وهو منظم لشؤون البشرية ومنهل للمواعظ والعبر ومنبع

(1) - البحار: 141 / 78.

(2) - البحار: 189 / 74.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 282

المعرفة والبصيرة وفيه علاج لعمى القلوب، وهو الصراط المستقيم والفرقان بين الحق والباطل ومبيّن لفضائل الأخلاق وتفصيل لحياة الصادقين والأبرار، وحجة الله يوم القيامة.

والرجل والمرأة مسؤولان امام هذه النعمة الالهية، ومسؤوليتهما تتمثل في تعلم القرآن والعمل بمضمون آياته على كافة الأصعدة الحياتية.

ان هجران كتاب الله يعدّ ذنباً عظيماً ومعصية لا تغتفر، فالقرآن رسالة من الله إلى عبده يتوجب على العبد الاجابة عليها، والاجابة تكون من القلب وتتمثل بالايمان بالعقائد الحقّة، ومن النفس وتكون بالالتزام بفضائل الأخلاق، ومن البدن وتكون بالانهماك في صالح الأعمال.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وما حلّ مصدق، ومن جعله امامه قادة إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل» «1».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أفضل الذكر القرآن به تُشرح الصدور، وتستنير السرائر» «2».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«مَنْ لم يعرف الحقَّ من القرآن لم يتنكَّب الفتن» «3».

وعن علي (عليه السلام):

«ان احسن القصص وابلغ الموعظة وانفع التذكر كتاب الله عزوجل» «4».

(1) - البحار: 17 / 93.

(2) - ميزان الحكمة: 67 / 8 - 69.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 283

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«ان فيه شفاءً من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغِي والضلّال» «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«القرآن غني لا غنى دونه ولا فقر بعده» «2».

وقال الصادق (عليه السلام):

«ينبغي للمؤمن ان لا يموت حتّى يتعلّم القرآن أو يكون في تعلّمه» «3».

وعن رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«خياركم من تعلم القرآن وعلمه».

على ضوء هذه الروايات المهمة تتضح أكثر عظمة المسؤولية الملقاة على عاتق رب الأسرة.

فعلى رب الأسرة ان يتعلم القرآن ويوفر الأجواء من اجل ان يتعلمه اهله أيضاً، ومن ثم يبادرون جميعاً للعمل بتعاليم كتاب الله، كي تتطهر ربوع الحياة من الخبائث وتغدو زاكية طاهرة، وبالتالي تتحول الدار والعائلة إلى نفحة من نفحات الجنة الأخروية.

انها دارٌ خلت من الظلم والعدوان، وتنعم بالبر والتقوى، وتتطر أجواؤها بالامن والاستقرار والصدق والأمانة.

وهي الدار التي لجأ اهلها إلى القرآن ومنه ينالون كماهم العقلي والفكري، اذا ان اتساق العقل مع القرآن يجعل منه عقلاً ملكوتياً ومنهلاً الهياً، تكون معطيته عبادة الحق تعالى وبلوغ جنّة الخلد.

(1) - نهج البلاغة: الخطبة 176.

(2) - البحار: 19/92.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 284

الأنبياء

وهم هداة البشرية إلى الصراط المستقيم، والدعاة للتوحيد وهم الكاشفون عن الحقائق الظاهرية والباطنية.

والأنبياء هم الدعاة لعباده الله سبحانه والمندرون من عبادة الطاغوت، وهم الذين يوضحون السبيل لان يحيا الانسان حياة طيبة، ويلتزم المعروف وينأى عن المنكر.

ودعوة الأنبياء انما هي دعوة الحق التي ان اجيبت فإنّ نتيجتها الحياة الطيبة.

قال علي (عليه السلام) بشأن نبوة رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته» «1».

فقد بعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليتلو على الناس آيات الله ويذكّهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وما جاء إلّا ليأمر بالعمروف وينهى عن المنكر، ويحلّ الطيبات ويحرّم الخبائث، ويضع عن الناس ما حُمّلوا من أوزار والاغلال التي كبّلت اعناقهم.

وان الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا القرآن الذي جاء به هم المفلحون «2».

أنّه جاء ليتم الحجة على الناس جميعاً لئلا يقول الضالون يوم القيامة لو كان فينا رسول لما وقعنا في الشقاء والغواية.

لقد جعل الله سبحانه من سيرة الأنبياء حجة على جميع العباد وعبر عنهم بالقُدوة والأسوة.

(1) - نهج البلاغة: الخطبة 147.

(2) - موجز الآيات المتعلقة بالنبوة في القرآن الكريم.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 285

فالاحسن والجود والصبر وقضاء حاجة المؤمن والطهارة والبشر وحب النساء واقامة الصلاة والتعطّر، كلها من أخلاق الأنبياء.

وقد دعا الأنبياء الناس إلى التقوى والطهارة والأمانة والصدق والشجاعة والوفاء والصلاح والتكامل والرفقة والعطف والاحسان، واندروهم من ارتكاب قبائح الأعمال.

والأنبياء هم ميزان الاعمال يوم القيامة وبهم يقاس الناس فإن كان الناس على ما هو عليه الأنبياء نجوا وآلاً فالعذاب مصيرهم.

الأئمة

لقد اجتبي الباري تعالى اتماماً لنعمته واكمالاً لدينه أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأحد عشر اماماً من ولده كي يثبت الناس من بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) على الصراط المستقيم مستنيرين بكتاب الله وعتره رسول الله (صلى الله عليه و آله) وينجون من الضلالة إلى الأبد.

وبالرغم مما تعرض له الأئمة (عليهم السلام) من قبل الأشرار والحكومات الطاغوتية التي عاصرتهم إلا أنهم لم يتوانوا لحظة واحدة عن بيان الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن الأدعية التي تعتبر تبياناً للمعارف الالهية لغرض تربية الناس، وبذلك اتموا الحجة على الناس من خلال فعلهم وقولهم وشهادتهم.

والأئمة شأنهم شأن الأنبياء يعتبرون ميزاناً يوم القيامة، فإذا وافقت حياة البشر ما كان عليه الأئمة نجوا وآلاً فالعذاب موئلهم.

العلماء

والفقهاء المختصون بالمعارف الالهية والمتبحرون بعلوم القرآن والأحاديث

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 286

هم حجج الله على خلقه ايضاً بعد الأنبياء والائمة، وعلى الناس اتباعهم، اذ ان اتباع العالم الجامع للشرائط بمثابة اتباع النبي أو الامام وذلك مدعاة للنجاة والفلاح.

على رب الاسرة ان يعي هذه الحقيقة وهي وجوب ان يخصص جانباً من وقته لتعلم القرآن ومعرفة الأنبياء والأئمة وولاية الفقيه، وان يبادر إلى تعريف عائلته بهذه الحقائق أو يتولى ذلك من له اختصاص بها، اذ ان التزود العملي من كتاب الله والأنبياء والائمة وقيادة العلماء الجامعين للشروط يعدّ موجباً لبلوغ خير الدنيا والآخرة واشراق الحياة الطيبة.

ان النخلّي عن العقل والابتعاد عن القرآن والغفلة عن الأنبياء والأئمة وتجاهل العالم الرباني ما هو إلا خسرانٌ وهلاكٌ ومبعثٌ لحلول الحزّي في الدنيا والآخرة.

وعلى افراد الاسرة اعانة رب الاسرة في هذا المجال، وان يقدّروا له ما يقوم به من اعمال صالحة ومفيدة ويتعرفوا على التعاليم الالهية بما وسعهم، وهذا هو معنى التعاون على البر والتقوى ليس الآ.

وإذا ما اصاب رب الاسرة بالوهن في هذا الجانب، عى زوجته واولاده تشجيعه وترغيبه وحثه على توفير الأرضية اللازمة لتجلى هذه الحقائق، اما إذا ابدى عناداً فعليهم عدم الانصياع له ولكن بالتزام الأدب والرصانة وبيادرون بانفسهم من اجل تعلّم القرآن ومعرفة النبي والامام والعالم الرباني كي ينالوا السعادة نتيجة ما توفر لديهم من ارادة.

على رب الاسرة ان يُعظّر اجواء الدار بقراءة القرآن والدعاء والمناجاة والتضرع وذكر الله لا سيما الصلاة كي تتسق دنياهم مع دينهم وبذلك ينال اهل الدار حسن العاقبة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 287

الصلاة

ان الصلاة بشكل صحيح وبحضور قلب ليست الواجب الوحيد الذي يتحملة رب الاسرة، بل ان القرآن الكريم يرى بأن الله تعالى قد وضع مسؤولية تعليم ابناء الاسرة على عاتقه ايضاً، ويتعين عليه الأخذ بيد عياله نحو رحاب الصلاة بأسلوب لطيفٍ وتشجيعهم لاداء هذه الفريضة الساميه.

قال تعالى:

«وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى» «1».

ونقرأ في القرآن الكريم ان مما امتاز به اسماعيل (عليه السلام) أمره اهله بالصلاة.

وكان يأمر أهله بالصلاة... «2» كما نقرأ ان ابراهيم (عليه السلام) دعا الله سبحانه ان يجعله وذريته ممن اقام الصلاة.

«رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» «3».

وفي روايات عديدة عبّر رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الصلاة بأنها قرة عينه «4».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«... ما من شيء بعد المعرفة يعد هذه الصلاة» «5».

وقال علي (عليه السلام):

(1) - طه: 132.

(2) - مريم: 55.

(3) - ابراهيم: 40.

(4) - البحر: 77 / 77.

(5) - البحر: 69 / 406.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 288

«اوصيكم بالصلاة وحفظها فإنّها خير العمل وهي عمود دينكم» «1».

وقد وصف القرآن الكريم الصلاة بأنها تنهى عنها القبائح ظاهرها وباطنها:

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» «2».

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«انّ أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها».

ان تضییع الصلاة والاستخفاف بها او ترك هذه العبادة الكبرى أحد اسباب الحرمان من شفاعة النبي (صلى الله عليه و آله) والخزي يوم القيامة وحلول اللعنة الالهية والحرمان من دخول الجنة «3».

علینا الاهتمام بصلاتنا وصلاة اهلینا لئلا يشکونا إلى الله فی الحشر ويضجون إلى الله قائلین: لو كنا قد دعینا إلى الصلاة لأجبنا، فخلو صحائفنا من الصلاة انما هو تقصیر الأزواج والآباء أولاً، ومن بعده وقع التقصیر منا، انما فخذ بحقنا منهم وادخلهم فی لعنتک واذقهم ضعفین من العذاب لانهم هم الذین صدونا عن الصلاة نتیجة غفلتهم عنها!!

ان الأطفال یعّدون مصورین ماهرین، اذ انهم یقلّدون کل ما یمارسه الکبار من تصرفات وأخلاق وحركات، فإذا ما اقمتم الصلاة وصمتم وقرأتم القرآن وتحلیتم بدمائة الأخلاق والمودة وابدیتهم الوقار والتأدیب، فإنهم یقلّدونکم فی ورد فی رواية: مرّ عیسی بن مریم (علیها السلام) بقبر یعدّب صاحبه ثم مرّ به من قابل فإذا هو لیس یعدّب، فقال: یا رب مررت بهذا القبر عام أول وهو یعدّب، ومررت به العام وهو لیس یعدّب، فواحی الله جل جلاله الیه: یا روح الله قد ادرك له ولد

(1) - البحار: 209 / 82.

(2) - العنکبوت: 45.

(3) - البحار: 9 / 83 - 19.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 289

صالح فاصلح طریقاً وآوی یتیمّاً فغفرت له بما عمل ابنه «1».

فیا ایّها الأحبّة! ان تریة الذریة الصالحة الذین یصبحون من أهل العبادة والبر لا تدرّ المنفعة فی الدنیا فحسب بل ان منافعها تمتد إلى البرزخ ویوم القيامة، فلا تغفلوا عن هذه التجارة الراجعة.

(1) - الوسائل: 338 / 16 طبعة آل البيت.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 291

«یا أئیّها الذّین آمنوا فُوا أنفُسَکُم و أهْلِیکُم ناراً و فُودُهَا النَّاسُ و الحِجَارَةُ»

مسئولية رب الاسرة

قوا انفسكم وأهليكم نار يوم القيامة

في احدى آيات سورة التحريم يلقي الله سبحانه وتعالى بمسؤولية ثقيلة على كاهل رب الاسرة، وهذه المسؤولية رغم فداحتها إلا أنها زاحرة بالمنافع الدنيوية والاخرية.

ولو التزم الناس جميعهم لا سيما من بعهدتهم عيال بمضمون هذه الآية لحلت نسبة عظيمة من المشكلات التي تعاني منها العوائل، وازيحت الفوضى وحالة الاستقرار والأمن من اجواء البيت وحلت المشاكل، يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» «1».

نعم، انها مسؤولية عظيمة تقع على عاتق رب الاسرة تتمثل في الأخذ بيد أهل بيته نحو التوحيد والاعتقاد بالمعاد والخشية من العذاب والتزام التقوى، وتأديبهم بالآداب والأخلاق الاسلامية، وتوفير الارضية اللازمة للكمال والرقى وتربيتهم وتعليمهم، وصيانتهم من عذاب يوم القيامة.

ان ما تؤكد به الآية الكريمة بأن الانسان هو الذي يسعر تلك النار هو أمر في غاية الأهمية والظرافة.

اذ يستفاد من الآيات القرآنية بكل وضوح ان مادة العذاب يوم القيامة واصلة

(1) - التحريم: 6.

هي الذنوب والمعاصي.

وفي واقع الأمر، فإنَّ الجرم والجزاء في الآخرة من سنخ واحدٍ، على العكس منهما في الدنيا ففيهما اختلاف ذاتي وسمعي، فالذي يرتكب ما يخالف قوانين المرور كأن يسير بسيارته في الجانب الأيسر من الطريق، أو يسير في طريق يمنع فيه السير يعرَّم مبلغاً من المال، فالجريمة هنا عملية إنسانية، اما الجزاء فهو مالي، وهنالك اختلاف سمعي بين العمل والمال أما في النظام الكوني فإنَّ الجريمة والجزاء من سنخ واحد، بمعنى ان من ارتكب جريمة فإنَّ هذه الجريمة تظهر يوم القيامة على شكل نارٍ مندلعة منه.

فعند ما يصدر ذنبٌ عن الإنسان سواء على الصعيد العملي أو الأخلاقي مادياً ومعنوياً فإنَّ ذلك يعني دخوله في النار إلا ان ظهور هذه النار مؤجل إلى يوم القيامة.

هنالك الكثير ممن قضوا اعمارهم في شتى المعاصي ولم يبق منهم عضوٌ نزيه، فهؤلاء في الحقيقة قد اختزنوا الكثير من النار في وجودهم حيث تتجلى هذه بهيئتها المادية يوم تنكشف الحجب وحينها تحيق بصاحبها إلى الأبد وفي هذا المجال تأملوا هاتين الآيتين من كتاب الله:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ هُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «1».

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا» «2».

(1) - البقرة: 174.

(2) - النساء: 10.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 294

ففي كلتا الآيتين اعتبر تعالى أكل الحرام أكلاً للنار، ورغم أنه يتمثل اليوم بأكل لقمة لذيدة لإلآته يتجلى يوم القيامة بصورته الحقيقية بصورة نارٍ ملتهبة.

وهذا حديث ذلك الوجود المقدس الذي يعتبر الوجود والخلق بما فيهم الجن والملائكة والانس والعرش من نفحات ارادته.

فهو الذي يرى الذنب والمعصية ناراً، وإن نظرنا إلى ذلك على أنه عملٌ شيقٌ ولقمةٌ لذيذة، وهو يشهد التهام النار حين ارتكاب المعصية، وإن خفي عنا، ويرى لهيباً عجيباً لتلك النار رغم عدم شعورنا به.

غداً عند ما ينصرف الناس من الحساب تتصاعد النيران من أبصار البشر نتيجة نظرة الحرام، ومن آذاخهم نتيجة لسماع ما حرم الله، ومن السنتهم لما ارتكبوه من غيبةٍ وفحشاءٍ وبهتانٍ، ومن بطونهم لأكلهم الحرام، ومن غرائزهم لما ارتكبوه من زنا ولواط وممارستهم للعادة السرية، ومن أيديهم لما ارتكبوه من ظلمٍ وجورٍ وتزويرٍ وشهادة زور وما خطت أيديهم من كلام مضللٍ ومن أرجلهم لما سعوا إلى مجالس الحرام، وبين أصحاب تلك الأعضاء والجوارح في العذاب الاليم ولا مفرّ له من ذلك.

فيا الأرياب الأسر! حافظوا على أنفسكم وأهليكم من هذه النار التي هي حصيلة الذنب والمعصية، والتزموا التقوى في جميع جوانب حياتكم، ولا توقعوا أنفسكم وأهليكم في نار وقودها الإنسان نفسه طمعاً في دنيا معدودة أيامها ولذّة زائلة وثروة فانية.

ومن بين المواد التي تعدّ وقوداً للنار هو الفحم الحجري الذي يعرفه الجميع بالصلابة والقوة وارتفاع الحرارة وطول مدة الاحتراق.

هنالك كميات هائلة من الفحم الحجري والمواد الذائبة والمحتركة تغلي في بطن الأرض وعلى مدى ملايين السنين، وقد تخرج هذه المواد الذائبة من قمم

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 295

الجبال على شكل براكين تحرق كل ما يصادفها وتقضي عليه، وتتميز نيران هذه المواد بعدم نفاذها بل انها - وكما يصرح القرآن الكريم - ستعم الكرة الارضية جميعها بحيث انها تحرق البحار جميعاً في المستقبل.

«وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» «1».

وقد توقع العلماء المعاصرون بهذه الحقيقة ايضاً وهي أن الأرض ستبديل مستقبلاً إلى بركانٍ من نارٍ:

«يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» «2».

على ضوء ما تستبطنه الأرض من بحر عجيب من المواد الذائبة والوقود، ونظراً لما ينتظر الأرض من مستقبل تتحول فيه إلى بركانٍ من نار. فإننا ندعن للروايات القائلة بأن جهنم وطبقاتها إنما تكمن في هذه الأرض.

ان وقود النار في ذلك اليوم الناس والحجارة، فالانسان وقوده الذنب والمعصية، والارض وقودها الحجارة المتجمعة في بطن الارض وخارجها ولا يخفى ان حجمها ووزنها ليس بالقليل بالاضافة إلى ديمومتها التي جاءت بناءً على الارادة الالهية، كما ان خلود الانسان في ذلك العالم يأتي وفقاً لارادته جلّ وعلا.

بناءً على ذلك، على رب الاسرة الاستماع أكثر فأكثر إلى هذا النداء الملوكوتي:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» (3).

ان مجادلة حزنة جهنم - وهم ملائكة غلاظ شداد - لا تتيسر لأيّ كان، وان

(1) - التكوير: 6.

(2) - ابراهيم: 48.

(3) - التحريم: 6.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 296

اهل النار ضعفاء واذلاء ولا مفر لهم منها ابداً، ومن خفّ ميزانهم ولحقت بهم الذلّة يكون مستقرهم يوم القيامة مستقراً ذليلاً ومأواهم النار الكامنة تحت هذه الارض، ووقودها الناس والحجارة، وخزنتها غلاظ شداد، وعذابها شاملٌ وأليم وابدئي، واهلها لاهم من الاحياء ولا هم من الاموات.

«ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى» (1).

جنة المأوى

إذا ما بادر رب الاسرة إلى المحافظة على نفسه واهليه من النار، أي نهاهم عن المعاصي بابعادها البدنية والمالية والأخلاقية، وحثهم على أداء الفرائض والقيام بصالح الاعمال فهو يكون بذلك قد مهّد السبيل لنفسه واهله نحو الجنة، الجنة التي هي عند سدرة المنتهي وعرضها السموات والارض:

«عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» «2».

من الواضح هنا ان سدرۃ المنتهى عالمٌ فسيحٌ بحيث ان الجنة التي عرضها السموات والارض تكمن فيه!!
والقرآن يدعو الجميع إلى المسارعة نحو الجنة وذلك من خلال التحلّي بالایمان والقيام بالعمل الصالح والتزام فضائل الأخلاق:
«سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» «3».

ایها الاحبة! ان زاد جهنم المعصية والذنب، وزاد الجنة الايمان والتعب

(1) - الاعلى: 13.

(2) - النجم: 14 - 15.

(3) - آل عمران: 133.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 297

وخدمة عباد الرحمن، فحافظوا على انفسكم وأهليكم من التزود لجهنم، وتزودوا للجنة، حيث ان مسؤوليتكم الآن وانتم تتحملون اعباء عوائلكم عظيمة جداً.

اتخذوا من رسول الله (صلى الله عليه و آله) قدوةً لكم في تصرفه مع افراد اسرته بدءً من الزوجة والاولاد وانتهاءً بالخدمة، كي تأمنوا عذاب القيامة وتبلغوا النعيم الابدي أي جنة المأوى.

فقد فاق (صلى الله عليه و آله) جميع من في الأرض في ادائه لحق المرأة وجهد في اداء حق أولاده.

ولم يكن (صلى الله عليه و آله) من أهل الافراط والتفريط، بل التزم الاعتدال في حبه ورأفته بعياله وفي اخلاقه وممارساته، ورغم رفقه ورقته مع عياله فهو لم يغفل عن حثهم على التعبّد وتخديرهم من عذاب يوم المحشر.

وكان (صلى الله عليه و آله) يتعامل داخل الدار مع المرأة على انها امرأة ويتصاّبى للصبي، فقد كان (صلى الله عليه و آله) نموذجاً للادب واسوة في الفضيلة وقدوة في الأخلاق، وعلماً في توحيد الباري جلّ وعلا، ومثالاً في العبودية، ومناراً للهداية.

أربع واجبات مهمّة

لقد جرت الإشارة في التفاسير التي تعتمد تفسير القرآن بالروايات، خلال توضيح الآية الكريمة:

«فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...».

الى بعض الامور المهمة على انها مسؤولية تقع على رب الاسرة يتسنى من خلالها وقاية العيال من عذاب يوم القيامة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 298

1- بدعائهم الى طاعة الله

على رب الاسرة ان يدعو أهله - مادام حياً- الى طاعة الله وامثال تعاليمه التي تضمن صلاح الانسان في الدنيا والاخرة، وتكون هذه الدعوة بنحو لاتصعب فيه تلبيتها، اي تكون مقرونة بالرفق والتودد والقول الحسن وطلاقة الوجه والوقار، دعوة بالقول والفعل بشكل يندفع العيال نحو طاعة الله بكل شغف واشتياق، ويجعلوها في طليعة واجباتهم.

وقد جريت ذلك في بيتي فوجدته مفيداً، فجربوه أنتم ستجدونه مفيداً.

واذا ما اندفع الاطفال نحو طاعة الله، شوقهم وقدموا لهم الهدايا وقبلوهم احتضنهم كي ترسخ الطاعة في كيانهم.

وعلى النساء أن يتقبلن من ازواجهن اذا دعوهن الى طاعة رب العالمين كي تتألف آثار استجابتهن في وجود الأبناء.

2- وتعاليمهم الفرائض

على رب الاسرة ان يعلم أسرته - بما امكنه - ما عليهم من الفرائض، وبعض هذه الفرائض مذكور في الرسائل العملية، وبعضها الآخر في الكتب الأخلاقية والفقهية.

اما اذا لم يفلح فعليه توفير السبيل لتعليمهم من خلال اصطحابهم الى المساجد والمجالس الدينية أو استدعاء العالم الى البيت كي يعلمهم الواجبات الشرعية.

ربما يصعب على البعض فهم الرسائل العملية أو يتعذر فهمها حينها يقتضي ادخال الاولاد من الذكور والاناث في حلقات الدرس الخاصة بذلك كي يدركوا واجباتهم الشرعية قبيل بلوغهم سن التكليف.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 299

3- ونهيهم عن القبائح

يجب على الاسرة نهي عياله عن القبائح وتحذيرهم من عواقب المعاصي والموبقات، وازالة الاجواء التي من شأنها اثاره المعاصي داخل المنزل.

4- وحثهم على أفعال الخير

وعلى رب الاسرة حث اهل بيته وتشجيعهم على افعال الخير من قبيل الانفاق في سبيل الله، والتواضع للآخرين، واحترام الكبير ومداواة الصغير، وخلق اجواء السلم والوئام بين الناس، وقول الحق والدعوة اليه، وباختصار، كل فعل خير.

ان انجاز هذه الواجبات الاربعة يعتبر - استناداً إلى ما اكده الامام الصادق (عليه السلام) - تجسيدا لقوله تعالى: «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا...».

ان السعي لهداية عبادالله فيه من الثواب ما لا يعلمه الا الله سبحانه، اذ قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأُميرالمؤمنين (عليه السلام) حين بعثه إلى أهل اليمن:

«وإِنَّ اللَّهَ لَيُنْ يَهْدِيَّ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرِبَتْ...» «1».

أَيُّ تِجَارَةٍ رَاجِحَةٍ هَذِهِ؟ فَطَوْبَى لِلَّذِينَ بَنَوْا حَيَاتَهُمُ الزَّوْجِيَّةَ وَاصْبَحُوا خَيْرَ مُعَلِّمِينَ لِعَوَائِلِهِمْ لِيَصِيبَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ مَا صَرَّحَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله) لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) بِمَا يَقُومُونَ بِهِ لِهَدَايَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَهُوَ غَيْرُ الثَّوَابِ الْمُرْتَبِّ عَلَى السَّعْيِ لِكَسْبِ الْحَلَالِ مِنْ أَجْلِ إِدَارَةِ شُؤُونِ الْحَيَاةِ، إِذْ إِنْ لَلْسَعْيِ

(1) - البحار: 21 / 361.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 300

من أجل توفير الجوانب المادية لغرض تمشية حياة الزوجة والاطفال أجراً، وللسعي من أجل الجوانب المعنوية لغرض هدايتهم أجراً آخر، ومثل هؤلاء من ارباب الاسر يعيشون في ببحوحة من الأجر والرحمة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 301

«تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»

النساء/ 13

19

حقوق الزوج والزوجة في الاسلام

صورة عن الحقوق الاسرية

لقد ذكرت الحقوق الزوجية بالتفصيل في القرآن والاحاديث، ولم يُهمل شيء على هذا الصعيد، وإذا ما استقرء المرء هذه الحقوق يجد انها من معاجز الدين الاسلامي الحنيف.

فلم تجدر الاشارة في اي دين وثقافة إلى حقوق الزوجين بهذا النحو، وليس بوسع أي دين تقديم ما هو افضل منها حتى قيام الساعة.

ان بعض هذه الحقوق تعدّ بحكم الواجب وبعضها الآخر مستحبّ، وترك الواجب منها دون رضى الطرف المقابل يعتبر سبباً في حلول العذاب، اما ترك المستحب فهو مدعاة لفتور الحياة.

وقد ذُكرت حقوق الزوجين ببعديها الواجب والمستحب في الاجزاء 20 و 22 و 23 من كتاب وسائل الشيعة (طبعة مؤسسة آل البيت)، حيث انقل هنا مورد الحاجة منها، وادعو القراء الكرام إلى مطالعة تفاصيلها في ذلك الكتاب.

في البداية نتبرك بطائفة من آيات القرآن الكريم مما ترتبط بهذه الأمر ثم نتطرق إلى الاحاديث.

«و عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» «1».

«و لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ» «2».

(1) - النساء: 19.

(2) - البقرة: 228.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 303

«قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ» «1».

عن اسحاق بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد (صلى الله عليه و آله):

«ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال يشبعها ويكسوها، وان جهلت غفر لها، وقال أبو عبد الله، كانت امرأة عند أبي ثؤذيه فيغفر لها».

وعن الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«أوصاني جبرئيل بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبيّنة».

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«رَحِمَ اللَّهُ عبداً احسنَ فيما بينه وبين زوجته فإنَّ اللَّهَ عزَّوجلَّ قد ملَّكهُ ناصيتها وجعله القيِّمَ عليها».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ملعون ملعون من ضيع من يعول».

وعنه (صلى الله عليه و آله):

«خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لأهلي».

وقال (صلى الله عليه و آله): أيضاً:

«عيال الرجل اسراؤه واحب إلى الله عزوجل أحسنهم صنعا إلى اسرائه».

حقوق الزوجة على الزوج

1- توفير مستلزمات الحياة

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

(1) - الاحزاب: 50.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 304

«فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

وقال الامام السجاد (عليه السلام):

«لئن ادخل السوق ومعي درهم أبتاع به لحماً لعيالي وقد قرنوا اليه احب الي من أن اعتق نسمة».

وقال الصادق (عليه السلام):

«من سعادة الرجل ان يكونَ القيّم على عياله».

2- المباشرة

سُئل الامام الرضا (عليه السلام) عن الرجل يكون عنده المرأة الشابة فيمسك عنها الاشهر والسنة ولا يقرّبها ليس يريد الاضرار بها، يكون لهم مصيبة، يكون في ذلك آثماً قال (عليه السلام) إذا تركها اربعة اشهر كان آثماً بعد ذلك.

وقد ورد في التعاليم الاسلامية: ان على الرجل ان يكون عند زوجته كل اربع ليالٍ ليلة واحدة ليجامعها.

3- التوسعة في الحياة

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): من دخل السوق فاشتري تحفةً فحملها إلى عياله كان كجامل صدقةٍ إلى قومٍ محاوٍيج وليبدأ بالاناث قبل الذكور فإنّ من فرّح ابنته فكأنما اعتق رقيّةً من ولد اسماعيل ومن أقرّ بعين ابنٍ فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله ادخله الله جنات النعيم.

قال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«عيال الرج اسراؤه فمن انعم الله عليه بنعمةٍ فليوسّع على اسرائه، فإنّ لم يفعل أو شك ان نزول تلك النعمة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 305

وعن النبي (صلى الله عليه و آله) إنّهُ نهى ان يشبع الرجل ويبيع أهله.

وقال الصادق (عليه السلام):

«ان المرء يحتاج في منزله و عياله إلى ثلاث خلال يتكلّفها وان لم يكن في طبع ذلك:

معاشرةً جميلةً وسعةً بتقدير، وغيرهً بتحصنٍ.

وقال الامام علي بن الحسين (عليه السلام):

«ان ارضاكم عند الله اسبغكم على عياله».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا انفق المسلم على اهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقةً».

4- احترام الزوجة

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ اتَّخَذَ زَوْجَةً فَلْيُكْرِمَهَا».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«يُتِمَّا رَجُلٍ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ أَقَامَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ فَيَفْضَحُهُ فَضِيحَةً يَنْظُرُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«أَيُّضْرَبُ أَحَدَكُمْ الْمَرْأَةَ ثُمَّ يَظِلُّ مَعَانِقَهَا».

وعنه (صلى الله عليه و آله):

«أَمَّا الْمَرْأَةُ لَعِبَةٌ مَنْ اتَّخَذَهَا فَلَا يُضَيِّعُهَا».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«إِنِّي أَعْجَبُ مَنْ يَضْرِبُ امْرَأَتَهُ وَهُوَ بِالضَّرْبِ أَوْلَى مِنْهَا، لَا تَضْرِبُوا نِسَاءَكُمْ بِالْخَشَبِ فَإِنَّ فِيهِ الْقِصَاصَ».

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 306

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«... وإِنَّ أَمَانَةً فَلَا تُضَارُّوهُنَّ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ».

سألت حولاً رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن حق المرأة على الرجل.

5- التزُّين والنظافة

مثلاً يحب الرجل ان يرى زوجته جميلة نظيفة ناصعة الملابس طيبة العطر، فإنَّها تتأمل منه ذلك ايضاً، فالنظافة والاستحمام والسواك وصف الشعر وقص الاظافر والتعطر وارتداء الملابس النظيفة وترتيبها، كل ذلك مما يسعد الزوجة ويرضيها، وينبغي لديها العفة والطهارة ويحصنها من التعلق بالآخرين والاندفاع نحو غير زوجها.

يقول الحسن بن المهجم: «قلت لعلي بن موسى (عليه السلام) خضبت؟ قال نعم بالحناء والكتم أما علمت أن في ذلك لأجراً؟ إنها تحب أن ترى منك مثل الذي تحب أن منها يعني المرأة في التهيئة ولقد خرجن نساء من العفاف الى الفجور ما أخرجن إلا قلة تهيئة ازواجهن» «1».

ويروي الامام الرضا (عليه السلام) عن ابائه:

«ان نساء بني اسرائيل خرجن من العفاف إلى الفجور، ما اخرجهن الا قلة تهيئة ازواجهن، وقال: انها تشتهي منك مثل الذي تشتهي منها».

ان بعض الرجال ممن انعدم الانصاف عندهم لا يعتنون بانفسهم وقليلاً ما يسارعون إلى اصلاح شعرهم، ومدمنون على التدخين، افواههم قدرة وكرهية الرائحة، ملابسهم رثة، لا يهتمون بهندامهم، والأنكى من ذلك انهم يتوقعون من

(1) - بحار الانوار: 102 / 76.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 307

ازواجهم تلبية ما يحتاجون في جميع الاموال، هؤلاء هم الظلمة الذين يستحقون التأنيب والتوبيخ.

6- المرونة في الحديث والمداواة

ان الغلظة في الكلام وبذاءة اللسان والحدة والتصلب تدفع المرء إلى اتخاذ ردود فعلٍ معاكسة.

فعندما يخرج الحديث والسلوك عن حدوده فإنه يثير الحزن لدى الزوجة ويضعف روحيتها وبالتالي يجر الحياة نحو المآسي والاضمحلال.

وبهذا المجال يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) الرجال قائلاً:

«فداروهنّ على كلّ حالٍ واحسنوا».

7- حافظوا على ارادتكم

هنالك طائفة من الرجال يتنازلون عن ما منحهم الله سبحانه من حرية واردةٍ ويخضعون لنسائهم بكل وجودهم، وبعض النساء يتحكمن بالحياة الزوجية من خلال استغلال الأزواج ويأخذن بناصية الحياة اتّى شئ.

ومثل هذه الحياة تتحول في الغالب إلى حياةٍ شيطانية تنطوي على أمواج من المعاصي والموبقات والاسراف والتبذير والرغبات الباطلة، وتخلو من المعنويات، وتدفع بالاسرة نحو الانحراف عن القواعد الالهية والانسانية هنالك نسبة عالية من العوائل التي ابتليت بهذا الوباء المدمر في عصرنا الحاضر، فبدلاً من ان يرتبط بناء الاسرة بالرجل فإنه يرتبط بالزوجة، وبدلاً من أن يكون الرجل هو الزوج تتحول المرأة الى سيّد على زوجها، ولا قدرّ الله ان لا يستجيب الرجل لرغبات زوجته حتى لو كانت باطلة وتعارض مع الاوامر الالهية، آنذاك سيندلع

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 308

الشجار والنزاع وتوقد الزوجة ناراً مدمرة لا تخمد ما لم يستسلم الرجل أو يبادر إلى طلاقها.

يقول (عليه السلام) بشأن مثل هؤلاء الرجال ضعاف الشخصية والاذلاء.

«كلُّ امرئٍ تدبّرهُ امرأةٌ فهو ملعون».

وقال (عليه السلام):

«من اطاع امرأته اكبّه الله على وجهه في النار، قيل وما تلك الطاعة قال: تطلب اليه..

التياب الرقاق فيحيئها».

شكى رجال من اصحاب أميرالمؤمنين (عليه السلام) نساءه فقام (عليه السلام) خطيباً فقال:

معاشر الناس، لا تطيعوا النساء على حالٍ ولا تأمنوهنّ على مالٍ ولا تذروهنّ يدبّرنّ أمر العيال، فإنّهنّ إن تركنّ وما أردنّ المهالك.

وعدون أمر المالك، فإنّا وجدناهنّ لا ورع لهنّ عند حاجتهنّ، ولا صبر لهنّ عند شهوتهنّ، التبرّج لهنّ لازمٌ وإن كبرنّ، والعجب لهنّ لاحقٌ وإن عجزنّ، رضاهنّ في فروجهنّ، لا يشكرنّ الكثير إذا مُنعن القليل، ينسينّ الخير ويحفظنّ الشر، يتهافتنّ بالبهتان ويتمادين في الطغيان ويتصدّين للشيطان، فداروهنّ على كل حال، واحسنوا لهنّ المقال، لعلّهنّ يحسّنّ الفعال «1».

حقوق الزوج على الزوجة

ان جانباً مهماً من تماسك دعائم الحياة الزوجية يكمن في مراعاة الزوجة لحقوق زوجها.

وعلى الزوجة أن تضع الله سبحانه وتعالى واليوم الآخر نصب عينها على هذا

(1) - الوسائل: 20/ 180 طبعة مؤسسة آل البيت.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 309

الصعيد وتجنب ما يقوله الآخرون حول زوجها، ورفض تدخل المحيطين بها.

لعل الآخرون مخطئين في أقوالهم واحكامهم، أو انهم يقصدون سوءً بحياة الزوجين وما تتمتع به من جمالٍ واستقرار، ولعل تدخل الآخرين في الحياة الزوجية لزوجين قد دخلوا القفص الذهبي تواءمًا نابغ عن الحسد.

ان المرأة تتميز بسهولة تأثرها، بناءً على ذلك عليها الحذر من هذه الحالة الطبيعية وامكانية وقوع الآخرين في الخطأ والحسد، وان تضع الله سبحانه وتعالى نصب عينيه في اداء حقوق زوجها وذلك يعني اداءً للحقوق الالهية والانسانية، وان تضع بالاعتبار ذلك اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين.

فالرجل يودُّ ان تكون زوجته مختصةً به وتحافظ على طبائعها كامراً وان لا تخرج عن طورها كانشي وقد خلقت كذلك، وان تحتفظ بانوثتها ورقتها وساحريتها لزوجها فحسب ولا تكون مقلداً للآخرين ولا ترتضي تدخل الاقارب بعيدين كانوا ام قريبين والجيران.

عليها ان تكون شريكة لزوجها وتحيا معه مليئةً طموحاته المشروعة وتدير شؤون المنزل على ضوء تطلعات وتكون امّاً صالحة لاولادها.

هنالك طائفة من النساء ينسین انوثتهن ويتعاملن بعنفٍ وخشونة وصرامةٍ، فتؤدي هذه الطبائع إلى احباط تطلعات الرجل وتجعله يندم على زواجه وقد تثير في نفسه النفور من الحياة.

أن تمكين الزوجة الزوج من نفسها حين الحاجة، واطاعتها له في جميع الامور الشرعية والأخلاقية، وعدم الخروج من البيت أو السفر إلا باذنه، عدا السفر للحج، هي من الحقوق الواجبة للرجل على زوجته، ومنها ما هو مستحب أيضاً.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 310

1- الطاعة

قال الباقر (عليه السلام):

«جاءت امرأة إلى النبي فقالت يا رسول الله! ما حقُّ الزوج على المرأة فقال لها: ان تطيعه ولا تعصيه».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحجّت بيت ربّها، واطاعت زوجها، وعرفت حقّ علي (عليه السلام) فلتدخل من أيّ أبواب الجنان شاءت».

والآن تأملوا هذه الروايات الهامة الواردة عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله):

«كلّ امرأةٍ سالحةٍ عبت ربّها وأدّت فرضها واطاعت زوجها دخلت الجنة».

«ما من امرأةٍ صلّت صلاتها ولزمت بيتها واطاعت زوجها إلّا غفر الله لها ذنوبها ما قدّمت وما أخّرت».

وقال (صلى الله عليه و آله) لامرأة تُدعى حولا:

«يا حولا، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ان للرجل حقاً على امرأته اذا دعاها ترضيه واذا امرها لا تعصيه ولا تجاوبه بالخلاف، ولا تخالفه» ¹.

ومن كلام صارم وحازم له (صلى الله عليه و آله):

«لا تؤدي المرأة حقّ الله عزوجل حتى تؤدي حق زوجها».

لا حظتم في هذه الروايات ان مجرد طاعة الزوج لا تمثل ملاكاً للنجاة، بل ان ايمان المرأة وعبادتها واداء الفرائض وترك المحرمات لها دورٌ مهمٌ في نجاتها، بمعنى ان هذه الأبعاد لو اجتمعت لدى المرأة فإنّها ستكون عاملاً في فلاحها

(1) - مستدرك الوسائل: ج 14 / 243.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 311

وفوزها في الدنيا والآخرة.

في الحالات التي تخلو من المنع الشرعي، على الزوجة ان تلبي رغبة الزوج في الجماع بل يستحب ان تبادر هي وتعرض نفسها.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«عليها أن تطيب باطيب طيبها وتلبس أحسن ثيابها وتزين بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوةً وعشيّةً وأكثر من ذلك حقوقها».

فإذا عملت المرأة بما أوصى به رسول الله (صلى الله عليه و آله)، تكون قد احتفظت بزوجه لنفسها وحصنته عن نظرة السوء والتعلق بغيرها من النساء أو ملاحقة هذه المرأة أو تلك.

ان الجانب الاعظم من الاختلافات انما ينشأ من هذه الناحية، اذ ان المرأة تحتفظ بطبيعتها وافضل ملابسها وزينتها إلى حين ذهابها للزوار أو الاعراس، أما موقفها مع زوجها فيكون فاتراً، وإذا ما عادت من زيارتها أو الاعراس فإنها لا توفر لزوجها فرصة رؤيتها بتلك الحالة، اذ سرعان ما تخلع ملابس الزينة وترتدي ملابس المنزل وتلقي بزینتها وتعود إلى حالتها الطبيعية، وذلك فعلٌ من شأنه اتعاب الرجل وايدائه ويؤدي إلى اضعاف العلاقة بينهما ويزور امور اخرى.

وهناك الكثير من الأزواج الشباب والكهول قد شكوا لدي من اهمال زوجاتهم وعدم استجابتهن من ناحية التمكين وترك الزينة وارتداء الملابس الزاهية وعرض انفسهن للزواج، وعبروا عن رغبتهم في اللجوء إلى الزواج المؤقت أو الاقتران من امرأة ثانية، وطلبوا مني ايجاد حل لمشكلاتهم.

ان وصيتي الوحيدة للسيدات هي ان يمتثلن التعاليم الصادرة عن الرسول

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 312

الاکرم (صلى الله عليه و آله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في هذا الجانب تلافياً للمشاكل، ولكي لا تلعب الشهوة بالرجل خارج المنزل، وإلا سينهار صرح الحياة الزوجية فيقع وزر ذلك على عواتقهن يوم المحشر!

ثمّة حکم اصدره رسول الله (صلى الله عليه و آله) فيما يتعلق برغبة الرجل وتمكين الزوجة لزوجها، وهو ما اجاب المرأة التي سألته (صلى الله عليه و آله) عن حق الرجل، فقال (صلى الله عليه و آله):

«ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب».

كما قال (صلى الله عليه و آله):

«لا تُطَوِّلَنَّ صَلَاتَكَ لَتَمْنَعَنَّ أَزْوَاجَكَ».

3- الخروج من الدار

وا أسفاه! لقد غُطِّلَت هذه الحقيقة - اي وجوب طاعة المرأة لزوجها اثناء خروجها من البيت - من قبل الكثير من النساء اللواتي فقدن انوثتهن وانتحلن الرجولة ازاء ازواجهن.

فإذا كان خروج المرأة من بيتها مطلقاً وكما ترغب لما ربطه الباري تعالى باذن الرجل ورضاه.

لقد خرجن النساء من البيوت دون اذن الازواج واصبحن مصدراً للفتنة والفساد فأطحن كما في المجتمع من عفاف ووقار، اضيف إلى ذلك انهن لم يخرجن بالمظهر الطبيعي، بل بازهى الملابس ووجوه قد طليت بمواد التجميل كاشفات عن شعورهن ووجوهن بارزات امام الرجال في الشوارع والاسواق بشكل جذاب وساحر، وفي بعض الاحيان يكن قد اخمدن جذوة الغيرة عند الرجال كي لا يعترضوا على الاعيشتن، وتتبعن الثقافة الشيطانية لليهود والنصارى، أو كما يطلقون عليها الحضارة أو الحداثة، فالحقن بالاسلام

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 313

والمسلمين من البلاء ما لا يعوّض حتى قيام يوم الدين!

نهى رسول الله ان تخرج المرأة من بيتها بغير اذن زوجها فإن خرجت لعنها كل ملك في السماء وكل شيء تمر عليه من الجن والانس حتى ترجع إلى بيتها.

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ان رجلاً من الانصار على عهد سول (صلى الله عليه و آله) خرج في بعض حوائجه فعهد إلى امرأته عهداً ان لا تخرج من بيتها حتى يقدم. قال: وان أباه قد مرض فبعثت المرأة إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) تستأذنه ان تعود فقال: لا، اجلسي في بيتك واطيعي زوجك، قال: فنقل فارسلت اليه ثانياً بذلك فقال: اجلسي في بيتك واطيعي زوجك، قال: فمات أبوها فبعثت اليه ان أبي قد مات فتأمرني ان اصلي عليه؟ فقال: لا اجلسي في بيتك واطيعي زوجك، قال: فدفن الرجل فبعث اليها رسول الله (صلى الله عليه و آله): ان الله قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك».

4- تجنب ايذاء الزوج وسوء الخلق وبذاءة اللسان

لرسول الله (صلى الله عليه و آله) كلامٌ عجيبٌ بهذا الشأن وجهه للنساء قائلاً:

يا معشر النساء تصدقن ولومن حليكن ولو بتمرة ولو بشق تمرٍ فإنَّ أكثركنَّ حطبُ جهنم، انكنَّ تكثرن اللعن وتكفرن العشرة، فقالت امرأة: يا رسول الله أليس نحن الامهات الحاملات المرضعات، أليس منا البنات المقيمات والاخوات المشفقات؟ فقال: حاملات والدات مرضعات رحيمات لولا ما يأتين إلى بعولتهن ما دخلت مصليةً منهنَّ النار. وقال الصادق (عليه السلام):

«ثلاثة لا تقبل لهم صلاة: عبدٌ أبق من مواليه حتى يضع يده في ايديهم، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخطٌ، ورجلٌ أم قوماً وهم له كارهون».

وسأل علي بن جعفر أخاه الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 314

«المرأة المغاضبة زوجها هل لها صلاةٌ وما حالها؟ قال: لا تزال عاصيةً حتى يرضى عنها».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لحولا:

«يا حولا، والذي بعثني بالحق نبيا ورسولاً وهادياً ومهدياً، ان المرأة إذا غضب عليها زوجها فقد غضب عليها ربها» **«1»**.

ان النبي (صلى الله عليه و آله) يريد من النساء ان لا يحملن الرجال أكثر من طاقتهم وقابلياتهم، وان لا يذهبن بكرامتهم أمام أحدٍ من الناس من الاقارب كان ام غريباً.

قال الصادق (عليه السلام):

«ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتعمه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه، وتطيعه في جميع احواله».

5- العمل داخل المنزل

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) حولاً:

«يا حولاء ما من امرأة تستخرج (ما طيب) لزوجها الا خلق

لها]

[في الجنة من كل لون فيقول لها: كلي واشربي بما أسلفت في الأيام الخالية» «2».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إنما امرأة دفعت من بيت زوجها شيئاً من موضعٍ إلى موضعٍ تريدُ به صلاحاً نظرَ الله اليها، ومنَ نظرَ الله اليه لم يعدَّبه».

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

(1) - مستدرك الوسائل: ج 14 / 242.

(2) - مستدرك الوسائل: 14 / 244 - 245.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 315

«ان فاطمة عليها السلام ضمنت لعلِّي عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي ما كان خلف الباب نقل الحطب وأن يجيء بالطعام».

6- احترام الرجل ومداراته

قال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«جهاد المرأة حسنُ التبعل».

ان جهاد المرأة وحسن تبعلها يتمثل في تقدير ما يقوم بها الزوج من اعمال، ومحادثته بتوددٍ ورفق، والصبر على ما يعانیه من فقر وقلة ما في اليد، والترحيب به واستقباله عند الباب وتوديعه عند خروجه، وان لا تمنعه نفسها في الاوقات التي تخلو من المانع الشرعي، والتزين له وارتداء احسن ملابسها، وادارة شؤون البيت بشكل ملائم ومناسب، والاقتصاد في الانفاق وعدم فرض ما يخرج عن طاقة الرجل، وامثال هذه الامور التي شخّصها الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) وائمة الهدى (عليهم السلام) كواجبات للزوج على زوجته.

قال الامام الباقر (عليه السلام):

«لا شفيع للمرأة انجح عند ربها من رضا زوجها».

وقال الصادق (عليه السلام):

«ان قوماً اتوا رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقالوا: يا رسول الله إنا رأينا اناساً يسجد بعضهم لبعض فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لحولاً:

(1) - الوسائل: ج 14 / 115 ح 1.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 316

«يا حولاء والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً، كل امرأة صبرت على زوجها في الشدة والرخاء وكانت مطيعة لامره، حشرها الله تعالى مع امرأة ايوب (عليه السلام)» «1».

وعن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«حق الرجل على المرأة انارة السراج، واصلاح الطعام، وان تستقبله عند باب بيتها فتُرحَّب، وان تقدّم اليه الطست والمنديل وان توضأه، وان لا تمنعه نفسها إلا من علة».

وعند وفاة فاطمة (عليها السلام) وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) عند نعشها وقال: اللهم اني راضٍ عن ابنة نبيك، اللهم انها قد اوحشت فأَنِسْها».

7- عدم التزين لغير الزوج

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لحولا:

«يا حولا، من كانت منك تومن بالله واليوم الآخر، لا تجعل زينتها لغير زوجها ولا تبدي خمارها ومعصمها، وإما امرأة جعلت شيئاً من ذلك لغير زوجها، فقد افسدت دينها، واسخطت ربها عليها» «2».

نهى النبي أن تلبس المرأة إذا خرجت ثوباً مشهوراً أو تتحلّى بماله صوت يُسمع.

وثمة حديث مهم للغاية روي عن رسول الله صلى الله عليه و آله ينبغي التأمل به ملياً من قبل المسلمين، يقول صلى الله عليه و آله:

«إِذَا رَجَلُ امْرَأَتِهِ وَخَرَجَ مِنْ بَابِ دَارِهَا فَهُوَ دَبُوثٌ، وَلَا يَأْتِمُ مِنْ يُسَمِّيهِ دَبُوثًا، وَالْمَرْأَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَابِ مُتَزَيِّنَةٍ وَالزَّوْجُ بِذَلِكَ رَاضٍ يُبْنِي لَزَوْجِهَا بِكُلِّ قَدَمٍ بَيْتٍ فِي

(1) - مستدرک الوسائل: ج 14 / 242.

(2) - نفس المصدر: ص 244.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 317

النار، فقَصَّروا أجنحة نساءكم ولا تُطَوِّلوها فَإِنَّ فِي تَقْصِيرِ اجْنَحَتِهَا رِضًى وَسُرُورًا» «1».

8- عدم التصرف باموال الرجل دون اذنه

قال الصادق عليه السلام:

«ليس للمرأة امرٌ مع زوجها في عتقٍ ولا صدقةٍ، ولا تدبير ولا هبة ولا نذرٍ في مالها إلا باذن زوجها إلا في زكاةٍ أو صلةٍ قرابةٍ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ولا تُعطي شيئاً إلا باذنه فإن فعلت فعلها الوزر، وله الأجر».

وفي ختام هذا الفصل أرى من الضروري إعادة التذكير بأن الروايات المتعلقة بحقوق الزوج والزوجة قد اخذت عن الاجزاء من العشرين وحتى الثاني والعشرين من كتاب وسائل الشيعة، كما اخذت بعضها من الجزء 103 من كتاب بحار الانوار، وهي تمثل جزءاً يسيراً من مجموع الروايات الواردة بهذا الشأن، وبإمكان الراغبين بالمزيد منها مراجعة ذلكما الكتابين النفيسين.

(1) - البحار: 249 / 103.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 318

«حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ»

لقمان / 14

20

الحمل، والرضاعة، والتسمية

بالرغم من ان الام تعتبر منهلاً للحنان والعواطف، ورمزاً للرحمة الالهية، وهي تعيش اللهفة لان تصبح امّاً وتكحل عينيها برؤية وجه ولدها المفعم بالجمال والبراءة، إلا فترة الحمل تعتبر بالنسبة لها فترة عصبية مقتترنة بالقلق والاضطراب ومواجهة شتى الاعراض بدنياً وروحياً.

على الزوج ومن انتسب اليه، واقارب الزوجين نساءً ورجالاً مداراة الحامل والوقوف إلى جانبها والاعتناء بها بشكلٍ كاملٍ وعلى مدار الساعة، لأن ادنى تصرفٍ شائنٍ، وصراخٍ وتشويشٍ وكلامٍ غير مقبولٍ وسوء خلقٍ والحاق اي نوعٍ من الأذى بالمرأة الحامل، بالاضافة إلى ما يتركه من أثرٍ سلبيٍّ عليها فهو يؤثر سلبياً على الجنين في رحم امه ايضاً.

وإذا كان العريسان يعيشان مع والدي الزوج أو مع والدي الزوجة، يتعين عليهم جميعاً - سواء من الجانب الشرعي أو الأخلاقي - تجنب إثارة الزوج أزاء زوجته الحامل، ومراعاة الظرف الذي تمرّ به بأيّ نحو كان.

على والديّ الزوج الاحتراز من التدخل فيما يعيشه الزوجان من حياة وادعة، وعلى والدي الزوجة التزام الحذر من النظر إلى الزوج بعين الاستصغار، لئلا يتسببوا في انهيار الحياة الزوجية لهذين العريسين، لان أقارب الطرفين بأسرهم مسؤولون أزاءهما وكذا أزاء الجنين الذي يستقر في رحم امه.

وإذا ما تسبب المقرّبون بالحاق الاذى بالجنين عن طريق ايدائهم المرأة الحامل بسبب سوء أخلاقهم وأقوابيلهم والآمال غير المبررة التي يحملها اهل

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 321

الزوج أو الزوجة، لا شك أنّ عليهم تقديم الاجابة عن ذلك يوم تقوم محكمة العدل الالهية، وبالطبع فإنّهم عاجزون عن ذلك، يومذاك حيث يوم العدل والانصاف سينالهم العذاب الاليم بما ارتكبه من ظلم.

والقرآن الكريم يرى أن الجميع مسؤولون أزاء ممارساتهم و اخلاقهم و حركاتهم و سكناتهم و تصرفاتهم صغيرها وكبيرها:

«فَوَ رَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «1».

«وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» «2».

«إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» «3».

لقد وصلتني الكثير من الرسائل أيام ذهابي إلى مختلف نقاط ايران للتبليغ خلال اشهر رمضان ومحرم وصفر، من الذين دخلوا عش الزوجية تواء، وقد ساهمت في حلّ الكثير من الاختلافات الناشبة بين العوائل، وكانت نسبة عالية من التقصير صادرة عن الكبار والمحيطين بالزوجين، وفي الأغلب كان السبب في الاختلاف هو الآمال غير المبررة لا بوي الزوج لا سيما امه، أو التدقيق الزائد لا بوي الزوجة تجاه صهرهم، أو الحسد الذي عبّر عنه الامام الصادق (عليه السلام) بأنه منشأ الاختلافات المنافية للأخلاق والدين، وبطبيعة الحال فإنّ بعض العرائس لم يكونوا بريئين من التسبب في جانب من الاختلافات، وذلك انما يأتي بسبب صغر سنّهما وقلة تجربتهما ويمكن تجاوزه، الا ان الكبار لم يفعلوا، وعلى اثر ذلك كانت تندلع نيران الاختلاف، اصف إلى ذلك النواقص الأخلاقية والدينية التي كانت تمثل عاملاً مساعداً في تأجيحها أكثر فأكثر فيبلغ الأمر في بعض الأحيان

(1) - الحجر: 92- 93.

(2) - الصفات: 24.

(3) - الاسراء: 36.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 322

ان تنهار حياة شاين وتذهب احلامهما ادراج الرياح.

الكل يعلم، ان الانسان رجلا كان أم امرأة مجبول على الاستقلال ويتعطش للحرية، وسلب هذه الحرية وهذا الاستقلال من وجهة النظر الاسلامية، من قبل اي كان، وبحق اي يعتبر ذنباً كبيراً ومعصية قبيحة.

ان الدعوة للعناية بالحامل والمحافظة على امنها لا يعني تجويز اهمالها والاساءة اليها أثناء خروجها من فترة الحمل، لما تتمتع به المرأة من ظرف حساس أثناء تلك الفترة، بل من الواجب والضروري للجميع احترام حرية الناس واستقلالهم في كل ظرف وزمان.

وإذا كان بمقدور ذوي العريس توفير مسكن مستقل لهما منذ البداية، وان يتعاملوا معهما بعيداً عن الافراط في التمي، تعاملًا مقتدرًا بالعفو، تعاملًا اسلامياً وانسانياً، وعلى والدي الطرفين التردد عليهما ودعوتهما الى بيوتهم واعتبار ذلك صلة للرحم، وخلال هذه الزيارات ينبغي تجنب الغيبة والبهتان والتدخل غير المبرر والقليل والقال، واثارة روح التذمر لدى العريس ازاء بعضهما البعض، اذ ان مثل هذه الخلق أكثر سوءاً من تصرفات الحيوانات وشبيهاً بالوحشية.

وإذا لم يكن بوسع ذوي العريس توفير مسكن مستقل لهما، ينبغي توفير جانب من المنزل لهما والسعي لان يعيشا حياة هانئة تطفح بالمحبة فيما بينهما كي لا تتعكر حياتهما.

ان العروس بمثابة الامانة الالهية لدى عائلة الزوج، إذ أنها قد دخلت حياتها الجديدة يحدوها الأمل نافضةً يديها من حياتها السابقة، والصهر بمثابة النعمة الالهية بالنسبة لعائلة العروس عليهم المحافظة عليه كما يحافظون على ابنائهم، وهذا يعتبر عبادة في منظور الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة، وعاقبة العبادة بلوغ رضى الحق تعالى ودخول جنان الخلد.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 323

ربما لمس العريسان الخير والمحبة من قبل والديهما أو المحيطين بهما واقربائهما وقضيا اجمل أيام شبابهما ومطلع وزواجهما إلى جانبهم، وربما كان العكس من ذلك ففي الوقت الذي كان لابد أن يقضي العريسان احلى ايامهما، يكونان قد ذاقا الأمرين من والديهما أو غيرهم من الأهل وتجربا العذاب منهم.

على أية حال، اليوم إذ أصبح للأهل صهر أو عروس عليهم أن يضعوا انفسهم مكانهما ويتصوروا الدور الذي يلعبه الأمن والاستقرار بالنسبة لذين الشابين في المحافظة على الصفاء والمحبة والارتباط بينهما، وأنه يهيء الارضية لان يمضيا حياتهما بكل هناء وينعما بما وهبهما الباري تعالى، وبالعكس من ذلك ما تفعله التدخلات غير المبررة والتقولات والمبالغة في الاماني وسوء الخلق، في تعكير الاجواء واثارة التذمر، قد تؤدي إلى تزلزل الأمن والاستقرار وتثير الضغينة بين الاسرتين، وبالتالي احتراق حياة شابين بريئين.

وعلى ما اذكر فإني قد قرأت هذه الرواية المهمة في اصول الكافي مضمونها:

ان الامام الرضا (عليه السلام) قال ان آدم (عليه السلام) لما بدأ حياته على الأرض واجه اول المضاعب وهي ان الله سبحانه نصحه.

احب لنفسك ما تحب لغيرك، واکره لها ما تكره لغيرك.

نعم، على ذوي الزوج والزوجة والمحيطين بهما واقاربهما ان يحبوا لهما ما يحبون لانفسهم وان يكرهوا لهما ما يكرهوا لانفسهم، وهذه القاعدة إذا ما روعيت من قبل الجميع ازاء بعضهم البعض لن تحصل مشكلة ابداً، وإذا ما حصلت فإنها تحل بيسر وسهولة.

والآن تأملوا هاتين الايتين المتعلقتين بالحمل:

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 324

«وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ» «1».

«وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَ وَضَعَتْهُ كُرْهًا» «2».

أليس من الضروري المحافظة على المرأة الحامل ومراعاة الجوانب الضرورية بالنسبة لها أثناء هذه الفترة الحرجة، التي هي فترة ضعفٍ على ضعفٍ، وفترة المشقة والعذاب، والاضطراب والقلق؟ ومداراتها تقع بالدرجة الاولى ومن وجهة النظر الشرعية والعرفية والأخلاقية على عاتق الزوج، ومن بعده اقرباؤه للمحافظة على سلامة الأم والجنين بدنياً ونفسياً.

ما يجب القيام به أثناء فترة الحمل

لا شك في ان فترة الحمل تعتبر فترة عصبية وأليمة بالنسبة لكل امرأة، ولو لم يكن الدافع الذي جعل الامهات اللواتي تجر عن آلام هذه الفترة وذقن متاعبها، هو محبة الطفل لا نصرفن عن الحمل مرة ثانية لما يحدث من فعاليات عجيبة في مختلف اجهزة جسم المرأة، اذ تزداد افرازات بعض الغدد وتزداد عملية الاحتراق واعادة البناء في الجسم، ألا ان الكثير من النساء الحوامل لا يستطعن الأكل وبالتالي لا يحافظن على صحتهن نتيجة فقدان الشهية أو الاستفراغ المستمر.

وهناك طائفة من النساء يقدمن على انتهاج نظام غذائي خاصٍ وشديدٍ للمحافظة على اناقتهن وللتخلص من السمنة وكذلك للحد من تضخم الجنين داخل الرحم ويحاولن الابتعاد عن الاغذية الضرورية لفترة الحمل لئلا تحصل زيادة في وزنهن أو يكون حجم كبيراً فيترهل جلد البطن وتظهر عليه التجاعيد،

(1) - لقمان: 14.

(2) - الاحقاف: 15.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 325

أو يتسبب في اثاره المتاعب للمرأة الحامل، غافلات عن ان الحامل عليها ان تأخذ بنظر الاعتبار انها لم تعد شخصاً واحداً منذ بداية الحمل بل شخصين وعليها ان تلتزم نظاماً غذائياً يوفر السلامة لها ولجنينها، لئلا تبقى بعد الحمل جلدًا ملتصقاً على العظم، ويخرج طفلها ضعيفاً نحيفاً نتيجة لسوء التغذية.

من أجل ان تمر فترة الحمل بسلام، ولا يزداد وزن المرأة بحيث تصاب بالبدانة والتي تتسبب بمرضها، أو تبلي بالنحافة بحيث تعجز عن تحمل الجنين، عليها تحديد غذائها اليومي وفق برنامج صحيح وتناول ما هو ضروري من الغذاء وبدقة متناهية.

وبسبب ازدياد افرازات الغدد الداخلية تتصاعد عملية الاحتراق والبناء داخل البدن وتسير بوتيرة عالية، لذا فإنّ عملية الامتصاص تزداد بصورة تلقائية، وعليه فلولا الجنين لاصيبت الام بالسمنة، غير ان تصاعد الفعاليات داخل البدن انما تكون بسبب وجود الجنين، وبناءً على ذلك فهو يضطر في حالة خفض تغذية الأم إلى الاستفادة من الاحتياطي المخزون في الكبد ومخ العظام وسائر الاجهزة في بدن الام وبذلك يعوّض ما يحتاجه.

ومن أجل بناء مختلف اجهزته فإنّ الجنين يحتاج إلى عناصر الكالسيوم والحديد، وهنالك اعتقاد سائد بأنّ الجنين يبني جسمه من الحديد والكالسيوم.

ان الحديد ضروري لبناء دم الطفل، وبدون الحديد لن تُبنى مادة الهمو غلوبين التي تمثّل النواة الاولى لكريات الدم، ولا مناص للجنين الاّ التغذي من ما تحتزنه الأم من عنصر الحديد، لذا فإنّها تصاب تدريجياً بفقر الدم، ولا شك في ان الطفل سيصاب بفقر الدم ايضاً بعد الولادة.

ولكي تتمكن الام من توفير عنصر الحديد اللازم لها ولجنينها لابد لها من تناول كميات من الحبوب كاللوبياء والبقلاء والعدس أو سائر الاطعمة التي

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 326

تحتوي على الحديد كالكبد واللحوم والفواكة الغنية بالحديد مثل التفاح والعنب والتمر وما شابه ذلك.

والمواد الغنية بالكالسيوم تعتبر اهم المواد التي يقوم بها بناء جسم الجنين فهو يحتاج خلال فترة مكوثه في رحم الام إلى ما لا يقل عن 40-50 غم يومياً من عنصر الكالسيوم، وعلى الام تناول هذا المقدار من الكالسيوم مع غذائها اليومي كي يُستهلك من أجل بناء عظام الجنين، وإلاّ فإنّ الجنين يحاول الاستفادة عن الكالسيوم الموجود في بدن الام وبذلك تصاب عظامها بالضعف تدريجياً، وتتسوس اسنانها ويتساقط شعرها وتصاب بالضعف والنحول يوماً بعد يوم.

وبالامكان تغذية الام بالمواد الغنية بالكالسيوم من خلال الالبان ومشتقاتها كالحليب والجبن واللبن والقشطة أو الحبوب كالحنطة والشعير أو الفواكه كالكمثرى والتفاح وغيرها، وبذلك تتم اعانة الجنين في تغذيته ونموه.

وهنالك انظمة اخرى اقترها الاسلام الحنيف لتغذية الام اثناء فترة الحمل بغية المحافظة على صحتها وعلى نمو الجنين بدنياً وعقلياً وجمالياً وكذلك تغذية الطفل بعد الولادة، بامكانكم الرجوع إلى الكتب المتعلقة بهذا الجانب لمطالعتها.

ان نوع الملابس ولونها، ونحو الحذاء، واماكن تردد الام، وتردد المحارم وغيرهم إلى البيت اثناء فترة حمل المرأة، وكل ما يتحتم الالتزام به، هي من الامور التي اشار اليها ديننا الحنيف.

فإذا لم تغفل الأم خلال فترة الحمل عن ذكر الله وعن حضور المجالس الدينية، وعن قراءة القرآن والالتزام بالفرائض والحفاظة على استقرارها فذلك مما يؤثر ايجابياً على الجنين روحياً وعقلياً ويؤثر على تكامله الروحي والمعنوي.

ان الحمل بذاته يعتبر من وجهة نظر الاسلام نوعاً من العبادة يترتب عليها

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 327

اجر عظيم.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

بلى إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله «1».

ان بإمكان الزوجين الاتفاق على عدم الانجاب، بيد انهما سيخسران بهذا الفعل تجارة رابحة، كما لا ينبغي الافراط في مسألة الانجاب، بل لابد من الاخذ بنظر الاعتبار قابليتهما وقدرتهما روحياً وبدنياً وصبرهما على تربية الاولاد والعناية بهم وتحمل نفقاتهم، لئلا يتجاوز عدد الاولاد الحد الذي يخفق الوالدان عن اداء واجباتهما تجاههم، فيصبحوا - لا سمح الله - افراداً يجلبون اللعنة لآبائهم.

الولادة

مع ان لحظات الولادة تعتبر من أجمل اللحظات بالنسبة للام والاب أولاً وذويهما فيما بعد، إلا انها تعتبر من اصعب اللحظات التي تمر على المرأة مدى عمرها لما يترتب عليها من تحمل شديد الالم وبالغ المشقة كي تضع وليدها، وتحملها هذا يعد عبادة لا تضاهي ولها من الأجر ما لا يحصى كما ورد في أحاديث المعصومين (عليهم السلام).

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«فإذا وضعت كان لها من الاجر ما لا تدري ما هو لعظمه» «2».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

(1) - البحار: 106 / 101.

(2) - البحار: 106 / 101 - 107.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 328

«النفساء تُبعث من قبرها بغير حسابٍ لأنها ماتت في غمٍّ نفاسها».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ليكن اول ما تأكل النفساء الرطب فإنّ الله عزّوجلّ قال لمريم بنت عمران: وهزّي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، قيل يا رسول الله فإنّ لم يكن إبان الرطب؟

قال: سبع تمرات من تمرات المدينة، فإنّ لم يكن فسبع تمرات من تمرات امصاركم فإنّ الله تبارك وتعالى قال: وعزّي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاماً إلّا كان حليماً وان كانت جاريةً تكون حليمة» «1».

وقد اهتم الاسلام بالغ الاهتمام بقضية الولادة ومكانها والقابلة والحاضرين حين الولادة وذلك عنايةً منه بصحة الام وطفلها بدنياً ونفسياً.

لباس الوليد

لما حملت فاطمة بالحسن فولدت وكان النبي (صلى الله عليه و آله) أمرهم ان يلقّوه في خرفة بيضاء، فلقّوه في صفراء، وقالت فاطمة: يا عليّ سمّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله (صلى الله عليه و آله) وجاء النبي (صلى الله عليه و آله) فاخذه وقبّله وادخل لسانه في فيه، فجعل الحسن (عليه السلام) يمصّه ثم قال لهم رسول الله (صلى الله عليه و آله): ألم اتقدم اليكم ان تلقّوه في خرفة بيضاء، فدعا بخرفة بيضاء فملّقه فيها ورمى الصفراء وأذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وسمّاه الحسن، وهكذا فعل مع الحسين (عليه السلام) «2».

اول طعام الوليد

ينقل المرحوم الكليني في كتابه اصول الكافي: حنّكو أولادكم بماء الفرات

(1) - البحار: 116 / 101.

(2) - الوسائل: 409 / 21.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 329

وبتربة قبر الحسين، فإن لم يكن فبماء السماء «1».

الأذان والاقامة

يقال ان اول جارحة من جوارح المولود تبدأ عملها هي الاذن، والقرآن له مكانة خاصة بالنسبة للاذن، فمنذ اللحظات الاولى للولادة تباشر الاذن بالاستماع ثم يستلم العقل ما يسمع فيحفظه.

والصوت يترك أثره في حواس الطفل، لذا ينبغي ان يخلو البيت من الاصوات الخبيثة والمحزنة، والآ فإن ذلك يؤدي إلى تلوث الطفل عقلياً وروحياً.

وقد دأب رسول الله (صلى الله عليه و آله) وائمة الهدى (عليهم السلام) على الاذان في الاذن اليمنى للوليد والاقامة في اليسرى في اللحظات الاولى للولادة.

يجب ان يدغدغ نداء التوحيد والنبوة والامامة وانغام حي على الفلاح والصلاة لأذان الطفل كي ينطلق بحياته متسلحاً بهذه الحقائق ويختتمها بها، اي يولد مسلماً ويموت مسلماً.

لا تقولوا انه وليد له من العمر يوماً واحداً لا يدرك ولا يرى ولا يشعر بشيء وليست لديه قابلية الاستلام، بل انه يتمتع بكل هذه القوى بشكل فعال وشديد.

سمعت ذات مرة من الاستاذ محيط الطباطبائي (رحمه الله):

ان شابة امريكية في الثالثة والعشرين من العمر اصببت بمرض عقلي، فاجريت لها عملية جراحية، ولما افادت من التخدير اخذت تردد نشيداً دينياً باللغة الفرنسية، مما اثار دهشة أبويها، فسألها الطبيب المعالج عن سبب دهشتها، قالا: ان بنتنا لا تعرف كلمة من اللغة الفرنسية قط، ولم تطالع كتاباً باللغة

(1) - الوسائل: 21 / 407.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 330

الفرنسية ولم تصادق فرنسياً مدى حياتها، وفجأة بادرت امها إلى حلّ ذلك السرّ فقالت: كانت ابنتي في الشهر الثالث من عمرها حينما لجأ بعض الفرنسيين إلى امريكا أثر اندلاع الحرب العالمية الثانية وكان من بينهم سيدة تعمل في التمريض وملتزمة بالمسيحية، فالتحذت لها بيتاً إلى جوارنا، وكانت تتردد في بعض الاحيان إلى دارنا وتحمل الطفلة في حضنها وتناغيها بغية تهدئتها واسكاتها عن البكاء، وكان واضحاً بماذا تناغيها اذ كان يحمل طابعاً دينياً.

لقد طبع ذلك النشيد في دماغها منذ ذلك اليوم، والآن فهي في الثالثة والعشرين من العمر، وبعد أن تفيق من غيبوبتها يجري النشيد من دماغها إلى لسانها فتدده دون ارادةٍ منها.

اذن لا يخلو الاذان والاقامة حين الولادة، والتلقين في اللحظات الاولى من الموت، من أثر، اذان الاذن هي أول عضو يباشر عمله، وآخر عضو يتوقف عن العمل!

عليكم بهذه الآداب بعد الولاة

يروى صاحب مكارم الأخلاق عن المعصوم (عليهم السلام) قوله:

«سبع خصال في الصبي إذا ولد من السنة: أولادهن: يُسمّى، والثانية يخلق رأسه، والثالثة: يتصدّق بوزن شعره ورقاً أو ذهباً ان قدر عليه، والرابعة: يعق عنه، والخامسة: يلطخ رأسه بالزعفران، والسادسة: يطهر بالختان، والسابعة: يطعم الحيران من عقيقته» «1».

(1) - الوسائل: 21 / 411 - 413.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 331

واعتبر الامام الصادق (عليه السلام) العقيقة مستحباً مؤكداً حتى عبر عنها بالواجب، فيقول (عليه السلام):

«العقيقة واجبة» «1».

وسئل الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن ختان الصبي لسبعة أيام قال:

«لسبعة أيام من السنة» «2».

حليب الام

لقد تطرق القرآن الكريم إلى قضية ارضاع الام طفلها لمدة عامين فقال:

«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» «3».

وقال أيضاً:

«وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ» «4».

نعم، ان رزق الطفل في ثدي امه، ولا يجوز للأم حرمان طفلها عما رزقه الله تعالى نتيجة لمصالحها الشخصية أو لما يساورها من أوهام ساذجة، أو للمحافظة على بعض الجوانب البدنية، وتوكل أمره إلى الحليب الجاف أو حليب الحيوانات وغير ذلك، ولتعلم أن اهم عامل يؤدي إلى افراز الثدي للحليب هو ارضاع الطفل، وليس هنالك علاج افضل منه يدفع الثدي لان يدر الحليب.

ويأخذ ادرار الحليب بالانتظام رويداً رويداً مع الرضاعة وتسير الحالة العامة للام نحو التحسن.

(1) - نفس المصدر.

(2) - الوسائل: 439 / 21.

(3) - البقرة: 233.

(4) - لقمان: 14.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 332

ان الحليب المترشح من ثدي الام يحتوي على نسبة 6 ر 1% من البروتينات و 4% من الدهون، و 8 ر 3% من السكريات وبعض الاملاح والفيتامينات، وهذا ما لا يمكن الحصول عليه من أية مادة اخرى على الاطلاق، وصدر الام وحده الذي يستطيع انتاج مثل هذا الغذاء للضيف الذي قد حلّ تواءاً!

ثمّة فارق قليل بين هذا الحليب وبين حليب الحيوانات، أي ان الحيوانات التي تنمو بسرعة كالجواموس تزداد نسبة البروتينات في حليبها، والعكس صحيح.

ان حليب الام يشهد تغييرات مستمرة على مدى اشهر الرضاعة، اذ تشهد نسبة السكريات والدهنيات انخفاضاً على مرور الأيام، أما البروتينات فهي تسير نحو الازدياد.

ان ثلم الطفل لثدي امه بالاضافة إلى أنّه يؤدي إلى اشباعه واستمرار حياته، فهو يؤدي إلى مضاعفة ادرار الحليب وعمل غدد الثدي ايضاً.

خلال الايام الخمسة عشر الاولى من الولادة يكون عدد دفعات الرضاعة سبع مرات يومياً تبدأ من الساعة السادسة صباحاً وتستمر حتى الثانية عشرة مساءً بمعدل رضعة واحدة كل ثلاث ساعات، والطفل خلال هذه الفترة يجب ان يخلد إلى الراحة من الساعة الثانية عشرة مساءً وحتى السادسة صباحاً، وبعدها تُقلل مرات الارضاع إلى ستّ، أي يقطع الحليب عنه في الساعة التاسعة مساءً ويُؤمّ كي يخلد الام إلى الراحة، وليستعد الجهاز الهضمي للطفل إلى عملية هضم جديدة.

وعلى الام التأكد من أن ينام الطفل شعباناً بعد كل مرة ترضعه فيها، وهذا ما يمكن تحقيقه بقليل من الصبر والتحمل، وبعد اشباعه يطرح على جانبه الايمن ثم تتوجه إلى اعمالها اليومية.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 333

ان الطفل الذي ينام مطمئناً بعد كل مرة من الرضاعة ولا يضطرب في نومه، وإذا ما اجري الفحص على وزنه ووجد أنه يزداد من 25 - 30 غرام، فإنه طفل صحيح البنية، وامتلاك مثل هذا الطفل مدعاة للفرح والسرور.

بالرغم من كثرة مشاغل رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلا أنه كان كثير الاهتمام بحليب الاطفال، فقد كان (صلى الله عليه و آله) يأتي بيت فاطمة (عليها السلام) ويضع سبابته في فم الحسين (عليه السلام) ليختبر شهيتته من خلال مصّه للاصبع، كي تبادر امة إلى ارضاعه إذا كانت لديه شهية إلى الحليب، أما إذا كانت شهيتته كاذبة وبكاؤه ليس سبب جوعه فلا ترضعه من أجل اسكاته، لان تراكم الحليب في معدته يورث التخمّة، ويتسبب في بطء عمل المعدة، وبالتالي فإنه يترك أثراً سلبياً في تركيب الطفل، ويتسبب في خموله وضعفه.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ليس للصبي لبنٌ خير من لبن امّه» «1».

لقد صدرت هذه العبارة من رسول الله (صلى الله عليه و آله) منذ قرون مضت، وهي حقيقة ادركها كبار العلماء حديثاً، حيث ورد في الدراسات التي قام بها علماء الغرب - وأكثر العوائل في الغرب تودع اطفالها في دور الحضانة كي يشبوا على الحليب الصناعي -: ليس هنالك حليبٌ وغذاءٌ افضل من حليب الام بالنسبة للطفل.

وإذا شخّ حليب الام - وهذا قليلاً ما يحدث - عليها التفحص في اختيار مرضعةٍ له كما اكدت على ذلك الروايات، لما يتركه الحليب من أثر بالغٍ في جسم الطفل وعقله وروحه.

فقد ورد في الروايات نهْيٌ عن استرضاع سيئة الخلق والمجنونة والحمقاء

(1) - البحار: 323 / 103.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 334

والفحشاء واليهودية والنصرانية والمجوسية وشاربة الخمر اذ ان طبائعهن تنقل إلى الصبي مع اللبن «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأم سلمة وقد قالت له: ذهب الرجال بكل خير فائي شيء للنساء المساكين؟ بلى إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا يدري أحد ما هو لعظمه، فإذا أرضعت كان لها بكل مصّة كعدل عتق محرر من ولد اسماعيل، فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملك كريم جنبها وقال: استأنفي العمل فقد غفر الله لك «2».

على الامهات التزام ماتبه اليه الامام الصادق (عليه السلام) في مسألة الرضاعة، إذ قال (عليه السلام) لامرأة تدعى ام اسحاق:

«لا ترضعيه من ثدي واحدٍ وارضعيه من كليهما، يكون احدهما طعاماً والآخر شراباً».

التسمية

يتصور البعض ان التسمية أمرٌ بسيطٌ وعاديٌّ ولا مانع من ان يطلقوا على الطفل ما شاؤوا من الاسماء، بيد ان الأمر ليس كذلك، فالتسمية أمرٌ بالغ الأهمية ومؤثرٌ في أحاسيس الطفل ومستقبله، من هنا فقد خُصص له بابٌ كاملٌ في الروايات.

قال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«أول ما يَبْرُ الرجل ولده يُسمّيه باسمٍ حسنٍ، فليحسن احدكم إسمَ ولده» «3».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

(1) - البحار: 103 باب الرضاعة، الوسائل: 15 باب الرضاعة.

(2) - الوسائل: 451 / 21.

(3) - الوسائل: 389 / 21.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 335

«استحسنوا اسماءكم فإنكم تُدعون بها يوم القيامة» «1».

يقول الراوي:

دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وهو واقفٌ على راس أبي الحسن موسى (عليه السلام) وهو في المهد يساره طويلاً، فجلست حتى فرغ فقمّت اليه فقال: ادن من مولك فسلمّ، فدنوت منه فسلمت فردّ علي بكلام فصيح ثم قال لي: اذهب فغيّر اسم ابنتك التي سميتها أمّس، فإنّه اسم يغيضه الله، وكانت ولدت لي ابنة فسميتها بالحميراء، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): انته إلى أمره ترشد، فغيّرتُ اسمها «2».

عن الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام):

«ان رسول الله كان يغيّر الاسماء القبيحة في الرجال والبلدان» «3».

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«أصدّق الاسماء ما سُمّي بالعبودية وأفضلها اسماء الأنبياء» «4».

وقال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء» «5».

عليكم استبدال اسماء أولادكم إذا كانت مغايرة لاسماء الأنبياء والأئمة أو امهاتهم، طلباً لمرضاة الله وادخال السرور إلى قلوب الأنبياء والأئمة، لئلا يشكوكم في المحشر بسبب الاسماء التي يحملونها والتي تذكر بقبائح ابطال الجريمة والرديلة.

(1) - نفس المصدر.

(2) - الوسائل: 21 / 389.

(3) - الوسائل: 21 / 390 - 391.

(4) - نفس المصدر.

(5) - الوسائل: 21 / 396.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 337

«من سعادة الرجل أن يكون له ولد يستعين بهم»

الامام السجاد (عليه السلام)، اصول الكافي: 2 / 6

21

الانجاب في الاسلام

منزلة الولد وأهميته

ان الولد سواء كان ذكراً أم أنثى يعتبر من أعظم النعم التي يمنّ بها الله على عباده المؤمنين.

لقد كان ابراهيم (عليه السلام) عقيماً، لهذا كان حزينا فمَنَّ الله سبحانه على عبده اسماعيل واسحاق في شيخوخته، فاصبح نسل الاسحاق من الأنبياء حتى عيسى (عليه السلام) أما اسماعيل فامتد نسله حتى خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه و آله) والأئمة (عليهم السلام) وإلى الآن هنالك الآلاف من الفقهاء والعلماء والحكماء من نسله.

والولد نعمة لا تضاهى، فهو منهل الخير والكرامة وخير الدنيا والآخرة بالنسبة للانسان، وبطبيعة الحال فإن المؤمن بما يتحلّى من إيمان تترى على يديه ذرية مؤمنة صالحة.

وبعد أن وهبه الله تعالى الذرية، انبرى ابراهيم (عليه السلام) حامداً لله حمده، إذ ان انجاب الذرية يستحق الحمد، حمداً يتجسد على اللسان والقلب والجوارح.

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» «1».

يستفاد من الآية الكريمة مدى أهمية الولد في الحياة بحيث ان ابراهيم (عليه السلام) وهو شيخ كبير دعا الله ان يهبه ذريةً، وقد استحجب دعاؤه.

(1) - ابراهيم: 39.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 340

وكذا زكريا فإنه دعا - وهو شيخ كبير - ربه ان يرزقه الولد:

«فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا* يَرْثُنِي وَ يَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» «1».

يروى اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، ان فلاناً رجل سمّاه - قال: اني كنت زاهداً في الولد حتى وقفتُ بعرفة، فإذا إلى جنبي غلام شاب يدعو ويكي ويقول:

يارب، والديّ، فرغبني في الولد حين سمعت ذلك «2».

ان الاموات من الآباء والامهات ينعمون بما يقوم به ولدهم من عبادات وادعية إذا ما كانوا من اهل الايمان.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«خمسَةٌ في قبورهم وثوابهم يجري إلى ديوانهم: مَنْ غرس نخلاً، ومن حفر بئراً، ومن بنى مسجداً، ومن كتب مصحفاً، ومن خَلَّفَ ابناً صالحاً» «3».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«لما لقي يوسف أخاه قال: كيف استطعت ان تتزوج بعدي؟ فقال: ان أبي امرني فقال: ان استطعت ان يكون لك ذرية تثقل الارض بالتسييح فافعل» «4».

وقال الامام علي بن الحسين (عليه السلام):

«من سعادة المرء المسلم ان يكون متجرة في بلاده، ويكون خلطاؤه صالحين، ويكون له ولد يستعين به» «5».

فما اعظم نعمة الولد، اذ جاء في كتاب الله:

«وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَ جَعَلَ لَكُم مِّنْ اَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً

(1) - مریم: 5- 6.

(2) - الوسائل: 21 / 355.

(3) - البحار: 104 / 97.

(4) - الوسائل: 21 / 356.

(5) - البحار: 103 / 7.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 341

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ «1».

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ان أولاد المسلمين موسومة عندالله: شافع ومشفع، فإذا بلغوا اثني عشر سنة كتبت لهم الحسنات، فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات» «2».

وعن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«سعد امرؤ لم يميت حتى يرى خلفاً من نفسه» «3».

ان نعمة الولد من العظمة ما عبّر عنه أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«في المرض يصيب الصبيّ انه كفارة لوالديه» «4».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله):

«الولد الصالح ربحانة من الله قسمها بين عباده» «5».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة» «6».

وجاء في رواية:

«كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله (صلى الله عليه و آله) من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: «

أَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» «7».

يروي ان رجلاً يدعى الحاج علي رضا كان قد حفر بئراً في طهران استفاد

(1) - النحل: 72.

(2) - الوسائل: 21 / 355.

(3) - الوسائل: 21 / 357 - 358.

(4) - نفس المصدر.

(5) - نفس المصدر.

(6) - نفس المصدر.

(7) - البحار: 43 / 284 ح 50.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 342

منها اهالي طهران أكثر من مائة عام، قال أحد كبار العلماء: ان شخصاً رآه في المنام وسط حديقة كبيرة إلى جانب نهرٍ عظيم، فقال له: ان هذه الروضة من رياض الجنة وهذا النهر من انهارها وقد وهبه الله لي جزاءً لذلك البئر، ولكن ليت لي ولدٌ يردد ولو مرة واحدة «لا اله الا الله» ثم يموت كي تشملني نعمة اقراره بالتوحيد!.

حبُّ الاولاد

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«احبوا الصبيان وارحموهم» «1».

ان البعض من الناس لا يبدون قليلاً من المحبة ازاء اطفالهم، أولاً يظهرونها إذا توفرت لديهم، ويتعاملون معهم بعنفٍ وحدّةٍ وشدّةٍ، فليعلم هؤلاء انهم بهذا السلوك الذي يفتقد الجنبه الانسانية والاسلامية انما يجرمون انفسهم من رحمة الله.

عن الصادق (عليه السلام) انه قال:

«ان الله ليرحم العبد لشدّة حُبّه لولده» «2».

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام):

«... ان الله عزوجل ليس بغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان» «3».

ان غضب الله ما هو الا نتيجة لظلم الرجال وسوء اخلاقهم مع عوائلهم.

(1) - الوسائل: 21 / 483.

(2) - نفس المصدر.

(3) - الوسائل: 21 / 484.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 343

قال الصادق (عليه السلام):

«قال موسى (عليه السلام): يا ربّ ايّ الاعمال افضل عندك؟ قال: حبّ الاطفال» «1».

تقبيل الاولاد

يروى الفتال النيشابوري - وهو من أكابر علماء الشيعة - في كتابه روضة الواعظين عن المعصوم (عليهم السلام):

«أكثرُوا من قُبلة أولادكم فإنَّ لكم بكل قبلةٍ درجةً في الجنَّة سيرة خمسمائة عام» «2».

جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال:

«ما قبلت صبيا لي قط فلما ولى قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) هذا رجل عندي أنه من أهل النار» «3».

وهنا لا فرق بين الصبي والصبية، فكلاهما نعمة الهية وأولاد المرء، والذين تسود وجوههم إذا ما رزقوا بنتاً، فهم كأعراب الجاهلية من حيث الروح، وكيانهم قد أشبع بالحماقة.

وسوف أشير إلى مسألة انجاب البنات في البحث الآتي ان شاء الله، كي تتضح أهميتها ومنزلتها في الاسلام.

ثمّة وصايا أخرى وردت عن المعصومين (عليهم السلام) بشأن الاولاد يجدر الالتزام بها من الناحية الأخلاقية، وهي:

«يفرّق بين الصبيان والنساء في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين» «4».

ولرسول الله (صلى الله عليه و آله) وصية مهمة للغاية في هذا المجال جدية بالاهتمام:

(1) - البحار: 97 / 104.

(2) - الوسائل: 485 / 21.

(3) - الوسائل: 485 / 21.

(4) - الوسائل: 361 / 21.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 344

«الصبي والصبي، والصبي والصبية، والصبية، يفرّق بينهم في المضاجع لعشر سنين» «1».

نعم، فلا داعي في ان ينام صبيان، أو صبيٍّ وصبيّة، أو صبيّتين في مضجعٍ واحدٍ، والاسلام الحنيف يرفض ذلك.

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام):

«دع ابنك يلعب سبع سنين، والزمه نفسك سبع سنين، فإنّ افلح وآلّا فإنّه لا خير فيه» «2».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله):

«علّموا أولادكم السباحة والرماية» «3».

وعنه (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم» «4».

يقول مالك بن دينار، كنت شخصاً لا ابالياً، ولم يكن عندي خبراً عن الاسلام، تزوّجت ثلاث مرّات، وطلّقتهن لعقمهنّ، ورزقت ولداً من امرأتي التالية، ولما بلغ السادسة من عمره أرسلته لتعلّم القراءة والكتابة، وحين رجوعه عصرّاً رأيته مريضاً، وعلمت أنّ أوّل شيء علّمه المعلّم هو هذه الآية:

«يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا».

لم يبرأ ولدي من مرضه، وقضى نحبّه، فلزمت قبره، وفي ليلة رأيت في عالم الرؤية كأنيّ وحيداً فريداً في الصحراء وقد هجم عليّ شيء غريب عجيب، فلذت

(1) - الوسائل: 21 / 460.

(2) - الوسائل: 21 / 473.

(3) - الكافي: 6 / 47.

(4) - الوسائل: 21 / 476.

بالفرار حتى وصلت إلى حائط وأردت أن أعبر الحائط لأنجو من هذا المخوف، وفجأة رأيت أطفالاً يلعبون فسألتهم عن ابني، فنادوه، فقلت له: أين أنت؟ قال:

بعد وفاي أخذوني لدرس القرآن كي يتعلمه استحقّ الدخول إلى الجنة وأنال رحمة الله تعالى.

فقلت له: وما هذا المخوف الذي أتبعني؟

قال: هذا عملك وأخلاقك السيئة.

فانتبهت مرعوباً، وتبت إلى الله تعالى وأنبت إليه، وتركت جميع المعاصي، ووقفت بذلك لأن أسلك طريق الحق.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 347

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «نعم الولد البنات، ملطّفات، مجهزة، مؤنسات

مباركات، مفلّيات»

فروع الكافي 5/6

22

عظمة البنت في الاسلام

مشيئة الله في الأولاد

ان الله عزوجل فعّال لما يشاء، وهو مالك السموات والارض، ومن صفاته العليم والقدير والحكيم العدل والرحمان والرحيم، ومشيتته وقضاؤه بحق عبده تمثّل اللطف بعينه والمحبة المحضة ومثال الود والرحمة وتجنّساً للكرم وحسن الاختيار.

فكل ما يشاؤه لعبده انما يصب في مصلحته للدنيا والاخرة، وما على العبد الا التسليم ازاء حكمة الله وعدله ورحمته ومشيتته وذلك هو ارفع عبادته، وهو من خصال الأنبياء والأولياء، وعلامة على عشق العاشقين له ومعرفة العارفين به جلّت قدرته.

فمن الناس من يجعله عقيماً، ومنهم من يهبه بنتاً، ومنهم من يرزقه ابناً، وقد يجعل في بطن امرأة توأماً أحدهما ذكرٌ والآخر أنثى، كل ذلك يمثل الرحمة والطف بعينه وذروة حبه جل شأنه بعباده.

«لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ» «1».

على ضوء هذه الآية الكريمة، البنت تمثل عنوان السلطان والملك، وتجسيدا لارادته تعالى في الخلق، ونور علمه وقدرته ازاء الانسان، وقد اقتضى علمه

(1) - الشورى: 49 - 50.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 350

وقدرته ومشيتته وحكمته وسلطانه في ان يهب للابوين بنتاً.

ان التحهم ازاء البنات من الاولاد بمثابة التحهم ازاء الحق تعالى ومالكه وخلقه واختياره وعلمه وقدرته، وهو ذنب لا يغتفر، وخصلة تنم عن حماقة، وفعل يجانب المنطق والحكمة.

ان الطفل إذا مات - كما يعبر الامام الصادق (عليه السلام) - يسلم إلى ابراهيم وسارة في عالم البرزخ لتربيته ويصبح ذخيـرة لابويه في الآخرة.

ويروي الشهيد في مسكن الفؤاد عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قوله: من اصيب بمصيبة، جزع عليها أو لم يجزع، صبر عليها أو لم يصبر، كان ثوابه من الله الجنة. ولد يقدمه الرجل أفضل من سبعين ولداً، ييقون بعده، يدركون القائم (عليه السلام).

وحينما عاد الحسين (عليه السلام) بطفله الشهيد ذي الستة أشهر إلى خيامه ووضع في احضان اخته زينب (عليهما السلام) ثم جلس على الارض سأل الله سبحانه ان يجعله ذخرأ له في الآخرة.

فإذا كان للطفل الميت هذه الاهمية والاعتبار بالنسبة للانسان، فما مدى أهمية الطفل الذي يبقى ويتربى على الايمان والادب والوقار نتيجة الجهود التي يبذلها أبواه؟ ولا فرق بين الذكر والانثى، فالمراد هو أولاد المرء.

وكما يقول تعالى في الآية 28 من سورة الانفال: «أَمْأَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»

فإنَّ الانسان إذا ما خرج ظافراً من هذه الفتنة والامتحان، أي يفرح به ويرضى، ويبدل الجهود في تعليمه وتربيته تربية صالحة، ويهيء مستلزمات زواجه بحدود قدرته، ويبدل له الاحترام، ويؤدي حقّه ويحلّه، فإنّه يكون قد نال عظيم الاجر وجزيل الثواب.

أولم يصرّح القرآن الكريم:

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 351

«الْمَالُ وَ النَّبُوتُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَ خَيْرٌ أَمْلاً» «1».

ان من يجهد نفسه في تربية ولده ويطبّعه على معرفة الحق تعالى وانبيائه وكتابه والأئمة (عليهم السلام)، فإنّ ذلك هو الباقيات الصالحات التي لا مثيل لها بيت جميع الاعمال، وهو ما عبّر عنه: خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً.

أولم تكن مريم العذراء وآسيا وفاطمة الزهراء (عليها السلام) زينب الكبرى (عليها السلام) بمثابة الباقيات الصالحات بالنسبة لا بويهن؟

لماذا ينزعج مَنْ يرزق بنتاً؟ فهل يتحول الجنين في رحم الام الى بنتٍ بناءً على ارادة شخصٍ آخر غير الله سبحانه؟ انّ تحوّل الجنين في رحم امه الى بنتٍ يمثل رحمة الله ورأفته بعينها ورعايته ولطفه ولا بد من التسليم ازاء مشيئته ولطفه، وتقديم الحمد والثناء له عزّ شأنه على نعمة البنت مدى العمر.

الحري بالجميع تأمل هذه الحقيقة وهي:

ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) رُزق عدداً من الابناء وهم القاسم والطيب والطاهر وابراهيم، ومع ان أحداً منهم لم يبق على قيد الحياة، إلا أن الله سبحانه لم يبشره وبهتته لما رُزق ابناً، كما لم ترد آية في القرآن الكريم بهذا الصدد، إلا أنّه وبمجرد انعقاد نطفة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في رحم خديجة نزلت سورة الكوثر وبشر بالخير الكثير والدائم.

روايات مهمة حول البنات

يستحب للمرء إذا عُدِمَ البنت أن يرفع يديه بالدعاء ويبتهل إلى الباري تعالى

(1) - الكهف: 46.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 352

بكل اخلاص ان يرزقه بنتاً.

وقد دعا ابراهيم الخليل (عليه السلام) - وهو أبو الأنبياء - ان يرزقه الله بنتاً رغم وجود ابنه اسماعيل واسحاق، وقد نقل الصادق (عليه السلام) دعاء ابراهيم بهذا النحو:

ان ابراهيم سأل ربه يرزقه ابنةً تبكيه وتندبه بعد موته» «1».

ان الغاية التي ذكرت في هذه الرواية ليست ذا اهمية، بل المهم هو اصل المطلب، وهو ان نبياً من اولي العزم عدم البنت، سأل الله ان يبلغه هذه النعمة.

على المرء ان يفتخر اذا اصبحت له بنت، لان رسول الله كان اباً لبنت، وهذا مواساة لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ومن الفخر ان يرزق المرء بنتاً، قال الصادق (عليه السلام):

«كان رسول الله أبا بناتٍ» «2».

ومن لم تكن له بنت وكانت له اختٌ فقد فتح امامه بابٌ من أبواب الرحمة الالهية ايضاً، يقول جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

«من عال ثلاث بنات أو ثلاث اخوات وجبت له الجنة» «3».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«نعم الولد البنات، ملطفات، مجهزات، مؤنسات، مباركات، مفليات» «4».

وقال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام):

«من عال ابنتين أو اختين أو عمّتين أو خاليتين حجبتاه من النار» «5».

أُتي رجلٌ وهو عند النبي (صلى الله عليه و آله) فأخبر بمولودٍ أصابه فتغيّر وجه الرجل، فقال له النبي (صلى الله عليه و آله) مالك؟ فقال: خير، فقال: قل، قال: خرجتُ والمرأة تمخض

(1) - الوسائل: 361 / 21، طبعة مؤسسة آل البيت.

(2) - نفس المصدر.

(3) - الوسائل: 362 / 21.

(4) - الوسائل: 362 / 21.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 353

فاخبرت انها ولدت جارية، فقال النبي (صلى الله عليه و آله): الارض تُقْلُّها والسماء تُظَلِّلُها والله يرزقها وهي ربحانة تشمّها، ثم اقبل على أصحابه فقال: من كانت له ابنة فهو مفدوح، ومن كانت له ابنتان فواغوثاه بالله، ومن كانت له ثلاث وضع عنه الجهاد وكلّ مكروه، ومن كانت له اربع فيا عبادالله اعينوه، يا عبادالله اقرضوه، يا عبادالله ارحموه» «1».

فما أعزّ البنت أذ يدعو رسول الله (صلى الله عليه و آله) اصحابه الى اغاثة من له بنات واعتبر اعانة ذوي البنات تكليفاً الهياً.

ولد لرجلٍ جارية فدخل على أبي عبدالله (عليه السلام) فرآه متسخطاً فقال له: أرايت لو ان الله اوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك ما كنت تقول؟ قال: كنت اقول: يا رب تختار لي، قال: فإنّ الله عزوجل قد اختار لك، ثم قال ان الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى (عليه السلام) وهو قول الله عزوجل «فَأَرْزُقْنَا أَنْ يُبْدِيَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَ أَقْرَبَ رُحْمًا» ابدلهما الله عزوجل به جارية ولدت سبعين نبياً «2».

قال الصادق (عليه السلام):

«البنات حسنات والبنون نعمة، والحسنات يُثاب عليها والنعمة يُسأل عنها» «3».

وقد اوحى الله عزوجل إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليلة اسري به:

«... قل لأباء البنات: لا تضيقن صدوركم على بناتكم فإني كما خلقتهن أرزقهن» «4».

وقال الصادق (عليه السلام) لرجل:

(1) - الوسائل: 21 / 365.

(2) - الوسائل: 21 / 364.

(3) - الوسائل: 21 - 365 - 366.

(4) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 354

«انما انك ان تمنيت موتهنّ ومتن لم تجر يوم القيامة ولقيت ربك حين تلقاه وانت عاصي» «1».

وعن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«ان الله تبارك وتعالى على الاناث ارقّ منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرجةً على امرأةٍ بينه وبينها حرمةٌ الا فرّحه الله يوم القيامة» «2».

وقال النبي (صلى الله عليه و آله) حول اهمية البنات:

«خيرُ أولادكم البنات» «3».

وعنه (صلى الله عليه و آله) انه قال:

«من عال ثلاث بنات أو ثلاث اخوات وجبت له الجنة، قيل يا رسول الله، واثنين، قال:

واثنین، قيل: وواحدة؟: وواحدة» «4».

وعنه (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«من دخل السوق فاشتري تحفةً فحملها إلى عياله كان كحامل صدقةٍ إلى قومٍ محاييج وليبدأوا ابالات الذكور فإنَّ مَنْ فرَّح ابنته فكأنَّما اعتق رقيةً من ولدِ اسماعيل» «5».

أنَّه حقاً حديثٌ عجيبٌ، فلم يقف أيُّ دينٍ على مرِّ التاريخ إلى جانب البنت بهذا الشكل، بل على العكس من ذلك فلم يكن حال النساء مرضياً عند سائر الاقوام والشعوب، انما جهود رسول الله (صلى الله عليه و آله) التي أحدثت هذا التغيير المعنوي الجبار في حياة البنات والنساء، والزوجة والبنت.

(1) - نفس المصدر.

(2) - الوسائل: 20 / 367.

(3) - البحار: 104 / 91.

(4) - الوسائل: 21 / 368.

(5) - البحار: 104 / 69.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 355

والأعجب قول الرسول (صلى الله عليه و آله):

«لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإنَّ بكاءهم اربعة اشهرٍ شهادة ان لا اله الا الله، واربعة اشهر الصلاة على النبي وآله، واربعة اشهر الدعاء لوالديه» «1».

بناءً على ذلك، لا تضربوا من يشهد بوحداية الله تبارك وتعالى، يصلي على النبي وآله ويدعو لآبويه، لا لآله لا يستحق الضرب، بل من الواجب مداراته وعدم التواني عن ابداء المحبة له لما في بكائه من معنى.

تأملوا هذه الرواية المهمة:

عن السكوني قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا مغمومٌ مكروب فقال لي (عليهم السلام) يا سكوني ما غمّك؟ فقلتُ: وُلدت لي ابنة، فقال: يا سكوني! على الأرض ثقلها وعلى الله رزقها تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسرى والله عني، فقال: ما سميتها؟ قلت: فاطمة، قال: آه آه ثم وضع يده على جبهته إلى أن قال: ثم قال لي: أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها» **«2»**.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«من كان له اثني فلم ينبذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ادخله الله الجنة».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«من كانت له ابنة واحدة كانت خيراً له من ألف حجة وألف غزوة وألف بدنة وألف ضيافة».

(1) - البحار: 311 / 60.

(2) - الكافي: 48 / 6، مكارم الأخلاق: 220، الوسائل: 482 / 21.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 357

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «الجنة تحت أقدام الامهات»

ميزان الحكمة: 712 / 10

ان كلمة الام التي وردت كثيراً في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، تعني الاصل والمصدر، ونظراً إلى ان الطفل يمشي في رحم امه ستة اشهر كحدٍ ادنى وتسعة اشهر كحدٍ اعلى ويمتص بكل قواه البدنية والنفسية من ذخائر بدنها ويتغذى من اعصابها وجسمها وروحها، فقد عبّر عنها بالام.

وفي الحقيقة فإنّ الام تمثل اصل الطفل ومصدره، والطفل يمثل تجسيدا لحقائق الام البدنية والروحية وثمره من تلك الشجرة المباركة.

ان فترة مكوث النطفة في صلب الاب قصيرة جداً، أما في رحم الام فإنّها تمكث ما يقرب من مئتين وسبعين يوماً، وعليه فإنّ جميع تأثراتها واستلهاماها أو أغلبها انما تأتي من الام، ومن هنا فإنّ الاهمية التي اولها الاسلام للام لم يولها لغيرها ابداً.

ان افرازات كيان الام بدنياً وروحياً تتجلى في وجود الطفل، وهو يجبل على ما جبلت عليه الام في أغلب اطواره ومسيرة حياته عن وعي منه أم عن جهل.

على البنت وقبل ان تدخل عش الزوجية أن تعلم أو تُعلّم بانها ستكون اماً في المستقبل وعليها منذ الآن الاهتمام بغذائها ومعاشرتها وتصرفها وتربيتها وإيمانها كي تكون مصدراً لجيل طاهرٍ صالحٍ ملتزم بالآداب.

لقد عثرت في كتاب حول المرأة على هذه العبارة اللطيفة المنقولة عن امبراطور فرنسا نابليون بونابرت، فقد سئل عن أهم البلدان واعظمها بالنسبة له،

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 360

فاجاب البلد الذي يغلب فيه عدد النساء!

يجب ان تترسخ لدى المرأة حقيقة الامومة، والا فلن يظهر إلى الوجود جيلٌ صالح.

على الام - في نظر الثقافة الاسلامية - ان تحافظ على امومتها في سبيل تربية ابنائها.

على الام ان تبرز امومتها لاولادها كي لا يتعرضوا للعاهات من الناحية الفكرية والعاطفية.

إذا ما ضيّعت الام مميزات امومتها والقت بنفسها في براثن الحرية بطرازها الغربي واخذت تجالس وتضاحك هذا وذاك وتحارثهم وتماشيهم، وبالمقابل تحمل نفسها وزوجها وأولادها من اجل رغباتٍ مادية وجسمية، فإنّها لا تعدُّ أمّاً، بل وحشاً كاسراً ينهش روح الاسرة، وذنباً جارحاً سيلقي بشرف الاسرة وكرامتها وطهارتها في مهب الريح.

على الام ان تتحلّى بالطهارة والعقل السليم والأخلاق الانسانية بغية تخريج ولد يتمتع بالوقار والادب والطهارة والبأس والعلم.

في احدى مقاطع زيارة وارث نخطب سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام):

اشهد انك كنت نوراً في الاصلاب الشاخبة والارحام المطهرة.

وفي نفس الزيارة ننسبه إلى خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء (عليها السلام): السلام عليك يا بن فاطمة الزهراء، السلام عليك يا بن خديجة الكبرى.

ان ما يوصي به الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) الشباب الذين يرومون الزواج في اختيار ذوات الاصول والدين، انما يأتي للحدّ من الفساد.

فالتّي تفتقد للاتصال الاسرية، اللّقيمة الفاسدة، الفاقدة للادب والتربية، ويعوزها الوقار والالتزام، وأساء من ذلك من تلاعبت بها الشهوات والسافرة

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 361

المتبرجة، والتي تقضي كل ساعةٍ وطراً مع صديقٍ من الشباب، لا تمتلك مؤهلات الزواج، اذ انها قد سحقت اقدامها الغاية التي خلق الله تعالى من اجلها الخلق، وضيّعت مقومات الانوثة والامومة، ولا اهلية لها في انجاب الولد الصالح، وهي ممّن قال الرسول (صلى الله عليه و آله) بحقّه: لو أنّ ولدن عقارب وحيّات في آخر الزمان أفضل من أن يلدن طفلاً، لأنّهنّ ومن أجل تلبية شهواتهنّ قد أحلّلن بمصنع الفكر والبدن والنفس.

ومثل هذا المصنع المختلّ يعجز من أن يصنع إنساناً سالماً.

استمعوا إلى هذا المعنى على لسان نبي الله نوح (عليه السلام):

«وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا* إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» «1».

فلو نوقر في قوم نوح الامهات، وكثرت المؤمنات الشاكرات الطاهرات، لم يقل ان هؤلاء لا يلدوا الا فاجراً كفّاراً.

نعم، إذا كانت البنت والمرأة خضراء الدمن كما عبّر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فليس من الممكن التفاوض بأن تُعطي ثماراً طيبةً وتهبّ عطاءً الهياً وانسانياً.

على المرأة ان لا تجلس ما شاءت من المجالس حتى وان كانت تضم الارحام، لان بعض هذه المجالس تسودها المعاصي وتترك بصماتها على روحية الام وربما تسلب منها حقيقة الامومة.

على المرأة ان لا تتناول ما تمليه رغبتها وميوها من الاطعمة فرما لم يُعدّ الطعام من حلالٍ، وبذلك تترتب عليه اضرار سيئة بالنسبة لها ولولدها.

على المرأة مراعاة جوانب الطهارة والنجاسة، والمواظبة على الفرائض

(1) - نوح: 26 - 27.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 362

والسنن والجوانب الأخلاقية كي يتحول كيانها إلى مصدر نور ومدعاة لاشراقته.

وقد وصلنا عن المعصومين (عليهم السلام) انهم اتخذوا من الزهراء (عليها السلام) اسوةً لهم، وتمثلوا معطيائها الفكرية والروحية والأخلاقية والایمانية.

ان فاطمة (عليها السلام) تمثل الام النموذجية والمثل الاعلى للام على امتداد الوجود، فعلى نساءنا وبناتنا الاقتداء بها في حياتهن، اذ ان الام تمثل أصل الولد ومصدره.

ان الامهات اللواتي يتوسمن الأخلاق الاسلامية ويتمتعن بالوقار والرصانة والأدب، ويمثلن مصدر الحنان والمحبة والعاطفة، ومادام الاولاد في أرحامهن يتغذون من هذه الخصال، وبعد الولادة تحلق عيونهم في عيون امهاتهم، وتقتصر اسماعهم على ما ينطقن به، فإنهم بلا شك يصاغون على ضوء ما عليه الام.

لما اخذ الحسين (عليه السلام) براس الحر بن يزيد الرياحي ووضعه في حجره، نسب حرّيته و اعتاقه من سلطان بني امية إلى امه قائلاً:

انت حرُّ كما سَمَّتك امك حرّاً.

ولما اصّر عمر بن سعد على ان يبيع الحسين (عليه السلام) يزيداً، عزا (عليه السلام) امتناعه واصحابه عن البيعة إلى الامهات وحجورهن الطاهرة قائلاً:

... وحجور طابت وطهرت.

الشمرة الطيبة

كان عبدالله المبارك حكيماً بارعاً وعالمًا عارفاً، وقد عمل في أيام شبابه لدى أحد اصحاب البساتين.

وفي موسم الرمان استضاف صاحب البستان عدداً من الضيوف فنأدى على عبدالله أن يأتي بالرمان لهم، فجاءهم بسلة من وإذا بالرمان حامض الطعم، فنأدى عليه صاحب البستان أن يأتي برمانٍ حلوٍ، فجاءهم بالرمان فإذا به حامض أيضاً،

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 363

فقال صاحب البستان: ألم اقل لك هات من الرمان الحلو؟ ألم تعرف بعد ستة اشهر من العمل في البستان اين هي اشجار الرمان الحلو؟ فأجابه عبدالله: كلا لا اعلم، قال صاحب البستان: ولم ذاك؟ أجابه: لما استأجرتني كان العقد بيننا ان اعمل بستانياً لا أكلاً للبستان، فلا علم لي في ثمار هذا البستان ايّها حلوّ وايّها حامض!!

نعم، فالنطفة الطاهرة والرحم الطاهر والام الطاهرة والتربية الطاهرة تصنع حارساً للمال وليس أكلاً لاموال الناس، تلدُ بستانياً لا أكلاً للبستان.

امي سبب شقائي

قيل ان شاباً حُكِمَ بالاعدام فطلب منه ان يكتب وصيته، فقال: ليست عندي وصية لكني ارجب ان أرى أُمي في هذه اللحظات الاخيرة من حياتي.

فجاء له بامه، ولما ودع امه عضَّ على لسانها وشفتيها بحيث اغمي عليها من شدة الالم، فهجموا عليه صارخين به: ما الذي تفعله ايها الظالم؟

اجاب: انما الظالم اُمي هذه، فهي التي نصبت اعداء مشنقي، ففي أحد أيام صباي سرقْتُ بيضةً من جيراننا فشجعتني حتى اصبحت بعد ذلك سارقاً لبعير، ثم تحولتُ إلى قاتل!

نعم، الجنة تحت اقدام الام، وهي إلى حدٍّ ما تعتبر الدليل والوسيط نحو عذاب جهنم ايضاً.

بعد وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قال علي (عليه السلام) لآخيه عقیل - وكان متضلعاً في أنساب العرب -:

«انظر امرأةً قد ولدتها الفحول من العرب».

وبعد مدة قال له عقیل: تزوّج فاطمة الكلابية، ليس في العرب اشجع من

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 364

آبائها.

فتزوجها (عليه السلام) فكانت نتيجة ذلك الزواج اربعة اشبالٍ شجعان اشداء مؤمنين هم قمر بني هاشم واخوته.

وبعد شهادة مالك الاشر (رحمه الله) صعد أمير المؤمنين (عليه السلام) المنبر في مسجد الكوفة وقال:

«الا ان مالك بن الحارث قد قضى نحبه وأوفى عهده ولقى ربه فرحم الله مالكا لو كان جبلاً لكان فنداً ولو كان حجراً لكان صلباً لله مالكا؟ وما مالك؟ وهل قامت النساء عن مثل مالك، وهل موجود كمالك، كان لي كما كنت لرسول الله».

قد يخبر نور العبادة

جاء شابٌ إلى امه وقال لها: اماه! في بعض الاحيان تنكمش رغبتى نحو العبادة واشعر بأن حاجزاً من الظلام يطنى على قلبي، وان لستُ ممن يأكل الحرام ولا ممن يجالس الاشرار، كما انني ابتعدُ عن العوامل التي تؤدي إلى التكاسل عن العبادة، وعند البحث والتمعن في هذا الأمر توصلت إلى ان أسألك فعل السبب في هذا الظلام والتكاسل قد سرى منك اليّ، واريد منك قول الحقيقة كي أجد حلاً لهذا السرّ.

قالت الام: عندما كنت حاملاً بك كان أبوك في سفرٍ وقد مضى وقت على موسم نزول الشمس، ولم اكن اخرج من الدار كما لم تكن لديّ امكانية شراء المشمس، وقد صعدت إلى سطح الداركي ابسط فراش النوم فوقعت عيناى على كمية كبيرة كان جيراننا قد نشره لتجفيفه فتناولت قليلاً منها كي أتذوقها، الا انني ندمت على ذلك ولم تكن لديّ الجرأة على التحلل منهم، فقال الشاب: لقد وقعتُ على العلة يا اماه واني استأذنك بالذهاب إلى جارناكي احل الأمر معه ليتسنى لي بعد الآن ان أعبد ربّي بعيداً عن وساوس الشيطان!

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 365

زواج نوراني

سمعتُ في أيام شبابي من أحد العلماء في مسجد مدينتنا، ان والد المرجع الكبير المقدس الاردبيلي لما توجه لخطبة ابنة أحد مدينته، قال له والد البنت: ان ابنتي عمياء صمّاء عضباء عرجاء، فإن شئت زوجتك اياها، قال الشاب: كيف اعيش معها؟ فقال والد البنت: يا بني ما اقصده من العمى هو انها لم ترَ محرماً قط، ومن الصمم انها لم تسمع ما حرّم الله، ومن العضب انها لم تمدّ يدها إلى محرّم قط، ومن العرج انها لم تخطُ نحو مجلسٍ محرّم أبداً، فتزوجها وكانت ثمة ذلك الزواج هذا الرجل العظيم.

والدة الشيخ الشوشتری

لقد بلغ الشيخ جعفر الشوشتری مراتب ساميةً من العلم والعمل، فكان عجيب النفوذ إلى قلوب الناس عند موعظته.

سُئلت امه، هل أنھا مسرورةً بهذا الابن؟ قالت: لا، قيل: لماذا؟ قالت: انني لم ارضعه ولم اضمّه إلى صدري الا وانا على وضوء، فكنْتُ اتأمل ان يكون شبيه جعفر الصادق (عليه السلام) الا انه اصبح جعفر الشوشتری!!

مثال الطهارة الباطنية والظاهرية

ذات مرّة قضيت عشر ليالي في مدينة بروجرد لغرض التبليغ، وقد وددتُ ان اطلع عن طريق شيوخ المدينة على أحوال المرجع الكبير آية الله العظمى السيد البروجردي.

فحدّثني شيخٌ في التسعين من عمره ان جميع مساعي والدته السيد كانت

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 366

تنصب على ان ترضعه وهي على وضوء وطهارة.

و ذات ليلة كان البرد فيها قارصاً كانت بحاجة إلى ان تغتسل ولم يكن بوسعها الخروج من المنزل فتوكلت على الله واغتسلت بالماء البارد ثم ارضعت طفلها.

ان الالتزام المعنوي للام والجهود المخلصة للاب خرّجاً للاسلام رجلاً احدث تغييرات جبّارة في الحوزات العلمية الشيعية على الاصعدة العلمية والعملية والأخلاقية.

يا ايها البنات عليكن بالاستعداد إلى مرحلة الامومة متجهزات بالضوابط الالهية والانسانية، وانتن ايتهن الامهات! عليكن المحافظة على حقيقة الامومة لديكن، فالله وحده يعلم مدى الربح الذي ينالكن في الدنيا والآخرة إثر ولادة وتربية مثل هؤلاء الابناء.

من الذين يشفعون يوم القيامة، المؤمن والعالم والشهيد ولم يتحدد عدد من يحق لهم ان يشفعوا له، اذ لهم الحق ان يشفعوا لكل من يستحق الشفاعة، ولا شك في أن الام هي اول من يشفع له هؤلاء الثلاثة.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ثلاثة يشفعون إلى الله عزوجل فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء» «1».

وقال الباقر (عليه السلام):

«ان المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وانّ المؤمن ليشفع حتى لخدامه...».

فيا ايها البنات والامهات! لم لا تكوننّ ممن ينالون شفاعة ابنائهم العلماء والشهداء والمؤمنين يوم القيامة؟ أليس من الغبن أن تُضيّعن حقيقة الامومة من أجل أيام معدودات في هذه الدنيا الدنيّة، وتعملن على تدمير البناء الروحي لاولادكنّ الذين يعتبرون وديعةً اهلية عندكنّ وتجعلنهم العوبةً بيد شياطين الغرب والشرق؟!.

(1) - البحار: 34 / 8.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 367

«يا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوْءً»

مريم / 28

24

دور الأب في تكامل الولد

اهتموا باربع حقائق

يستفاد من الآيات «33- 37» من سورة آل عمران، والآية «28» من سورة مريم، ان تكامل الانسان ورقية يرتبط باربع اطراف وهي: الاب المؤمن، والام المؤمنة، والمعلم النزيه الحريص، وأكل الحلال.

لما رأى اليهود عيسى (عليه السلام) في حضن مريم - وكانت بنتاً لم تتزوج - اصابتهم الدهشة فقالوا لها:

«يا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوْءً وَ مَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا» «1».

لقد جهلوا حقيقة الأمر بأن المسيح كلمة الله القاها إلى مريم الطاهرة، فكانوا يتصورون ان العملية وقعت خلافاً للشرع، فمن خلال معرفتهم بأبي مريم بأنه رجل مؤمن وقور ملتزم بالآداب الالهية، رجل عظيم كرم، وبامها بأنها امرأة مؤمنة عفيفة طاهرة، لم يكن يُتصور ان تلجأ ابنتهما إلى الرذيلة، فقد كان من الثابت لدى الناس ان الولد تحسيدا لمزايا الوالدين و اخلاقهم وحقائق وجودهم، حتى نطق عيسى (عليه السلام) فاتضح ان من الحتم ان يلد هذان الابوان مثل هذه البنت الجليلة ذي المقامات السامية التي اصبحت أمّاً لنبي من اولي العزم.

لاحظتم ان ما كانوا يتوقعونه من طهارة في مريم انما يرجع بالدرجة الاولى إلى طهارة أبيها لذا فقد قالوا لها:

(1) - مريم: 28.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 370

«مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأً سَوِيًّا».

والام التي تحظى بميزة خاصة ايضاً كانت موضع اهتمامهم، من هنا قالوا لها:

«وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا».

خلال الفصل السابق تطرقت بالتفصيل إلى الام وواجباتها، ولا أرى في هذا الفصل حاجة للمزيد من التفصيل، وقد نوهت في ما مضى من بحوث إلى الحلال والحرام والرزق الطيب الطاهر، كما لا يخفى على أحد تأثير المعلم واحواله و اخلاقه على الاولاد.

وما يحتاج إلى مزيد من التوضيح في هذا الفصل هو تأثير الاب في اخلاق الطفل وسلوكه وتربيته.

يتعين على الاب ان يهتم أولاً بتربية الولد الدينية و اخلاقه وتعليمه، ومن ثم ان يحيا مع زوجته بنحو لا يعكّر صفو حياة أولادهما، ومن جهة اخرى عليه التزام جانب الحيطة فلا يطعم عياله لقمة من الحرام.

ورد في الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) ما مفاده: ان عدة من الناس يدخلون جهنم بغير حساب منهم الآباء الذين لا يعتنون بتربية أولادهم الدينية والأخلاقية.

لقد خلق الله سبحانه الناس جميعاً من اجل بلوغ مقام خلافة الله والهدى والبصيرة وبالتالي دخول الجنة، والناس هم الذين يمهّدون لعذابهم.

أميرالمؤمنين (عليه السلام) يبكي

بعد ان انتهت معركة الجمل بانتصار أميرالمؤمنين (عليه السلام) واطفئت نيران الفتنة، مرّ (عليه السلام) وسط القتلى ولما نظر اليهم بكى بكاءً شديداً، انه فعل لم يسبق له مثيل ولم يصدر مثله من اي عسكري منتصر، فسئل (عليه السلام) عن السبب في بكائه، فاجاب: هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام وصاموا وصلّوا وعبدواالله كان يجب أن

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 371

يدخلوا الجنة، وإن قلبي يتحرّق لهم ألماً لأنهم قد عصواالله وقاتلوا الامام المعصوم، ونتيجة اتباعهم أهواءهم أحلّوا أنفسهم في العذاب الدائم.

أهل النار

ان المعدّين في النار يطلبون من الله الخلاص من العذاب خمس مرات، ألا انهم يقيمون في كل مرّة منها، وفي الخامسة تُسَدُّ افواههم إلى الابد.

وقد وردت احدى هذه المرات الخمس في هذه الآية الكريمة:

«وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» 1.

أيها الآباء! ان من اهم الاعمال الاهتمام بتربية الولد وكماله ورفّيه، فلا تمهلوا أولادكم، وحافظوا على طهارة البيت من أجلهم، واطمعوهم من الحلال، وحافظوا على حقوق زوجاتكم، كي تسري افعالكم واخلاقكم وطريقة كسبكم للحلال اليهم ليصبحوا آباءً مناسبين لأولادهم اسوة بكم.

أيها الآباء! ان جميع اعمالكم وممارساتكم تخضع لنظر الباري تعالى ورسوله والأئمة الأطهار:

«وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» «2».

التمزوا الحذر في حياتكم، وتمثلوا الحيلة في تصرفاتكم واقوالكم وافعالكم اذ ان كافة تحركاتكم تترك بصماتها في اهل الدار. لقد لفت رسول الله (صلى الله عليه و آله) انظار الآباء إلى مسؤولياتهم الخطيرة، وكثيراً ما تواترت الوصايا من الأئمة الاطهار إلى الآباء، فالأب في البيت كالزعيم في البلد

(1) - فاطر: 37.

(2) - التوبة: 105.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 372

وهو مسؤول عن المجتمع بأكمله، والأب يتعرض لمساءلة الحق تعالى يوم القيامة.

عَوّدوا أولادكم على تطهير نواياهم، وحثّوهم على العمل الصالح، اعملوا على ان يتجلى في قلوبهم حب العلم والمعرفة والعلماء، اصطحبهم إلى المجالس الدينية، علّموهم الواجبات قبل بلوغ سن التكليف، ارفقوا بهم، عاملوهم باللطف والكرم والأخلاق الفاضلة.

ان النبي (صلى الله عليه و آله) وأميرالمؤمنين يُعتبران افضل اسوة وقدوة للآباء، فطالعوا احوالهما وحياتهما وطبقوا افعالهما في حياتكم، اتخذوا من رسول الله (صلى الله عليه و آله) وسيد العارفين (عليه السلام) قدوة لكم بدلاً من رموز الابتذال سواءً في الداخل أو الخارج، اعدّوا ما يجعل من الدار واهله يتنفسون عطر النبوة والامامة، كي تضمنوا خير الدنيا و الآخرة.

لحمة من حياة الشهيد الشيخ فضل الله النوري

ولد هذا الرجل العظيم، المجاهد والمرجع الأمين من ام طاهرة وأب كريم، وقد جهد والده في تربية، اذ سخر الوالد كلّ وجوده في سبيل تربية ابنه وكماله ورقّته، ولما لمس منه شغفاً في العلم والعمل ارسله إلى النجف الاشرف وتلمذ على اساتذة كبار كالشيخ الانصاري والميرزا الشيرازي والحاج الميرزا حسين النوري فنهل كثيراً منهم، ثم عاد إلى طهران متزوداً بالعلم والفضيلة والأخلاق والتقوى، فاصبح في طليعة العلماء فاشعل فتيل الثورة ضد الظلم والجور وذلك في حركة المشروطة، فانتصرت ثورته،

بيد ان الخونة تسلّلوا إلى شرايين الحكم ومفاصلة فحرفوا مسير الثورة تصطبغ بما تمليه لندن، فكان (رحمه الله) من بين جميع العلماء ذا نظرة ثاقبة ازاء هذه الواقعة المرّة، منادياً معلناً، غير انه لم يفلح فاعتُقل

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 373

وحكم عليه بالاعدام لانه كان يريد المشروطة حركة تستند إلى الشرعية، ومن مجلس الشورى مجلساً يستند إلى القرآن والسنة ونهج البلاغة والفقه الشيعي، كانت نيته خالصة لله تعالى، ومطالبه مطالب الهية، كان (رحمه الله) حريصاً ذا بصيرة، وكل ذلك استلهمه من أبيه ومن احضان امه، واختلط فيه الكمال مع النور الذي يتأتى من لقمة الحلال.

وقد اعتلى اعواد المشنقة يوم 13 رجب ذكرى ولادة أميرالمؤمنين (عليه السلام) واعدم على أيدي الجلادين بسبب مطالبه الحق، فتصوروا انهم اعدموا ضميره باعدامه ناسين الآية الكريمة.

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» «1».

وبعد مضي ما يقرب من ثمانين سنة على اعدامه، وبالذات في الساعة العاشرة صباحاً من يوم الثالث عشر من رجب وعلى مقربة من محل اعدامه في ساحة المدفعية تجلّت ثمار ثورة الشعب الايراني المنجب للشهداء بافتتاح مجلس الشورى الاسلامي بتلاوة بيان الامام الحسيني الكبير (رحمه الله) فتحققت امنية شهيدنا العظيم الشيخ فضل الله النوري، وكنتُ من بين المدعوين لحضور ذلك الحفل، فلم يراودني العجب لان الله سبحانه ناصرُ المؤمن ومعينه وهو الذي يحقق امانيه وان اعدم أو استشهد.

طوبى لوالد ذلك الشهيد حيث يقف يوم القيامة موشحاً بالكرامة في محضر البارئ تعالى وانبيائه والأئمة الطاهرين، وذلك نتيجة الظفر بمثل هذا الابن.

(1) - الصف: 8.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 374

ايّها الشباب احذروا

اینها الشباب، یا ابناء الاسلام، یا اتباع رسول الله (صلی الله علیه و آله) لكم مني وصية مهمة، وهي ان توجدوا في انفسكم مستلزمات الابوة الصالحة والمناسبة، فموعد الزواج لم يزل بعيداً، بل فكروا من الآن بتخلية انفسكم من رذائل الأخلاق، وتحذیب اعمالكم ومجالسكم وزياراتكم، وعليكم بالاعتناء بمأكلكم خاصة، ففي نطفكم مادة تُسمى الجين وهي التي تحمل جميع شمائلکم إلى ذراتکم، وهذا ليس من ثمار الدراسات التي قام بها علماء الغرب ومحققوه فيهمله البعض منكم متصوراً انها نظرية قد تبطل مستقبلاً، انها قضية بديهية وذاتية اهتم بها الاسلام العزيز منذ بزوغ فجره.

تأملوا هذه الرواية المهمة بهذا الشأن:

اتى رجل من الانصار رسول الله (صلی الله علیه و آله) فقال هذه ابنة عمي وامرأتی لا أعلم الا خيراً، وقد اتتني بولد شديد السواد منتشر المنخرين... وقال رسول الله (صلی الله علیه و آله):

ان العرق دساس.

مرادف العرق، الجين، ودساس تعني الناقل، من خلال هذه العبارة انقذ (صلی الله علیه و آله) هذا الشاب من القلق وسوء الظن.

نعم، فإن شمائل الاب تنتقل إلى الابناء كما عبّر رسول الله (صلی الله علیه و آله)، وهذا ما اثبتته الاجهزة العلمية المعاصرة.

بناءً على ذلك، عليكم السعي قبل مرحلة الزواج ان تتوفر فيكم الصفات التي يتوسمها الاسلام في الاب، فلا تبادروا إلى الزواج بقصد التلذذ المادي متناسين الحقائق، فيكون ابناؤكم بنفس الثمار بالنسبة لكم وللمجتمع.

لقد كان رسول الله (صلی الله علیه و آله) وائمة الهدى (عليهم السلام) يفتخرون بانتسابهم لابراهيم

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 375

الخليل (عليه السلام) محطم الاصنام، فقد انتقلت شمائل ذلك الرجل العظيم إلى ذريته الطاهرة.

في زيارة وارث - وهي زيارة صحيحة ومسلّمة - نخاطب الامام الحسين (عليه السلام) بأنه وارث آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلی الله علیه و آله) وأميرالمؤمنين (عليه السلام)، وهذا الارث الذي وصله ليس مالاً أو ثروة، بل هو تجليات معنوية وعلوم الهية واخلاق فاضلة والكرم والفضيلة والشرف، فلم لا ننهل نحن الآباء من هذه النعم المعنوية كي ننعّم بها ابناؤنا؟

الآباء الضالون ومسؤولية الابناء

ربما يتوقّر في عائلةٍ ما أبٌ يأنف عن قبول التربية الدينية، ويتقاعس عن تنفيذ التعاليم الالهية، ولا يُبدي اي رغبةً ازاء الحقائق، ويفتقد لقابلية الاذعان للحقائق الالهية، حينها يترتب على أولاده ممن بلغ منهم شأواً من الفطنة دعوته نحو الحقيقة وذلك من خلال سلوك الرفق والطيب من الأخلاق وانقاذه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اما إذا أبى فعليهم العيش إلى جانبه والمحافظة على الحياة من ان تتلوث بسببه.

وعليهم ان يتخذوا من مصعب بن عمير ذلك الشاب المؤمن المجاهد الذي نال وسام الشهادة في معركة احد وهو في عز شبابه.

لقد كان أبواه مشركين وكان مصعب يكرّ لهما شديد المحبة وقد آمن بالرسول (صلى الله عليه و آله) استجابة لفطرته وقبل ان يفرض الله على رسوله الهجرة فقد هاجر مصعب إلى المدينة للتبليغ بناء على طلب اهلها، فمهّد السبيل لهداية الكثير من الناس إلى الاسلام وبجهوده اصبحت المدينة على استعداد لقبول رسول الله (صلى الله عليه و آله) فهاجر (صلى الله عليه و آله) إلى المدينة ولما أقبل مصعب على رسول الله (صلى الله عليه و آله) وعليه إهاب

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 376

كبش قال (صلى الله عليه و آله) انظروا يا ايّها الشباب، يا من يحيا آباؤكم بعيداً عن الحياة المعنوية، ولا يريدون لكم ان تصبحوا من اصحاب المعنويات وان تتخلقوا بالطيب من الأخلاق، وكل همهم ينصب على ان تتسلقوا سلّم العلوم المادية أو تتشبثون من أجل جمع الاموال، عليكم التعامل معهم بلطف وعدم التشاجر معهم، اذ التنازع معهم خلاف لله ولرسوله، وما عليكم الا عدم التشبه بهم ولا تتخلوا عن الله سبحانه ورسوله والأئمة الطاهرين والمعاد ازاء دعواتهم الباطلة المنحرفة، وعليكم على هذا الصعيد ان تتخذوا من محمد بن أبي بكر ذلك الشاب المؤمن المجاهد قدوةً لكم، وان تحبوا مثله حيث عاش محباً لعلي (عليه السلام) عاملاً بالقرآن وسنة نبي الله فكانت عاقبته الشهادة في سبيل الله وثباته على دينه، وان تجعلوا من افعالكم وتصرفاتكم منسجمة مع التعاليم الالهية.

والدّ فاضل

اثناء زيارتي لمدينة مهرجرد لغرض التبليغ والتي استمرت ليلتين او ثلاث حكي لي ابن خالة آية الله العظمى الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة.

ان والد الشيخ بقي بلا طفل لمدة خمسة عشر عاماً، فكان يتألم كثيراً، وكان يعمل قصاباً، وهذا العمل لم يكن يريحه نوعاً ما، وذات مرة قالت له زوجته لعل العلة في عدم الانجاب تكمن فيّ، ولا طاقة لي على تحمل ما تعانیه من آلام، كما لا قدرة لي على الاجابة فيما لو سُئلت يوم القيامة عن أسباب شقائك، فلا مانع من ناحيتي في أن تتزوج كي تصبح اباً، بل أنا التي سأبحث لك عن زوجة تلائمك.

وبعد مدة عن الزمن عثرت على ارملة تقطن في منطقة تبعد بضعة فراسخ عن محل سكناه، واقترحت على زوجها الزواج من هذه الارملة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 377

وقع الزواج، وفي ليلة الزفاف وضع العريسان يداً بيد - كما هو المؤلف سابقاً، وكانت للعروس من زوجها السابق طفلة في الثالثة من العمر ابت الافتراق عن امها فتناولتها خالتها كي تأخذها معها، ألا ان صراخ الطفلة أخذ يتصاعد، فهزّ المنظر هذا الرجل الكريم فقال للمرأة: لا طاقة لي على تحمّل بكاء اليتيم، بالاضافة إلى ان حياتي معك واحتمال انجابك لطفل مني قد يؤدي هذه اليتيمة فأني انصرف عن هذا الزواج، فبذل لها صداقها وقفل عائداً إلى مهرجرد ليلاً، وفي تلك واقع زوجته الاولى فانعقدت نطفة الشيخ عبدالكريم الحائري كرامة له على كرمه وايتاره، فولد لهما مؤسس الحوزة العلمية في قم، ذلك الاستاذ الذي تخرّج على يديه ما يناهز الالف عالم ممن جمع شروط الاجتهاد، وتولى تربية من خلفه من المراجع، وكان من بين الذين ربّاهم الامام الخميني (رحمه الله) الذي تبلورت على يديه الثورة الاسلامية في ايران وامتدت آثارها شرقاً وغرباً، وحفظ الاسلام من ان يخبو نجمه، وانطلق في حركته لبسط حكومة الاسلام على العالم.

لقد كان الامام الخميني (رحمه الله) ثمرة من ثمار الشيخ الحائري والشيخ ثمرة وجود القصاب الفاضل، الرجل الالهي النوراني المخلص، فاي نعمة سينعم بها هذا الاب الفاضل يوم القيامة حين يقف إلى جانب ولده وتلاميذه؟ الله وحده يعلم بذلك.

الآباء الطالحون والابناء الصالحون

لقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي رجلاً لئيماً ظالماً قاتلاً وموجوداً طالحاً، وكانت ذريته مذمومة، بيد ان رجلاً من نسله يدعى أبو عبدالله الكاتب ظهر في عصر السيد المرتضى فكان انساناً عظيماً فاضلاً وشاعراً صالحاً وحكيماً كريماً محباً لأهل البيت (عليهم السلام) مادحاً لائمة الهدى لا سيما أمير المؤمنين وأبي عبدالله

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 378

الحسين (عليهما السلام).

لقد كان منقطعاً عن ما اتصف به آباؤه، فقد تنعم بالعقل والنور والفطرة فاستجاب للحق واصطبع به، فحظي برعاية اهل البيت (عليهم السلام) حتى نقل صاحب رياض العلماء الميرزا عبدالله الافندي: ان السيد المرتضى قد عنّفه ذات مرّة، فجاءه رسول الله (صلى الله عليه و آله) والأئمة (عليهم السلام) في المنام فسلم عليهم، فقابله الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) ببرود فقال له السيد: ما الذي ارتكبته؟ قال (صلى الله عليه و آله): لقد اسات إلى محبنا وشاعرنا فاذهب واعتذر منه، فما ان طلعت شمس ذلك اليوم حتى ذهب السيد بنفسه إلى منزل أبي عبدالله الكاتب ليعتذر منه ويرضيه.

فيا ايّها الشباب، انما القدرة الالهية التي منحتكم الاستقلال، وان لا تنتقل اليكم عدوى التلوث عمن تلوثوا وان كانوا آباءكم، فعليكم ان لا تتطبعوا بطبائعهم، التزموا الصراط المستقيم، وكونوا معهم ولكن حافظوا على استقامتكم.

والدّ كريم

لقد كان صدر المتألهين الشيرازي فيلسوفاً قلّ نظيره وحكيماً عالماً وعارفاً بارزاً احدث ثورةً جبارة في الفلسفة وصنّف افضل الكتب في هذا المجال، وهو ابن ثريّ مشهور في مدينة شيراز يعمل بائعاً للتحفيات وتاجراً للؤلؤ والمرجان، ويتبوء مركزاً حكومياً رفيعاً.

وقد استحوذت محبة الابن على الولد بحيث انه كان يرغب في ان يعمل ابنه معه في تجارة اللؤلؤ والمرجان، فعمل مع أبيه مدة من الزمن، كما انه اقام في مدينة بوشهر لمواصلة عمل والده، واقام مدّة في البصرة، وبعد سنة او سنتين عاد إلى شيراز فاقترح على أبيه بكل ادب ان يترك العمل والالتحاق بالحوزة العلمية في شيراز فقال له والده، اني على استعداد لقبول ما تراه صالحاً لك، فالتحق

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 379

بالحوزة تاركاً الثروة والمتجر، متجاهلاً البيت والسعادة المادية، ولم تمض سوى مدة قصيرة حتى أصبح في ظل رعاية أبيه ومحبتة وهو في سن الشباب عالماً معروفاً، ولم يعثر في حوزة شیراز علی من يغذیه من الناحية العلمية، فاستأذن أباه بالتوجه إلى اصفهان، فقبل بالموافقة، فشدّ الرحال إلى اصفهان فحضر دروس الشيخ البهائي والمير داماد والمير فندرسك، بعد مدة صار صدر المتألهين.

نعم، فقد بلغت به اخلاق الوالد ورفق رب الاسرة وادراكه ورؤيته الثاقبة إلى ان يتحول من عاملٍ في متجرٍ للتحفیات إلى استاذٍ للفلاسفة والحكماء.

فأيّ ثمرة طيبة يهديها الاب الكريم البصير الحريص والحكيم إلى البشرية وعالم المعرفة؟!

أكل الحرام لا يربّي علي الأكبر

خلال أيام صباي كان في محلّتنا رجلٌ طاعنٌ في السن جليل تقي منظم وكان يعمل دلالاً ونظراً لتدينه وادبه وصلاحه فقد كان التجار يثقون كثيراً بتجارته.

كان يحصر صلاة الجماعة في جميع أوقاتها، ويتمتع بأسلوب عجيب في جذب الصبيان إلى المسجد، كنتُ من بين الذين يحبونه حتى انني كنت اؤدي صلاة الصبح جماعةً، وكان يحكي لنا قصصاً مذهشة مما جرى على مدى ثمانين سنة من عمره حيث كانت مليئة بالعبر والدروس.

وكان مما قاله لنا: ان شاباً كان يعيش مع امه وابيه في منطقة ناصر خسرو، وكان أبوه مهماً للجوانب الشرعية، في حين انه كان ممن يجالس العلماء ويحضر المجالس الدينية فكان يتألم لما يلمسه من ابیه، وكانت نصائحه التي تنم عن الحرص لا تؤثر في أبيه، فتوجه غاضباً إلى الري ليجاور مرقد عبدالعظيم

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 380

الحسني، فعمل هناك بائعاً لمدة سنة كانت يوضح المسائل الشرعية للبائعين في السوق، وفي احدى ليالي عاشوراء جاء إلى طهران لزيارة والديه، وكانا قد ذهبا لحضور مراسيم التعزية في منطقة دولت فتوجه إلى هناك فصادف أنّ الذي يؤدي دور شمر بن ذي الجوشن قد مرض فلم يحضر مراسيم التمثيل، فلما رأى المسؤول عن المراسيم ذلك الشاب - وحيث ان له معرفة سابقة

به - طلب منه اداء الدور، فقبل الشاب، وارتدى الملابس ودخل ساحة العرض وادى الدور بمهارة، وقد عرفه أبوه من بين حشود الحاضرين فاستاء لانه ادى دور الشمر، وبعد نهاية المراسيم عادوا سوياً إلى البيت فسال الاب ابنه، هل تناولت العشاء؟ فأجابه:

كلا، فقال: في المطبخ جرّه حليب وانا فيه لبن فاجلبهما وكُل منهما، فلما جاء إلى جرّه الحليب وجد فيها فاراً ميتاً فأكل لبناً لوحده، واثناء تناوله اللبن سأله الأب لم لا تأتِ بالحليب؟ قال: وجدتُ فيه فاراً ميتاً وقد تنجّس وبالتالي فإنّ أكله حرام، قال له أبوه بأسلوب عنيفٍ: الا تقلع عن هذه الاوهام؟

وبعد دقائق من الصمت قال الاب: الآن وبعد عام عدت الينا وقمت باداء دور الشمر، لم لا تؤدي دور علي الاكبر؟ فأجابه الابن بأسلوب لطيف وظيف: يا أبه! لا تتوقع ممن يأكل الحليب الذي وقع فيه الفأر ان تتبدل نطقته ليصبح علياً الاكبر، فنتيجة لقمة الحرام هو الشمر!!

فيا ايّها الشباب حاولوا ان تصبحوا آباءً يتوفرون على شروط الابوة، كي يصبح ابناؤكم صالحين سالمين، وإذا ما حدث لديكم نقصٌ من شأنه تدمير بنائكم الباطني فبادروا إلى اصلاحه، إذ ان القيامة يوم مذهلٌ بالنسبة لجميع الخلائق.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 381

قال علي (عليه السلام): «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه،

و يحسن أدبه، و يعلامه القرآن»

نهج البلاغة: الحكمة 399

في مستهل الكلام من الضروري ان نعرج على مقطع من كلام نفيس وحكيم شَعَّ من قلب أمير المؤمنين (عليه السلام) لهداية الانسان والأخذ بيده نحو الخير، إذ قال (عليه السلام) مجيباً مَنْ سألَه عن الخير:

ليس الخير أن يكثرَ مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثرَ علمُك، وأن يعظم حلمُك وأن تباهي الناس بعبادة ربِّك، فإن احسنتَ حمدتَ الله، وإن أسأتَ استغفرتَ الله ولا خير في الدنيا إلا لرجلين، رجلٌ اذنب ذنباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجلٌ يسارعُ في الخيرات ولا يقلُّ عملٌ مع التقوى وكيف يقلُّ ما يتقبل «1».

لقد جرت الإشارة في هذه المقاطع إلى ثلاث حقائق هي: العلم والحلم وتسخيرهما لعبادة الله تعالى، وفي نهايتها جرى التنبيه إلى ان العلم والحلم والاستفادة منهما يجب أن يقترن بالورع عن الذنوب والاحتراز عن المعاصي كي تحظى بالقبول من لدن الباري عزوجل.

فالعلم الذي يفتقد صاحبه للتقوى، والحلم الذي لا يقترن بالورع عن المعاصي، والعبادة التي لا حظٌ للتقوى فيها ليس إلا مصدر للخسران والدمار وماء في غريال.

ان الذين تسلَّقوا مدارج الرقي في هذه الدنيا انما كان وصولهم من خلال العلم

(1) - شرح ابن أبي الحديد: 250 / 18.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 384

والبصيرة والعبادة وتحليهم بالتوبة والتقوى والورع، أما الجهلة والبلداء ومن ضاقت صدورهم وتدنت قابلياتهم فهم عبّاد الأهواء والمنغمسون في وحل المعاصي والناكصون عن البرِّ والاحسان، والعاطلون من الناس ومصادر الدمار والخسران.

على أية حال، فيما يتعلق بحقوق الولد على والديه، يستفاد من هذه الحمل النورانية وجوب اطلاع الوالدين بآدء الأمر على مسؤولياتهم التي حدّدها الاسلام ازاء أولادهم ومن ثم التحلّي بالحلم والتحمل في تطبيقها والعمل بتلك التعاليم حيث يعدّ عبادةً عظيمة، والتباهي بها في السرّ، والتوجه إلى الله سبحانه بالحمد والثناء لما منّ به من توفيق للاهتمام بالاولاد واداء حقوقهم، وطلب المغفرة منه تعالى إذا ما بدر منهم تقصيرٌ في هذا المجال، والتزام التقوى على كافة الاصعدة، كي لا تذهب جهودهم ادراج الرياح.

لا شك في ان الاهتمام بالحقوق المترتبة للولد على الانسان والاجتهاد لأداء هذه الحقوق يعتبر عبادة لا تضاهى وخيراً وقيماً يناله المرء في الدنيا والآخرة.

حق الولد على والديه

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«حقُّ الولد على والده ان يعلمه الكتابة والسباحة والرعاية وان لا يرزقه إلا طيباً»¹.

وبطبيعة الحال، ليس من الضروري التدخل مباشرة في بعض الشؤون.

فبمجرد ان يرسل الاب ولده إلى المدرسة والمراكز التي يتعلّم فيها السباحة

(1) - ميزان الحكمة: 720 / 10.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 385

والرماية فإنّه يكون قد أدّى حقه، أما في مسألة توفير الرزق الحلال الطيب وهي قضية صعبة، فلا بد من التزام الدقة قدر الامكان في اداء هذه المهمة تلافياً لوقوع الاشكال الذي يفسد الدنيا والآخرة.

كم هو جميل ان يتوفر النادي والمسجد إلى جانب مدارسناكي يتوجه ابناؤنا بعد فترة الدرس إلى النادي الرياضي لتعلّم السباحة والرماية ومن ثمّ يعرجون نحو المساجد لتعلّم المسائل الشرعية والعبادية، كي ينالوا كمالهم البدني والفكري إلى جانب الكمال الروحي والتربوي.

ان القراءة والكتابة أو العلم بمعناه الشامل، والسباحة والرماية، والرزق الطيب تمثل اربعة مصادر قوة لأبناء البلد بامكانهم التحصن ازاء الكثير من الاخطار من خلال التسلح بهذه القدرات المهمة، فالانشغال بها يملأ اوقات الشباب والفتيان، وهو ذو أثر بالغ في تهذيب قابلياتهم الذاتية لا سيما الغرائز.

ينقل الشيخ البهائي (رحمه الله) في كتابه، المخلاة، عن أحد الاعاظم ويدعى حسن - ولا ادري أيّ حسن يريد - قوله: لو وقع بيدي رغيف خبز من الحلال لجففته وطحنته حتى اجعله دقيقاً واحفظه ثم اعطي جزءاً منه لمن يراجعني من المرضى ممن يصعب علاجه كي يشفى من مرضه بتناوله للحلال.

آثار الحلال والحرام

نقل لي أحد كبار العلماء ممن اسدوا خدمة للدين والشعب: خلال أيام دراستي عند الامام الخميني (رحمه الله) في قم كنتُ اسافر إلى المدن والنواحي للتبليغ اثناء العشرة الاولى في شهر محرم.

و ذات مرة وعلى اعتاب شهر محرم حضرتُ عند الامام (رحمه الله) وقلت له: لقد دُعيتُ إلى منطقة جديدة هذا العام فارجو منك الدعاء والأذن لي بالذهاب، فدعا

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 386

لي الامام واسدى نصائحہ فيما يتعلق بالتعامل مع الناس والتبليغ.

وتوجهت إلى المنطقة التي اريدها - وهي منطقة لم يكن عدد سكانها يزيد على 2000 - 3000 نسمة - وعند وصولي اليها صادفني مزارعٌ نَبْرُ الوجه يحمل مجرفته على كتفه فسألني عما كان مجيئي من أجل التبليغ، فأجابته بالايجاب، فقال: لا تتكلم هنا إلا عن الحلال والحرام، لان حاجة ابناء هذه المنطقة إلى هذه المسائل أكثر من حاجتهم إلى غيرها واكثرهم لا يهتم بالحلال والحرام، ثم قال:

لا تذهب إلى أي بيت في هذه القرية غير بيتي، إذ اني دائب الاهتمام بالحلال والحرام وبكل دقة، وان تناولك لما اعدّه لك من حلال سينير قلبك ويسر حديثك.

فتوجهت إلى منزله فكان كما سمعت منه، إذ كنت ارتقي المنبر والقي أحاديثي بيسر وراحة دون تكلؤ.

لقد كان يتوجه إلى مزرعته مبكراً ويحضر إلى المسجد عند صلاة المغرب ثم يعود معاً إلى منزله بعد المحاضرة.

وفي أحد الأيام ذهبْتُ - دون علم منه - في ضيافة أحد الاشخاص، فشعرت في تلك الليلة بصعوبة بالغة وضعفٍ في الالتقاء وبيان المطالب اثناء المحاضرة، وان لم ينتبه المستمعون إلى ذلك، غير انني شعرتُ بخرج في القاء مطالبي، فنظر لي ذلك القروي

مرتین أو ثلاث نظرة غاضبة وكنت اقرأ في نظراته احتجاجاً عليّ، وبعد انتهاء المجلس عدنا إلى بيته فقال لي بنبرة حادة: ليتك طُعت بسكين، من المؤكد أنك ذهبت إلى بيت آخر، لقد فهمت ذلك من خلال وضعك أثناء المحاضرة، من الآن فصاعداً لا يحق لك الذهاب إلى أي مكان آخر، وعليك التفحص جيداً بطعامك وترددك على بيوت الناس مادمت حيّاً، إذ إن الحلال يجلب النورانية والحرام نتيجه الظلمة.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 387

تأملوا ثانية بحديث رسول الله (صلى الله عليه و آله) فيما يتعلق بالرزق الطيب وآداب ادخاله إلى البيت:

«وان لا يرزقه إلا طيباً».

الشيخ الزاهد

كان في طهران عالمٌ جليلٌ يسمى الشيخ محمد حسين الزاهد، وكان مفهوم الزهد متجسداً عملياً فيه.

لقد استقطب الكثير من الشباب إلى المسجد والمجالس الدينية ودفعهم إلى التحلي بالآداب الدينية.

حدثنا: دُعيت ذات مرة إلى مكان كان عليّ ان لا اجيب غير انني ذهبتُ جاهلاً، فتناولتُ - مكرهاً - قطعة من المرطبات، فلما نهضت لصلاة الليل وفي طريقي للوضوء سقطت من السلم فشقت جبهتي، فهبت زوجتي لعلاج الجرح وربطه ولم استطع مواصلة عبادتي لشدة الألم، ولما وضعت رأسي على الوسادة أخذتني غفوة فسمعت في عالم الرؤيا هذه العبارة ايها الشيخ! ما انت وهذه المرطبات؟ فاستيقظت وأيقنت ان جرح رأسي ما هو الا عقابٌ لي على تلك الجناية!

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويزوجه إذا ادرك ويعلمه الكتابة» «1».

وسأل رجل رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن حق ولده عليه فقال (صلى الله عليه و آله):

«حَسَّنْ اسْمَهُ وَادَّبْهُ وَتَضَعُهُ مَوْضِعاً حَسَناً» «2».

(1) - میزان الحکمة: 720 / 10.

(2) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 388

وعنه (صلی الله علیه و آله) أيضاً:

«من بلغ ولده النکاح وعنه ما ینکحه فلم ینکحه ثم احدث حدثاً فالانتم علیه» «1».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«حقُّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن ادبه، ويعلمه القرآن» «2».

وقال رجلٌ من الانصار لابي عبدالله الصادق (عليه السلام):

«من ابتر؟ قال: والديك، قال: قد مضينا، قال: برّ ولدك؟» «3».

وقال النبي (صلی الله علیه و آله):

«ادّبوا أولادکم على ثلاث خصال: حبّ نبيّکم وحبّ أهل بيته وقراءة القرآن» «4».

ان تعريف الاولاد برسول الله (صلی الله علیه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) انما هي مسؤولية الآباء، ومن الواجب ان يعرف الولد منذ طفولته رسول الله (صلی الله علیه و آله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ويعيش محبتهم، كي ينمو ويكبر على معرفتهم ومحبتهم، ويتطبع باطبائعهم ويحذو حذوهم في مرافق الحياة كافة، ولا يتخذ قدوة واسوة سواهم، إذ ان افضل الخير بالنسبة للانسان محبة رسول الله (صلی الله علیه و آله) وائمة الهدى (عليهم السلام) والافتداء بهم.

ذكری طيبة

لما دُعيت للتبليغ لأول مرة في تبريز اشتراطُ على من دعاني ان يُسكنني في محلةٍ فقيرة وفي بيت بسيط، فقبل ذلك، فلما وصلت إلى تبريز نقّذ ما كان متفق

(1) - نفس المصدر.

(2) - نفس المصدر.

(3) - البحار: 98 / 104.

(4) - ميزان الحكمة: 721 / 10.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 389

عليه فكان البيت عادياً في محلةٍ متوسطة المستوى، والبيت يتكون من طبقتين، احدهما مخصصة لعائلته والاخرى تتخذ طابع الحسينية، وكان مكسب صاحب الدار عادياً ودخله بسيطاً فيما كان هو عابداً ملتزماً بصلاته، مثيراً للعجب.

قال لي: هل تعلم ما الذي جاء بك إلى هذه الدار؟ قلت: لقد اشتراطت ذلك على من دعاني في طهران، فقال: كلا فالأمر ليس مرتبطاً بك، بل انني قد شاركت في مراسيم دعاء عرفة في مشهد وكنت أنت تتولى قراءة الدعاء، وبعد ان انتهى الدعاء، توجهت عند الغروب إلى ضريح الامام الرضا (عليه السلام) وبكيت عنده وقلت:

إذا جاء هذا الرجل إلى تبريز يوماً فإنني اريده ان يأتي إلى داري، فإن هذه العملية قد رُتبت من قبل الامام الرضا (عليه السلام)، وانك قد أتيت إلى داري مدعواً من قبله (عليه السلام)، فهذه الدار ومن فيها محبّون لاهل البيت (عليهم السلام) وهم بمثابة الخدام لمن يخدم أهل البيت (عليهم السلام) ثم نقل لي أمراً عجيباً عن والده فقال: لقد كان والدي مواظباً على صلاة الليل والتهجد مدى حياته، كما انه كان يوقظني لصلاة الليل بكل لطفٍ وتودد منذ ان كنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، ويقول: يا بني ان الناس نيام والوقت مناسبٌ جداً، هلُم بنا لنتحى جانباً ونبكي على سيد الشهداء (عليه السلام) لقد كنا حسينيين وخلقنا حسينيين ولن نتخلى عن الحسين كي نكون عنده يوم القيامة!

قال الصادق (عليه السلام):

«الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلّم الكتاب سبع سنين، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين» «1».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

(1) - ميزان الحكمة: 10 / 222.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 390

«مُرُوا أولادكم بطلب العلم» «1».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«عَلِّمُوا أولادكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا الحلم» «2».

وجاء في ثلاث روايات عن رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق».

«عن السكوني عن الصادق عن آبائه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«يلزم من العقوق لولدهما إذا كان الولد صالحاً - ما يلزم الولد لهما».

يلزم الوالد من الحقوق لولده ما يلزم الولد من الحقوق لوالده» «3».

إلى الآباء والامهات

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«من قَبَّل ولده كتب الله له حسنة، ومن فرَّحه فرَّحه الله يوم القيامة، ومن علَّمه القرآن دُعي بالابوين فيكسيان حلَّتَيْن يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة» «4».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ كَانَ عِنْدَهُ صَبِيٌّ فَلْيَتَصَابَّ لَهُ» «5».

وعنه (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَّبَهَا وَاحْسَنَ ادِّبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَاحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، فَوَسَّعَ عَلَيْهَا مِنْ

(1) - نفس المصدر.

(2) - نفس المصدر.

(3) - البحار: 70 / 74، ميزان الحكمة: 723 / 10.

(4) - فروع الكافي: 49 / 6.

(5) - الوسائل: 203 / 15.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 391

نَعِمَ اللَّهُ الَّتِي اسْبَغَ عَلَيْهِ، كَانَتْ لَهُ مَنَعَةٌ وَسْتَرًا مِنَ النَّارِ» «1».

ولرسول الله (صلى الله عليه و آله) وصايا فيما يتعلق بالاولاد:

«اتقوا الله واعدلو في اولادكم» «2».

«اعدلوا بين اولادكم في النحل كما تحبون ان يعدلوا بينكم في البر واللفظ» «3».

«ان الله يحب ان تعدلوا بين اولادكم حتى في القبل» «4».

«ابصر رسول الله (صلى الله عليه و آله) رجلاً له ولدان فقَبَّلَ احدهما وترك الآخر، فقال (صلى الله عليه و آله): فهلاً واسيت بينهما» «5».

(1) - میزان الحکمة: 705 / 10 - 707.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 393

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»

الاسراء / 23

26

حقوق الوالدين على الاولاد

ان اداء حقوق الوالدين من الصعوبة والدقة، والحاجة إلى التحمل والقابلية الاستثنائية ما لم يستطع عليها إلا المؤمن الحقيقي الذي آمن بالله واليوم الآخر، وأيُّ مؤمن؟ انه المؤمن الذي جرى توضيح مواصفاته في كتاب الله:

«إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» «1».

والآن تعالوا وانظروا الأمر الالهي فيما يتعلق بحقوق الوالدين والذي جاء في سورة الاسراء:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَنْبَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» «2».

لقد ورد تفسير هذه الآية الكريمة التي أردفت حقوق الوالدين بعد حقّ الله عزوجل وبيانها في الصفحة 157 من الجزء الثاني من كتاب الكافي نقلاً عن الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، وهذا التسلسل دليل على عظمة الأمر.

نظراً إلى ان مؤلف اصول الكافي الشيخ الكليني (رحمه الله) قد عاش في زمن الغيبة الصغرى، وان روايات هذا الكتاب ومضامينه قد اخذت عن رواة عاشوا على

(1) - النور: 51- 52.

(2) - الاسراء: 23- 24.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 396

مقربة من عصر المعصوم، ونظراً لما فيه من تنظيم وترتيب، وما حظي به من اهتمام منذ تصنيفه وحتى الآن، ولجحد كونه من المصادر المهمة لاصول الدين وفقه أهل البيت (عليهم السلام) فإنّها يحظى بمنزلة خاصة تفتقد اليها سائر الكتب.

وبعد هذا التفسير للآية الذي جاء على لسان الامام الصادق (عليه السلام) ونُقل في كتاب اصول الكافي لا اعتقد ان ثمة عذر أزاء حقوق الوالدين.

يقول الراوي: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» ما هذا الاحسان؟ فقال: الاحسان أن تُحسن صحبتها وان لا تكلفهما أن يسألان شيئاً مما يحتاجان اليه وإن كانا مستغنين أليس يقول الله عزوجل:

«لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ».

واما قول الله عزوجل:

«إِمَّا يَنْبَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا» قال: إن قال: اضجراك فلا تقل لهما افٍّ ولا تنهرهما إن ضرباك، قال: «وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» قال: ان ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم، ثم قال:

«وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» قال: لا تملأ عينيك من النظر اليهما إلا برحمة ورقّة ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يدك فوق ايديهما ولا تقدّم قدامهما.

وادعُ لهما وقل: «رَبِّ ارْزَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا».

وفي موضع آخر يقول تعالى:

«أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ إِيَّيَّ الْمَصِيرُ* وَ إِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِيَّايَ ثُمَّ إِلَيَّ

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 397

مَرْجِعُكُمْ فَأَتَّبِعُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «1».

ملاحظة مهمة

لما بُعث موسى جاءه الأمر أن يواجه فرعون برفقٍ ويكلّمه بلين، فسأل عن السبب، فسمع النداء أنّه قد تحملك لمدة خمسة عشر عاماً، وتجرع المصاعب والمشتقات لتربيتك مذ كنتَ رضيعاً حتى أصبحت شاباً، من هنا فهو بمثابة الاب بالنسبة لك، وعليك ان لا تتكلم معه بصوتٍ عالٍ أو تواجهه بعنف.

ورد بالمنهج في تفسير قوله تعالى:

«أَمْ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» «2».

ان الله سبحانه وتعالى اوحى إلى رسوله (صلى الله عليه و آله): انني قد توفيتُ اباك وأنت في بطن امك، وتوفيت امك وانت طفلاً، لانهما لو بقيا على قيد الحياة لضاق وسعك عن تحمل اعباء النبوة واعباء اداء حقوق الوالدين.

روايات في حقوق الوالدين

سأل الراوي أبا عبد الله الصادق (عليه السلام):

«أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، وبرُّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله» «3»

. وقال الصادق (عليه السلام):

«ما يمنع الرجل منكم أن يبرَّ والديه حيَّين وميتَّين، يصلِّي عنهما ويتصدَّق عنهما

(1) - لقمان: 14 - 15.

(2) - الضحى: 6.

(3) - الكافي: 2 / 158.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 398

ويحجَّ عنهما ويصوم عنهما» «1».

اسلام زكريا بن ابراهيم وخدمته لوالديه

عن زكريا بن ابراهيم قال: كنت نصرانياً فاسلمت وحججتُ، فدخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت: اني كنت على النصرانية واني اسلمتُ فقال: وأي شيء رايت في الاسلام؟ قلتُ: قول الله عزوجل «مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ»، فقال: لقد هدك الله ثم قال: اللهم اهده ثلاثاً، سل عما شئت يا بني، فقلت ان أبي وامى على النصرانية وأهل بيتي، وامى مكفوفة البصر فأكون معهم وأكل في آنيتهم؟ فقال: يأكلون الخنزير؟ فقلت:

لاولا يمسونه، فقال لا بأس فانظر امك فبرّ فاذا ماتت فلا تكلها إلى غيرك، كن أنت، الذي تقوم بشأنها ولا تخبرن أحداً أنك أتيتني حتى تأتيني بمضى ان شاء الله، قال: فأتيته بمضى والناس حوله كأنه معلم صبيان هذا يسأله وهذا يسأله.

فلما قدمت الكوفة ألطفْتُ لأمي وكنْتُ اطعمها وافلّي ثوبها ورأسها واخدمها فقالت لي: يا بني ما كنت تصنع بي هذا وانت على ديني فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفة؟ فقلت: رجلٌ من ولد نبينا أمرني بهذا فقالت: هذا الرجل

هو نبی؟ فقلت: لا ولكنه ابنُ نبی، فقلت: یا بني ان هذا نبی، ان هذه وصايا الأنبياء، فقلت: یا امه انه ليس يكون بعد نبينا نبی ولكنه ابنه فقلت: یا بني دينك خيرُ دينٍ اعرضه عليّ فعرضته عليها فدخلت في الاسلام وعلمتها فصلت الظهر والعصر والمغرب والآخرة، ثم عرض لها عارضٌ في الليل فقلت: یا بني

(1) - الوسائل: 491 / 21.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 399

أعد ما علمتني فأعدته عليها فأقرت به وماتت.

فلما أصبحت كان المسلمون الذين غسلوها وكنت أنا الذي صليت عليها ونزلت في قبرها «1».

وعن جابر الجعفي قال: سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله (عليه السلام) ان لي ابوين مخالفين، فقال: برهما كما تبرّ المسلمین ممن يتولانا «2».

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال:

ان العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عزوجل عاقاً، والله ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بارّ بهما فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عزوجل باراً «3».

ويروي صاحب كتاب الامالي عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال:

بيننا موسى بن عمران يناجي ربه عزوجل إذ رأى رجلاً تحت ظلّ عرش الله عزوجل فقال: یا ربّ من هذا الذي قد اظله عرشك؟ فقال: هذا كان باراً بوالديه ولم يمش بالنميمة.

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

«من أحبّ ان يخفف الله عزوجل عنه سكرات الموت فليكن لقربته وصولاً وبوالديه باراً فاذا كان كذلك هوّن الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقرّ ابدًا».

عن حجر المذري قال: قدمت مكة وبها أبوذر جندب بن جنادة، وقدم في ذلك العام عمر بن الخطاب حاجاً ومعه طائفة من المهاجرين والأنصار فيهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) فبينما أنا في المسجد الحرام مع أبي ذر جالسٌ إذ مرَّ بنا علي ووقف يصليّ بازائنا فرماه أبوذر ببصره فقلت: رحمك الله يا أباذر إنك تنظر إلى علي (عليه السلام) فما تقلع عنه، قال: أني افعل ذلك فقد سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول:

(1) - البحار: 53 / 74.

(2) - نفس المصدر.

(3) - البحار: 59 / 74.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 400

النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة والنظر في الصحيفة - صحيفة القرآن - عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة.

عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: سأل رجل رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ما حقّ الوالد على ولده؟ قال (صلى الله عليه و آله): لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسب له» «1».

وقال الصادق (عليه السلام):

«يجب للوالدين على الولد ثلاثة أشياء: شكرهما على كلّ حال، وطاعتهما فيما يأمرانه وينهيانه عنه في غير معصية الله، ونصيحتهما في السرّ والعلانية» «2».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«يقال للعاق: اعمل ما شئت فاني لا اغفر لك» «3».

وعنه (صلى الله عليه و آله):

«اثنان يعجلهما الله في الدنيا، البغي وعقوق الوالدين» «4».

وعنه (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«من احزن والديه فقد عقهما» «5».

وقال جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

«من العقوق ان ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر اليهما».

جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه و آله) فقال: يا رسول الله: ما من قبيح إلا قد عملته فهل لي من توبة؟ فقال له: رسول الله (صلى الله عليه و آله): فهل من والدك أحدٌ حيٌّ؟ قال: ابي،

(1) - البحار: 45 / 74.

(2) - تحف العقول: 238.

(3) - البحار: 61 / 74 - 74.

(4) - نفس المصدر.

(5) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 401

قال: فاذهب فبرّه، فلما ولى، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لو كانت امه «1».

وقد طلب موسى (عليه السلام) من ربّه ان يوصيه فاوصاه مرتين بامه ومرة بأبيه «2».

وقال الباقر (عليه السلام):

«ثلاث لم يجعل الله عزوجل لأحد فيهنّ رخصة: اداء الامانة إلى البر والفاجر والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين» «3».

الشيخ الانصاري وامه

وكان الشيخ الاعظم والفقير الجليل خاتم المجتهدين الشيخ الانصاري يحمل امه على ظهره ويأخذها للحمام ثم يسلمها لامرأة في الحمام وينتظرها حتى تفرغ ويعيدها إلى البيت، وكان يستأذنها عندما يخرج صباحاً من البيت ولما يعود في المساء يقبل يديها، وبعد وفاتها كان يبكي بشدة ويقول انما بكائي لأنني حرمت من نعمة عظيمة وهي خدمة الام، وكان يصلي عن والدته رغم مشاغله وازدحام دروسه والمراجعات، مع ان امه كانت من أكثر النساء تديناً.

عاق الام

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حضر شابا عند وفاته فقال له: قل لا إله إلا الله فاعتقل لسانه مراراً فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا ام؟ قالت، نعم أنا أمه قال:

افساخته أنت عليه؟ قالت نعم ما كلمته منذ ست حج قال لها: إرضي عنه قالت:

رضى الله عنه برضاك يا رسول الله.

(1) - البحار: 82 / 74.

(2) - البحار: 330 / 13.

(3) - الوسائل: 490 / 21.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 402

فقال رسول الله: قل لا إله إلا الله فقالها «1».

عن السجاد (عليه السلام):

«اما حق امك فانك تعلم انها حملتك حيث لا يحتمل احدٌ احداً، واعطتك من ثمة قلبها ما لا يعطي احدٌ احداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظللّك، وتهجر النوم لأجلك، وقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه» «2».

عن الحكم قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) ان والدي تصدّق عليّ بدار ثم بدا له ان يرجع فيها - إلى ان قال: فقال: بئس ما صنع والدك فان أنت خاصمته فلا ترفع عليه صوتك وان رفع صوته فاحفض انت صوتك «3».

(1) - منازل الاخرة: 23.

(2) - البحار: 6 / 74.

(3) - الوسائل: 224 / 18.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 403

«ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ»

البقرة/ 215

27

مسؤولية الزوجين أزاء الأقربين

الأهل والأقارب

ان لكل من الزوج والزوجة أقارب واتباع لا يجوز لهما تناسيهم في الجوانب التي يقرّها الشرع المقدس، ولا يحق لأي منهما منع الآخر من التزاور معهم وأداء ما لهم من حقوق.

ان لكل من الزوج والزوجة أبٌ وأم، واخوة واخوات، أعمام وأخوال، عمّات وخالات وأبناء اخوة وأبناء أخوات أبناء عمومة وأبناء خوال، ولهم اجدادٌ وجدّات وعددٌ من الأقارب النسيين.

ان التزاور معهم يعدُّ من العبادات ومن الحسنات، والتردد عليهم يعتبر عملاً حسناً، وحل مشكلاتهم يمثل فعلاً يستحق الأجر والثواب.

على الزوجة ان لا تتبرّم حيال أقرباء زوجها وتمتنع عن الترحيب بهم إذا ما قدموا إلى بيت زوجها، أو يكفهر ووجهها في وجوههم حين تقابلهم وتعكّر الأجواء، أو تمارس اسوء من ذلك كلّ إذ تصد زوجها عن التزاور معهم وحل مشكلاتهم.

ان البيت ملك الزوج وقد أناط الله سبحانه وتعالى بالرجل مهمة التصرف بأمواله، وطاعة الزوجة لزوجها من الواجبات الشرعية، وايداء الزوجة لزوجها يعدُّ من المحرّمات، ومنعها اياه من التزاور مع ابويه واخوته واخواته وسائر اقاربه أمرٌ منافٍ للأخلاق والفضيلة والقيم الانسانية، وكذا منع الزوج زوجته من التزاور مع ابويها واقاربها وارحامها يعدُّ عملاً منافياً للمحبة والعواطف الانسانية.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 406

وإذا ما أصبح المرأة والولد حائلاً دون القيام بأعمال الخير والاحسان والتعبّد والتزاور مع الاقارب ومديد العون اليهم فإنهم - وكما يعبر القرآن الكريم - يعتبرون عدواً للانسان، ليس بمعنى العدو الذي يطفح قلبه بالضغينة، بل العدو الذي لا يود ان يرى الانسان سعيداً وهانئاً في الدنيا والآخرة، وعلى ربّ الاسرة أن لا يستسلم للنزعات الخاطئة التي تتملك الزوجة والولد إذا ما رام القيام باعمال الخير وحل مشكلات الناس والتزاور مع الارحام ودعوتهم إلى بيته، وابداء المساعدة لابويه واخوته واخواته.

وبطبيعة الحال فان المؤمنات من النساء، اللواتي آمنن بالله واليوم الآخر وتوفر لديهنّ الشعور بالمسؤولية والرغبة في اعمار آخرتهنّ وادركن ان اداء حق الزوج يعتبر واجباً شرعياً، وتأبن بالأخلاق الالهية، فإنهنّ على اتفاق مع ازواجهنّ في جميع شؤون الحياة والامور الأخلاقية وابتاء الصالحات، بل انهنّ إذا ما لمسن من ازواجهنّ تهاوناً على هذا الصعيد بادرن إلى حتّهم وترغيبهم إلى الصالح من الأعمال والتزاور مع الاقارب ومساعدتهم.

أما اللواتي يخالفن إرادة الحق تعالى في التوجهات، أو الأولاد الذين تخالف مآربهم إرادته جلّت قدرته، فهم ممن عدّهم القرآن الكريم في عداد الأعداء، وهنا يوجه الباري تعالى في كتابه الأوامر الإنسان فيما يخص هذا الجانب، وهذه الأوامر لها صبغة أخلاقية وعاطفية وإنسانية فقط، يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفُّوا وَ تَصَفَّحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»
«1».

ولا فائدة من الاصطدام مع مثل هؤلاء الزوجات والأولاد، ولا داعي

(1) - التغابن: 14.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 407

للجدال والصراع معهم ولا ضرورة تستدعي الغضب والتشاحن، ليقوا على إصرارهم، وما عليكم إلا الثبات في طريق طاعة الله سبحانه والانفاق والجهاد في سبيله وفعل الصالحات على كافة الأصعدة.

وفي الحقيقة فإن بعض النساء متزمتات في هذا الجانب، فهن قد حُرمن رحمة الله ويحاولن حرمان الآخرين منها وكذلك فإن بعض الرجال متشددون أيضاً أزاء زوجاتهم في هذا المجال، وتشدوهم هذا لا مبر له ولا فائدة منه سوى الحرمان من رحمة الله وفضله.

فما السبب الذي يدفع بالبعض من النساء إلى الوقوف بوجه أزواجهن ومنع اقربائه من دخول بيته وان لا يذهب هو لزيارتهم أو ان يمتنع عن اعانتهم مالياً وبالمقابل يتردد اقرباء الزوجة على البيت - الذي هو ملك الزوج ويخضع لتصرفه، ولا بد من ان يكون تردد الآخرين على هذه الدار باذنه - وتجري الامور وفقاً لما تشتهي الزوجة وتمضي اشهر وسنوات والرجل يعيش حسرة عدم دخول ابويه أو اخوته واخواته إلى داره فيما ينثال اقرباء المرأة على الدار طيلة هذه الاشهر والسنين.

ألا يمثل ذلك ظلماً بحق الزوج وأقاربه؟ انه الظلم، تلك الحالة النفسية الخطرة التي من ابثلي بها لعنه الله وأبعده عن رحمته وساءت عاقبته في الآخرة.

وهل من الأخلاق ان يمنع بعض الأزواج زوجاتهم من الذهاب إلى بيوت آبائهن أو اخواتهن ويتعاملون معهن كالأسير المرتهن؟

لا شك بأنّها اخلاقٌ شيطانية يرفضها الحق تعالى وتؤدي بالتالي إلى حرمان المرء من رحمة الله عزوجل.

لقد تطرق القرآن الكريم بما يقرب من ثلاث وثلاثين مرة إلى اقارب الانسان واوصى بهم، عدا الآيات المتعلقة بصلة الرحم.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 408

ونظراً إلى ان المؤمن مأمور بالافتداء بسيرة رسول الله (صلى الله عليه و آله) والتأسي به في جميع المجالات، فإنّ أحد واجباته يتمثل في هداية اقاربه وانداهم إذا كانوا بحاجة للهداية والانداز، والإنسان بحاجة إلى ذلك حتى آخره عمره. قال تعالى:

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» «1».

ما اجمله من عملٍ إذ يقوم الانسان بين الفينة والاخرى - إذا كان قادراً - بجمع أقاربه وأقارب زوجته في بيته وتقديم المواعظ لهم وتعريفهم مسائل الحلال والحرام وتحذيرهم عواقب الطالح من الأعمال والأخلاق وتعليمهم المسائل الفقية والشرعية؟

ان هداية الناس إلى المعارف الالهية عملٌ يناظر عمل الأنبياء والأئمة وفيه من الاجر والثواب ما يدهش العقول.

يروى ان العلامة المجلسي (رحمه الله) كان مواظباً على هذا العمل فيجمع زوجته وأولاده وأقاربه في ليالي الجمعة، ويراه واجباً عليه، لان انفاق العلم كانفاق المال عملٌ حسنٌ يحظى بقبول الحق تعالى.

وقد قرن تعالى في كتابه الاحسان إلى القربى إلى جانب طاعة الله والاحسان إلى الوالدين، وبذلك يبين عظمة الاحسان إلى الاقارب:

«... لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ ذِي الْقُرْبَىٰ» «2».

ان الانسان مجبولٌ على حبّ المال والثروة، ولولا حبّ المال لما توجه أحدٌ نحو العمل والفن والصناعة والتجارة والزراعة، والمال الذي يأتي عن طريق الكد يصبح معشوق الانسان.

والقرآن الكريم يدعو المؤمن إلى التخلّي عن هذا المعشوق من أجل حل

(2) - البقرة: 83.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 409

مشكلات ذوي القربى وتسيير حياتهم، وينفق ماله لاقاربه وارحامه رغم حبه له، إذن أن بذل المال لذوي القربى يعدّ من علامات الصادقين: «وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى» «1».

من الضروري ان يحصل القربى سواء من النسب أو الحسب وكلّ حسب موقعه وقربه على جزء من إرث المرء، وهنا تأملوا هذه الآية التي تعدّ وثيقة تدعم جميع الحقائق: «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى» «2».

ان اداء حق القربى والمحافظة على كراماتهم من الأهمية لدى الله تعالى إلى الحد الذي يأمر به الانسان ان يلتزم العدالة في القول ازاء القربى فيقول تعالى:

«وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى» «3».

فاحتقارهم والاستخفاف بهم بالقول والفعل يعتبر عملاً مخالفاً للشرع المقدس ومنافياً للأخلاق وتجاوزاً على الكرامة.

ان الله سبحانه وتعالى يأمر بالتزام العدل وبذل الاحسان وفي هذا المجال فهو يخص بالذكر ذوي القربى إذ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...» «4».

إن تقصير الاغنياء وذوي الثروة عن الانفاق على اقربائهم والعطاء لهم هو مما يرفضه الحق تعالى ويأنفه الشرع المقدس والعقل والمنطق والأخلاق والفطرة، يقول تعالى:

«وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى...» «5».

(1) - البقرة: 177.

(2) - النساء: 8.

(3) - الانعام: 152.

(4) - النحل: 90.

(5) - النور: 22.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 410

وإذا ما شهدتم في المحاكم فعليكم الشهادة بالعدل وتجنب كتمانها وإن كان ذلك يعود بالضرر عليكم أو على الوالدين والاقربين، يقول تعالى:

«... كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ» «1».

ويجب عدم الاستغفار للقربي إذا كانوا من المشركين ومبتعدين عن الله سبحانه صادقين عن دينه، يقول تعالى:

«مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى» «2».

وفي القرآن الكريم ورد الأمر بعدم التوادم مع الآباء والامهات والاولاد والأقارب إذا كانوا اعداء لله ورسوله «3».

وما خلا هذين الموردين، أي عدم الاستغفار للمشركين من القربي وعدم محبتهم، فإن أقباء المرء هم لحمه ودمه، ولا يحق للزوج أو الزوجة ان يمنع احدهما الآخر عن التزاور مع أقبائهم ومواصلتهم، لا سيما المرأة فلا يحق لها حرمان زوجها من هذا الفيض الوفير والخير العظيم الذي يوازي بالاجر طاعة الحق تعالى.

ان وصيتي إلى الازواج هي ان يتعاملوا مع اولي القربي على ضوء ما جاء في الآيات الثلاث والعشرين من كتاب الله باحترام اقباء بعضهم البعض والتزاور والتواصل معهم واعانتهم بما يستطيعون من المال إذا كانوا بحاجة لذلك.

وعلى الزوجة التزام الحذر من اثاره غضب الرجل لان غضبه وغيبضه - استناداً إلى ما جاء في الروايات - بمثابة غضب الرب وغيبضه، والمرأة التي لا

(1) - النساء: 135.

(2) - التوبة: 113.

(3) - المجادلة: 22.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 411

يرضى عنها زوجها لا يُقبل منها عملٌ واجبٌ كان أو مستحب «1».

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتُعْمُة» «2».

ان جانباً من ايداء الزوج يرتبط بالموقف ازاء اقاربه، إذ تعاند الزوجة زوجها بلا مبرر منطقي أو شرعي، وبذلك تحرم نفسها من رحمة الله عزوجل.

(1) - البحار: 244 / 100.

(2) - نفس المصدر: ص 253.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 413

«الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ»

الرعد/ 21

28

صلة الرحم

القرآن وصلة الرحم

صلة الرحم: من صالح الأعمال وارضائها التي أُكِّد عليها الباري عزوجل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام).

وقد فسّر العلامة التحرير والمحدث الكبير والفيلسوف الجليل والعارف الملا محسن فيض الذي امضى عمره مع القرآن والأحاديث الشريفة، صلة الرحم، بزيارة الارحام وقضاء حوائجهم وحلّ مشكلاتهم المادية واعانتهم على صعيد العمل والتكسب وتزويج ابنائهم وبناتهم، وإذا ما جرى التمعن بآيات القرآن الكريم والاحاديث فإنّ المعنى ذاته يستفاد من موضوع صلة الرحم.

وقد تركزت سيرة الأنبياء وأخلاق أئمة الشيعة في صلة أرحامهم على القيام بهذه الأعمال، والقرآن بدوره يوصي بصلة الرحم معتبراً إياها من افعال الذين يعقلون، ومعتبراً قطيعة الرحم فسقاً ومرتكبها فاسقاً.

وفي سورة النساء يأمر تعالى بتقوى الله والارحام، وإنّه لمن المدهش ان يذكر تعالى الارحام بعد ذكره جلّ اسمه فيقول: «وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ» **«1»**.

وفي سورة الرعد يذكر تعالى خصلاً يعدها من خصال اولى الابواب يستحقون ان تلتقاهم الملائكة في المحشر يسلمون عليهم ولهم نعم العاقبة، ومن

(1) - النساء: 1.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 416

بين هذه الخصال صلة الرحم، يقول تعالى: «وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ...» **«1»**.

وفي سورة البقرة يقول تعالى بشأن قطع الرحم: «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» **«2»**.

نعم، قطيعة الرحم خسران ليس بالهين.

وفي سورة الرعد ثمة آية قاسمة للظهر، إذ يقول تعالى: «... وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَ هُمْ سُوءُ الدَّارِ» **«3»**.

ويقول تعالى في سورة محمد (صلى الله عليه و آله): «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ»
«4».

فإي أهمية تحظى بها صلة الرحم بحيث ان صاحبها تستقبله الملائكة يوم القيامة وتسلم عليه وتحسن عاقبته، ونصيب قاطع الرحم اللعنة وسوء الدار والهلاك.

ان سد ما يعاني منه الارحام من عوز مادي من خلال الانفاق عليهم بما يحفظ كرامتهم وشخصيتهم له من الفوائد ما لا يُحصى، يقول تعالى: «وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» «5».

ويقول تعالى: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَ تُؤْثَرُهَا الْفُقَرَاءُ فَهِيَ

(1) - الرعد: 21.

(2) - البقرة: 27.

(3) - الرعد: 25.

(4) - محمد: 22.

(5) - البقرة: 265.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 417

خَيْرَ لَكُمْ وَ يُكْفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» «1».

وقوله تعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ»
«2».

مشروع شامل و بدیع

لنبحث عن اقاربنا - نسباً وحسباً - غنيهم وفقيرهم ثم ندعو الاغنياء منهم ونتلو عليهم ما ورد من آيات وأحاديث بشأن صلة الرحم ونوضحها لهم ثم نطلب من كل واحدٍ منهم ان يودع كل شهر أو سنوياً - بما تسمح به ثروته وأمواله - مبلغاً من المال لدى احد وجهاء القوم وكبارهم ومن ثم ايداعه في أحد صناديق التسليف ومنحه كقرضٍ أو مساعدة للفقير من الارحام إذا ما دامه طارئٌ ليتسنى له شراء دارٍ إذا احتاج لذلك أو سدّ ما ينقصه من اثاث البيت أو اعداد جهاز لابنته أو تزويج ابنه.

انّه عملٌ يسيرٌ مرضيٌ لدى الله، حلالٌ للمشاكل، مزيلٌ للآلام وقد جرى التنويه إلى جزائه بالاجمال خلال الآيات الآتية.

لنحاول توضيح هذا المشروع لجميع الناس ونحثهم على تطبيقه، فاذا ما طبق في جميع انحاء البلاد حينها سيرفع وزرٌ ثقیل عن كاهل الدولة والخيرين ويصيب الاغنياء الاجر العظيم جزاء اعانتهم لاولي القربى.

وفي آيات الانفاق قدّم القرآن الكريم الانفاق على الاقربين على غيرهم ثم ذكر اليتيم والمسكين والفقير وابن السبيل والسائلين، وعلى سبيل المثال تأملوا

(1) - البقرة: 271.

(2) - البقرة: 274.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 418

هذه الآية الكريمة:

«وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ» «1».

قصه مدهشه

يروى الصدوق بسند معتبر عن الامام الصادق (عليه السلام):... لما صادت السمكة في البحر الذي فيه قارون سمع قارون صوتاً لم يسمعه فقال للملك الموكل به: ما هذا الصوت؟ قال: هو يونس النبي (صلى الله عليه و آله) في بطن الحوت، قال: فتأذن لي ان اكلمه؟ قال: نعم، قال: يا يونس ما فعل هارون؟ قال: مات، فبكى قارون، قال ما فعل موسى؟ قال مات، فبكى قارون، فأوحى الله تعالى جلّت عظمته الى الملك الموكل به: ان خفف العذاب على قارون لرقته على قرابته «2».

روایات فی صلة الرحم

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«صِلْ رَحْمَكَ وَلَوْ بِشَرْبَةِ مِنْ مَاءٍ وَأَفْضَلُ مَا يُوَصَّلُ بِهِ الرَّحِمَ كَفُّ الْإِذَى عَنْهَا» «3».

فالارحام أشد ما يؤذيهم روحيا الاحتقار والتوهين والصاق التهم والتكبر، وأفضل درجات صلة الرحم كفّ الإذى عنهم.

وقال (صلى الله عليه و آله):

«صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ بِسَلَامٍ» «4».

(1) - البقرة: 177.

(2) - سفينة البحار ج 1 / 183، بحار الأنوار ج 14 / 391 ح 11.

(3) - البحار: 103 / 74.

(4) - البحار: 104 / 74.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 419

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«يَسِرُّ سَنَةً صِلَ رَحِمَكَ» «1».

وروي عنه (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم وَمَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنْ يَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْهُ عَلَى مَسِيرَةِ سَنَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الدِّينِ» «2».

وفي الروايات الواردة على مدى الصفحات 111- 126 من الجزء الرابع والسبعين من كتاب بحار الانوار تتجلى فائدة صلة الرحم، وهنا ننقل طائفة من تلك الروايات:

قال الباقر (عليه السلام):

«صلة الارحام تُزَكِّي الأعمال، وتُثَمِّي الاموال، وتدفعُ البلوى وتنسيءُ من الاجل».

وقال أبو عبدالله الصادق (عليه السلام):

«ان صلة الرحم والبرّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا ارحامكم، وبُثُوا باخوانكم ولو بحُسنِ السلام وردّ الجواب».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر».

«صلة الرحم تعمّر الديار وتزيد في الاعمار وان كان اهلها غير أختيار».

«من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه اعطاه الله عزوجل اجر مئة شهيد، وله بكلّ خطوة اربعون الف حسنة ويُمحى عنه اربعون الف سيئة ويُرفع له من الدرجات مثل ذلك وكأنا عبد الله مئة سنة صابراً محتسباً».

وعنه (صلى الله عليه و آله) أنّه قال:

(1) - البحار: 103 / 74 - 105.

(2) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 420

«ان في الجنة درجة لا يبلغها الا امام عادل أو ذو رحم وصول أو ذو عيال صبور».

وقال (صلى الله عليه و آله) لأبي ذر:

«صل قرابتك وان قطعوك».

ان رجلاً اتى النبي (صلى الله عليه و آله) فقال: يا رسول الله، اهل بيتي أبوا إلا توثباً عليّ وقطيعة لي وشتيمة، فارفضهم؟ قال (صلى الله عليه و آله): إذن يرفضكم الله جميعاً، قال: فكيف اصنع؟ قال: تصلّ مَنْ قطعك وتُعطي مَنْ حرّمك وتعفو عَمَّن ظلمك، فإنّك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهيرٌ.

روایات فی قطیعة الرحم

وعن الجهم بن حميد قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام)

«يكون لي القرابة على غير أمري، ألهم عليّ حق؟ قال نعم، حقّ الرحم لا يقطعه شيءٌ وإذا كانوا على امرك كان لهم حقّان، حقّ الرّحم وحقّ الاسلام» «1».

عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنّه قال: في كتاب رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا قطعوا الارحام جُعِلَتِ الاموال في ايدي الاشرار» «2».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمئٌ خمرٍ، ومؤمئٌ سحرٍ، وقاطع رحمٍ» «3».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام) في خطبة

«اعوذ بالله من الذنوب التي تعجّل الفناء فقام اليه عبدالله بن الكوّاء يشكري فقال: يا أميرالمؤمنين أو تكونُ ذنوب تعجّل الفناء؟ فقال:

نعم ويليكَ قطيعة الرحم» «4».

(2) - البحار: 369 / 74.

(3) - البحار: 90 / 74.

(4) - البحار: 137 / 74.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 421

وقال (عليه السلام) أيضاً:

(اقبِخِ المعاصي قطيعة الرحم والعقوق) «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم» «2».

وعنه (صلى الله عليه و آله) ايضاً:

«ان الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم» «3».

(1) - ميزان الحكمة: 89 / 4.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 423

«فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

بواعث سعادة الأسرة وشقائها

السعادة والشقاء

ان السعادة والشقاء يمثلان افراراً لافعال الانسان واخلاقه وعقائده، فالعقائد السليمة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة تورث السعادة، أما العقائد الخاطئة والأخلاق القبيحة والأعمال الطالحة فهي تورث الشقاء.

والسعادة تعني حسن الحظ في الدنيا والآخرة، أما الشقاء فهو يعني التعاسة وسوء الحظ في الدنيا والآخرة.

والسعادة مصداقها رضوان الله وحنان الخلد، أما الشقاء فمصادقه غضب الله والخلود في العذاب الاليم.

ومن الحري بالاسر المسلمة المؤمنة الاهتمام بهاتين المفردتين، أي السعادة والشقاء، فعلى الزوجين العمل منذ بداية حياتهما الزوجية على توفير أسباب السعادة والتخلص من عوامل الشقاء وذلك من خلال اعانة بعضهما البعض كي تصفو لهما أجواء الدار وتصبح بيئة صالحة لأولادهما.

على الاسرة العمل منذ انطلاق الحياة الزوجية على توفير دواعي بلوغ رضى الحق تعالى ودخول جنانه من خلال التحلي بالايمن والقيام بصالح الأعمال والتزام الأخلاق.

وقد جرى التطرق إلى السعادة والشقاء في آيات الكتاب العزيز والأحاديث وجرى بيان اسبابهما بالتفصيل وجرى تحذير الناس جميعاً من ان يحرّموا انفسهم السعادة ويوقعوها في الشقاء.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 426

ونظراً إلى ان الحديث يتركز حول نظام الاسرة وما يتوجب على أهل الدار من التزام بعض القواعد ازاء بعضهم البعض الآخر والاحتراز عن امورٍ اخرى حيث تتوقف سعادتهم على ذلك، فاني اشير إلى محاسن الأخلاق ومساوئها فقط لحاجة الاسر إلى ذلك، واحيل الحديث عن الايمان والعمل إلى الكتب التي تتناولهما بالتفصيل.

ان عوائلنا لا سيما في ايران تتمتع إلى حدٍ ما بالايمان بالله واليوم الآخر والأنبياء والأئمة وتؤدي الفرائض مثل الصلاة والصوم والحج والحقوق الشرعية وتتورع عن ارتكاب المحرمات كأكل الحرام واللجوء إلى الغرائز التي تتنافى وانسانية الانسان، وتراعي ما فُرض بخصوص المحارم، إلا ان اغلب ما تعانيه العوائل من ضعف هو عدم التزام الجوانب الأخلاقية وعدم الابتعاد عن المساويء الروحية، حيث اكتفي هنا بتوضيح هذين الجانبين بالقدر اللازم.

الانصاف

وهو يعني العدل وتقديم الخدمة للآخرين، وان يجب المرء لغيره ما يحب لنفسه ويبغض لهم ما يبغض لها، وينبغي ان تسود هذه الخصلة على تصرفات الزوجين فيما بينهما وعلى تصرفاتهما ازاء أولادهما وعلى تصرفات الاولاد ازاء والديهم، فكل فرد في المجتمع مأمورٌ بأن ينصف الآخرين وان يراعي الناس في كل عمل يقوم به.

قال الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«أعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه وكره لهم ما يكره لنفسه» «1».

(1) - البحار: 25 / 72.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 427

وقال (صلى الله عليه و آله):

«مَنْ وَاَسَى الْفَقِيرَ وَانْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا» «1».

وقال (صلى الله عليه و آله) لأُميرالمؤمنين:

«الانفاق من الاقتار، وانصاف الناس من نفسك، وبذل العلم للمتعلم» «2».

وقال رجلٌ لرسول الله (صلى الله عليه و آله):

«علمني عملاً لا يحال بينه وبين الجنة قال: لا تغضب، ولا تسأل الناس شيئاً، وارض للناس ما ترضى لنفسك» «3».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«الا إله من يُنصف الناس من نفسه لم يزد الله إلا عزّاً» «4».

ما اجمالها من حياةٍ واحلاها حين يتوسم الزوج الانصاف أزاء زوجته، والزوجة ازاء زوجها، وكلاهما حيال أولادهما، والأولاد حيال أبويهم، ويحبُّ كلُّ منهم للآخر ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها.

فلا تكن الراحة من نصيب رب الاسرة وأولاده فيما تتحمل الام اعباء البيت ومشاقه، أو يشقى الابوان فيما يصب الاولاد همهم على الأكل والنوم فقط بل يمتنّون على أبويهم كذلك، على الجميع ان يُنصف بعضهم البعض ويخدمه ويعدل بحقه، وان يعين بعضهم بعضاً في انجاز اعمال البيت كي يتوفر جانبٌ من سعادتهم وينجون من الشقاء.

(1) - البحار: 25 / 72 - 28.

(2) - نفس المصدر.

(3) - البحار: ج 150 / 96 ح 2، وج 78 / 86 ح 1.

(4) - البحار: 33 / 72.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 428

ان التحلي بالرفق واللين والانسجام، والتعايش استناداً إلى الأخلاق الفاضلة يُعدُّ نوعاً من العبادة تورث الثواب الجزيل والمنافع المهمة للغاية، بالإضافة إلى كونها فرضاً مبرماً يفرضه الاسلام العزيز.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«الرفق بمن، والخرقُ شؤمٌ» «1».

وقال (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«ألا اخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الهيئ القريب اللين السهل» «2».

ونادى موسى (عليه السلام) ربه:

«الهي ما جزاء من كفَّ أذاه عن الناس وبذل معروفه لهم؟ قال: يا موسى تُناديه النار يوم القيامة: لا سبيل لي عليك» «3».

وسئل رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«من سلّم المسلمون من يده ولسانه» «4».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ما من عملٍ أحبّ إلى الله تعالى ورسوله من الايمان بالله والرفق بعباده، وما من عملٍ ابغض إلى الله تعالى من الاشراك بالله تعالى والفتن على عباده» «5».

ان الواجب الالهي يحتم على الزوج والزوجة وأولادهما التحلي بالرفق والمداراة واللين والتوفير والتساهل ازاء بعضهم البعض وازاء الآخرين.

(1) - البحار: 51 / 72 - 52.

(2) - نفس الصمدر.

(3) - نفس الصمدر.

(4) - البحار: 53/72 - 54.

(5) - نفس الصمدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 429

النصيحة

ويترتب عليها منافع دنيوية واخروية، أما قبول النصيحة فيورث تنوّر القلب والبصيرة، وعلى كلّ فرد تقديم النصح وحبّ الخير لغيره بما تسمح به قابليته ووسعه، والحري بمن نُصح الاستماع للنصيحة والموعظة والاستجابة لها.

وإثناء تقديم النصح ينبغي التخلي عن الخجل والحياء لانتفائهما في هذا الموقف، ولا بد من ترك الكبر والغرور عن تقبل النصح، لان الحياء - وكما صرح بذلك النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) - يحول دون تقديم النصيحة، والكبر يمنع من قبولها وهو من الخصال الشيطانية.

ربما يتطلب الأمر ان يبادر رب الاسرة إلى تقديم النصح والموعظة لعياله ويوجههم إلى واجباتهم، وتارة قد يستوجب الموقف ان تبادر الزوجة إلى نصح زوجها، وتارة اخرى قد يتوجب على الاولاد نصيحة والديهم، وعلى كلّ منهم الاستماع إلى نصيحة الطرف والمقابل والابتعاد عن التكبر والغرور.

يقول الامام الصادق (عليه السلام):

«مَنْ رَأَى أَخَاهُ عَلَى أَمْرٍ يَكْرَهُهُ فَلَمْ يَرُدَّهُ عَنْهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَقَدْ خَانَهُ» «1».

الأدب

ان الاتزان والتحلي بالوقار والتزام الآداب ومدارة الآخرين أثناء التعامل والمحافظة على الشخصية في جميع الاحوال وامام جميع الناس، والتكلم عند الضرورة، واحترام الناس، وما شابه ذلك، كلها تعتبر من مراتب التأدب.

(1) - البحار: 65 / 72.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 430

على الزوج، ان يتحلي بالآداب ازاء زوجته، وعلى الزوجة ان تكون مؤدبةً قبال زوجها، وعليهما ان يلتزما حيال أولادهما، وعلى الاولاد التحلي بالآداب ازاء أبويهم.

ان التأدب يرفع الانسان ويصون شخصيته وعزته، ويزيد في المحبة، ويُتمي الاصحاب، ويسمو بالمرء سواء داخل الاسرة أو خارجها، وبالإضافة إلى كل ذلك فإن الأدب مدعاة لنزول الرحمة الالهية ومراعاته تعتبر ضرباً من العبادة.

قال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«لا حسب ابلغ من الادب» «1».

ومن كلام له (عليه السلام):

«... وكفى بك ادباً لنفسك تركك ما كرهته لغيرك» «2».

وفي حديث له (عليه السلام) قال:

«حُسن الادب ينوب عن الحسب» «3».

المحافظة على الاسرة من التهمة

ان السلوك والتصرف والمعاشرة ومصاحبة الآخرين يجب أن تكون - في نظر الاسلام - بنحو لا يعرض الاسرة أو الفرد للتهمة، إذ ان التهمة تطيح بصرح الاسرة وتثير المتاعب والمنغصات وتعكر صفو الحياة.

فرما یواجه المرء موقفاً أو فعلاً أو شخصاً يرى عدم وجود مانع من التعامل معه، غير أن الآخرين ونظراً لجهلهم بواقع الأمر وعدم امساكهم لألسنتهم عن

(1) - البحار: 67 / 72.

(2) - نفس المصدر.

(3) - البحار: 68 / 72.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 431

تقييم الامور فإنهم يشيعون ما يحصل بين الناس بصورة مغايرة وحينها نظرة الناس لا سيما الجيران حول الشخص، وبذلك توجه ضربة ما حقة بحيثية الاسرة وكرامتها، وتلحق خسارة فادحة بمستقبل الاسرة وابنائها، فاذا ما اراد الدخول بعملية تجارية أو حاول اقامة علاقات مع اصدقاء له، أو اراد تزويج ابنه أو بنته، فان ذلك يحول دون انجاز هذه الأعمال البناءة نتيجة تلك التهمة التي وقعت بلا مبرر الا ان الانسان تسبب بها نتيجة لغفلته.

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«يا بني مَنْ يصحب صاحب سوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل سوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم» «1».

ويقول النبي الاكرم (صلى الله عليه و آله):

«أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة» «2».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«مَنْ وقف نفسه موقف التهمة فلا يلومَنَّ من أساء الظنَّ به» «3».

وفي رواية عجيبة قال الامام الصادق (عليه السلام):

«اتَّقوا مواضع الرِّيب، ولا يقفَنَّ احدكم مع امه في الطريق، فإنَّه ليس كلُّ أحدٍ يعرفها» «4».

نعم، فربا اشاع جاهل بين الناس ان فلاناً قد غازل امرأة غريبة وهو مشهور بين الناس بعدم صلاحه، فعلى الناس ان يتبينوا أمره لئلا ينال من نواميس

(1) - البحار: 90 / 72.

(2) - نفس الصمدر.

(3) - نفس الصمدر.

(4) - البحار: 91 / 72.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 432

الآخرين.

يتعين على رب الاسرة وزوجته وأولادهما الابتعاد عن مواطن التهمة وان لا يضعوا انفسهم فيما ينال من كرامتهم، إذ ان الاسلام كثيراً بهذا الشأن.

الوفاء بالعهد

ان الوفاء بالعهد يعد واجباً فقهياً وشرعياً، ونقضه من المحرمات.

ان العقد بين الرجل والمرأة يعتبر عهداً الهياً على الجانبين المحافظة عليه والوفاء به، ان الوعد الذي يعطيه الزوج لزوجته والزوجة لزوجها، ويعطيه الاثنان لأولادهما يعد نوعاً من العهد يجب الوفاء به إذا لم يكن هنالك مانع شرعي عنه، ويحرم نقضه.

قال تعالى:

«وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» «1»

والامانة والوفاء بالعهد من علامات المؤمن، يقول تعالى:

«وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» «2»

قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد «3».

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«اداء الامانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين» «4».

(1) - الاسراء: 34.

(2) - المؤمنون: 8.

(3) - البحار: 92 / 72.

(4) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 433

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«لا دين لمن لا عهد له».

وقال الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام):

«إنا أهل بيت نرى ما وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول الله (صلى الله عليه و آله)» «1».

التشاور

يجب ان لا تكون الدار مركزاً استبدائياً ينفرد بحكمه شخصٌ واحدٌ يفرضُ ما تملّيه أفكاره ورغباته.

ان للمشاوره فوائد جمة، فاذا ما تشاور الزوجان حول شؤون الاسرة، واستشارا البالغين من أولادهما، أو كبار السن الذين خبروا الحياة وذاقوا حلاوتها ومرارتها فإن ذلك يصب في صالحهما وربما نفعهما في الدنيا والآخرة.

عليكم المواظبة على المشاورة فلا تشبثوا بالمحورية، ولا تحملوا آراء الآخرين أو تردوها، ولا تنظروا إلى انفسكم على انكم اعلم من سواكم، مهّدوا أرضية التشاور لجميع افراد الاسرة، إذ ان التشاور يعتبر عاملاً مساعداً وربما منقذاً من المهالك.

لقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بالتشاور وذلك ما هو بارز في الآية 159 من سورة آل عمران والآيات 36 - 38 من سورة الشورى، والتشاور يعتبر في الحقيقة اتباعاً للقرآن وحالاً للمشاكل وحصناً منيعاً في وجه المخاطر.

قال الصادق (عليه السلام):

«شاوُر في أمرِكَ الذين يخشون الله عزوجل» «2».

(1) - البحار: 97 / 72.

(2) - البحار: 98 / 72.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 434

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«رجلٌ استكثر عمله ونسي ذنوبه واعجب برأيه» «1».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«خاطر بنفسه من استغنى برأيه» «2».

وعلى من استشير ان يلتزم الحق في الاجابة وتوجيه من طلب المشورة إلى افضل السبل، فالخيانة في المشورة من أعظم الذنوب.

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«من غش مسلماً في مشورة فقد برئت منه» «3».

التواضع

وهو ميزة اخلاقية وانسانية واسلامية، وثمرة طيبة لمعرفة النفس.

ان الذي يرى نفسه عبداً لله تعالى، وان كل ما لديه من نعمٍ انما هي منه جلّ اسمه، وينظر إلى الآخرين جميعاً على أنهم افضل منه، والخلق جميعاً عباد لله، ولا يرى لنفسه شيئاً على امتداد هذه الارض الفسيحة، فإنه يغرق في بحرٍ من التواضع.

ان الرجل الذي يرى المرأة عبداً لله والاولاد ملكاً له جلّت قدرته، ويعتبر نفسه خادماً لهم، وانهم جميعاً أمانة في يديه لن يتعامل معهم إلا بتواضعٍ وانبساط.

ومن الطبيعي ان تتواضع المرأة لزوجها واسرتها إذا ما تنزهت عن التكبر ولم تُعر حسبتها ونسبها ومكانتها أية أهمية في تعاملها مع زوجها، ولا تعدّ علمها شيئاً

(1) - نفس المصدر.

(2) - البحار: 98 / 72 - 99.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 435

ولا تنظر لما تحمل من شهادة علمية على أنها مبعث عزّة لها.

ولا يتحلّى العقلاء من الأولاد إلا بالتواضع والخضوع قبال أبويهم.

ان التواضع يمنح العزة والشرف والعظمة، ويجلب الرفعة والشموخ، ويضفي على الدار الانسجام والصفاء والمحبة ويرسخ التلاحم الاسري.

على المتكبر ان يعلم بعدم وجود من يدعن لتكبره حتى زوجته وولده، وان نفوسهم ترفض التكبر وتُسقط المتكبر من أعينهم.

قال الامام الحسن العسكري (عليه السلام):

«... ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) حقاً» «1».

وعن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام):

«ان من التواضع أن يرضى الرجل بالجلوس دون المجلس، وان يُسَلَّم على مَنْ يلقى، وان يترك المراء وان كان مُحَقَّقاً ولا يحبُّ أن يُحمد على التقوى» «2».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) قبيل شهادته:

«عليك بالتواضع فإنه من اعظم العباداة» «3».

العطف على الصغير واحترام الكبير

ان أوامر الاسلام الموجهة للرجال والنساء كافة تركز على العطف على الصغير واحترام الكبير.

ينبغي ان تتحول الاسرة إلى محلّ تطبيق فيه الاحكام الالهية وتعاليم الأنبياء

(1) - البحار: 72 / 117.

(2) - البحار: 72 / 118 - 119.

(3) - نفس المصدر.

ان الغضب على الصغير والصراخ بوجهه واحتقاره وإهماله وعدم الوفاء بالوعد إزاءه كل ذلك يعتبر من المعاصي، كما أن عدم احترام الكبير والنظر إليه نظرة غضبٍ وعدم الاستماع إلى مطالبه وإظهار الملل والتعب منه يعتبر ذنباً ومعصيةً.

اننا الوسيلة التي من خلالها تُخلق الصغار، وعلينا إيلاؤهم المزيد من المحبة كي يشعروا بالاطمئنان، ونُحْنُ حصيلة الكبار، إذن فلهم دينٌ عظيم في رقابنا ومن الواجب المحتّم علينا احترامهم.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) قبيل شهادته:

«وارحم من اهلك الصغير ووقّر منهم الكبير» «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«بجّلوا المشايخ فإن من اجلال الله تبجيل المشايخ» «2».

وقال (صلى الله عليه و آله):

«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقّر كبيرنا» «3».

حسن الضيافة

هنالك من العوائل مَنْ يمسكون عن الضيافة وإقراء الضيف، وهذا الامساك إما دليلٌ على العجز والكسل أو البخل، وكل ذلك قبيحٌ بايِّ نحو كان، وعلى افراد الاسرة زوجٌ وزوجةٌ وأولاد ان يستقبلوا الضيوف بكل بشاشة وجه، لان ذلك

(1) - البحار: 72 / 136.

(2) - نفس المصدر.

(3) - البحار: 72 / 137.

تجسیداً لأخلاق الأنبياء وسبباً لرضى الحق تعالى والسعة في الرزق، ومدعاة لنزول الرحمة الالهية ودفع البلاء والأخطار عن أهل الدار.

إن الضيافة من الأهمية بحيث ورد في النصوص الاسلامية ان الضيف رزقه معه، وصاحب الدار ضيفاً على ضيفه، وان الحث على هذا الأمر والتزغيب به من الأعمال المرضية ومن أسباب ترسيخ القيم الأخلاقية، والصدود عن هذه الخصلة الحميدة يتنافى مع الأخلاق الانسانية.

قال أبو عبدالله الصادق (عليه السلام):

«المكارم عشرٌ فإن استطعت ان تكون فيك فلتكن، احدها اقرء الضيف» «1».

وعنه (عليه السلام):

«... انهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك» «2».

وقال الباقر (عليه السلام):

«شيع أربع من المسلمين يعدل عتق رقبة من ولد اسماعيل» «3».

بناء على ذلك، فان الانصاف، والمداواة والرفق، والادب، واجتناب مواضع التهمة، والوفاء بالعهد، والتشاور، والتواضع، والعطف على الصغير واحترام الكبير، واقراء الضيف، انما هي من دعائم العظمة ومن موجبات السعادة دنيوياً واخروياً.

(1) - البحار: 72/ 459 - 460.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

بواعث الشقاء والتعاسة

يجب ان تُنزه الاسرة من الجفاء وتباعد وتبادل الاتهامات والافتراء، والتشاجر بالالفاظ، والتنقيب عن العيوب، والغيبة والنميمة، والمكر والاحتتيال والغش، والسخرية بالآخرين والاسراف، والكبر، والحسد، والبخل، واطاعة الآخرين في ما يُعصى به الله تعالى، والتحامل على الغير، والعداوة والضعينة، ولكل واحد من ذلك آياته الخاصة في القرآن الكريم وبابه المستقل في الروايات - وان يتطهر الدار واهلها من هذه الخصال الذميمة، لأنّ كلاً منها في عداد المعاصي، وبعضها من الكبائر التي تستوجب العذاب يوم القيامة، وكلّ منها بمثابة المعول الذي يضرب شجرة الاسرة من الجذور، وسبب في حلول الشقاء والتعاسة.

واحليكم إلى تفاصيل هذه المواضيع في القرآن الكريم ومن ثم إلى التصنيف كالجزء الثاني من الكافي والجزء الحادي عشر من الوسائل، والشافي للفيض، والمحجة البيضاء وجامع السعادات لنراقي، وسائر الكتب الأخلاقية والروائية إذ ان بيان تفاصيلها مما لا يستوعبه الحديث ويحتاج إلى المزيد من الوقت والعديد من الجلسات.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 439

«و ما من شيء ابغض إلى الله عزوجل من الطلاق»

الوسائل: 7 / 22

30

الطلاق والارث

قبح الطلاق

ان الطلاق بنفسه ليس بالامر المستحسن، وفعلٌ قبيحٌ ومذموم، ييغضه الله سبحانه وانبياءه وائمة الهدى (عليهم السلام) الا ان يكون لسبب مشروع يرتضيه العرف.

ان الطلاق نزولاً عند رغبات الرجل أو المرأة ونزواتهما يعتبر فعلاً منافياً لتعاليم الحق تعالى ومبادئ الانسانية، وتلاعياً باحكام الشرع، وتجاوزاً على شخصية أحد الطرفين.

وفي البداية اشير الى الروايات الوارد بشأن الطلاق، ومن ثم اتطرق إلى آيات الكتاب العزيز وضوابط الطلاق على ضوء ما جاء في كتاب الله.

يروى الحكيم الجليل السبزواري في شرح المثنوي.

ما خلق الله شيئاً على وجه الارض أحب من العتاق، ولا خلق شيئاً على وجه الارض ابغض من الطلاق.

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ما احلَّ الله شيئاً ابغض اليه من الطلاق» «1».

وعنه (صلى الله عليه و آله):

«ان الله لا يحب الذواقين والذواقات» «2».

وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام):

(1) - الوسائل: 15 / 280.

(2) - ميزان الحكمة: 5 / 546.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 442

«ان الله عزوجل يُغض كلَّ مطلقٍ ذواق» «1».

وقال الصادق (عليه السلام):

«ان الله عزوجل يحب البيت الذي فيه العرس، ويُغضُّ البيت الذي فيه الطلاق» «2».

مقدمات الطلاق

عندما يبرز من الرجل ما يؤدي إلى استحالة حياة الزوجة معه، أو يظهر من المرأة ما يجعل من استمرار بقاء الزوج معها أمراً صعباً ومعتزلاً، ويعتذر ازالة اسباب ذلك وتتوفر الاجواء لوقوع الطلاق حينها يصبح الطلاق مشروعاً لا مانع دونه.

وفي هذه الحالة على الزوجين واسرتهما عدم التشدد وتجنب الكلام اللاذع بحق كلٍّ من الزوج والزوجة أو اسرة كلٍّ منهما.

وإذا ما كان للخلاف بين الزوج وزوجته سبب مشروع ينبغي ان لا يؤدي بأن يرتكب الآخرون أو الزوجان الذنوب كالغيبة والافتراء والتحقير والتأنيب والاستهزاء، لان من شأن ذلك اضرار جذوة الحقد لدى الرجل والمرأة واسرتهما فيما بينهم، وهو عاملٌ في ان ينال الانسان العذاب الاخروي.

ومما يبعث على الاسف ان باب الغيبة والافتراء والضعينة تفتح على مصاريعها عند وقوع الطلاق، ويقع الكثير من أفراد الاسرة في هذه الذنوب الكبيرة ويتجرعون الشقاء.

إذا لم تعد المرأة صالحة للعيش مع الرجل، وتعذر على الرجل تحملها، أو ان الرجل لم يعد ذلك الرجل الذي تتوفر فيه الشروط التي تضمنها عقد الزواج ولم

(1) - الوسائل: 8 / 22، طبعة مؤسسة آل البيت.

(2) - الوسائل: 7 / 22.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 443

توضع تلك الشروط موضع التنفيذ، حينها يحق للزوجة ان تطلب الطلاق، أو بالعكس، آنذاك ينبغي ان يتم الطلاق بكل هدوء ويسر بعيداً عن التورط بالمعاصي، لا أن ينتهي الأمر إلى الفوضى والصراخ والمشاجرة ودخول كلتا الاسرتين في النزاع وتحصل المعصية بكل معانيها وتذهب كرامة اسرتين كريمتين.

ولا مناص هنا من التطرق إلى اثنتين من المعاصي التي تحيق بأسرتي الطرفين حين اللجوء إلى الطلاق، وليتورع الجميع عن المعاصي والذنوب من خلال الالتزام بالتعاليم الإلهية.

الغيبة

قال تعالى في كتابه الحكيم:

«لَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَجِبْتُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» «1».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«الغيبة اسرغ في دين الرجل من الأكلة في جوفه» «2».

وعنه (صلى الله عليه وآله):

«ياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا» «3».

وقال (صلى الله عليه وآله):

«مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت: يا جبرئيل

(1) - الحجرات: 12.

(2) - الوسائل: 152 / 12.

(3) - البحار: 222 / 5.

وعنه (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«ان الله حَرَّمَ الغيبة ما حَرَّمَ المال والدم» «2».

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«الغيبة آيةُ المنافق» «3».

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«من اقبح اللّؤم غيبة الأخيار» «4».

وقال الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام):

«ملعونٌ من اغتاب اخاه» «5».

وقال الحسين بن علي (عليه السلام) لمغتتاب:

«يا هذا كفّ عن الغيبة فإنّها إدام كلاب النار» «6».

نعم لا غيبة للضال وصاحب البدعة والحاكم الظالم والمتجاهر بالفسق «7» وقال أميرالمؤمنين عن مستمع الغيبة:

«السامع للغيبة كالمغتتاب» «8».

وفي رواية عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) في ردّ الغيبة وعدم الاستماع لها والذبّ عن

(1) - ميزان الحكمة: 332 / 7 - 333.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نفس المصدر.

(5) - البحار: 333 / 77.

(6) - البحار: 117 / 78.

(7) - البحار: 253 / 75.

(8) - ميزان الحكمة: 352 / 7.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 445

عرض المؤمنين، انه قال:

«من ذبَّ عن عرض اخيه بالغيبة كان حقاً على الله ان يعتقه من النار» «1».

بناءً على ذلك، فان ما ينبغي طرحه في عملية الطلاق، هو الطلاق فحسب، إذ ان التفوه بما يخرج عن اطار الحق والانصاف والعدل لا يعدو كونه ذنباً، ودخولاً إلى نار جهنم بالنسبة للآخرين.

التهمة والافتراء

ربما يلجأ الزوج إلى اتهام زوجته وتلطيخ سمعتها بين الناس لتبرير طلاقها، وقد تلجأ الزوجة إلى ذلك أيضاً، كما ان اسرة الزوج قد تبادر إلى اتهام اسرة الزوجة وبالعكس، وهذا ما لا مثيل له في القبح والدناءة وما لا يقاس عذابه في الآخرة.

يروى الامام الصادق (عليه السلام) عن حكيم:

«البهتانُ على البريء اثقلُ من الجبالِ الراسيات» «2».

ويروي الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن ابائه (عليهم السلام):

«مَنْ بَهَتَ مؤمناً أو مؤمنةً أو قال فيه ما ليسَ فيه اقامه الله يوم القيامة على تلٍّ من نارٍ حتى يخرجُ مما قال فيه» «3».

درسٌ فيه عبرة

قيل لرجل: لماذا تريد طلاق امرأتك؟ قال: انها امرأتی وتحرم غيبتها، وبعد ان طلقها وتزوجت، سئل عن سبب طلاقه إياها، فقال: لا يجوز غيبة امرأة رجلٍ آخر.

(1) - ميزان الحكمة: 353 / 7.

(2) - الوسائل: 288 / 12.

(3) - نفس المصدر.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 446

الطلاق في القرآن

إذا استطاع الزوجان حلّ ما بينهما من المشكلات وإزالة عوامل الطلاق دون تدخل الآخرين فيها ونعمت وإلا فيجب ان يُبعث رجلٌ من اهله ورجلٌ من اهلها يتحلّى كلٌ منهما بالوقار والتحمل والتدين والفتنة ليتداولوا المسألة لئلا ينجرّ الامر إلى الطلاق. يقول تعالى:

«وَإِنْ حِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا» «1».

ويقول تعالى:

«الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَ لَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ حِفْظُهُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» «2».

ويقول تعالى:

«وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَسْنَ أَجْلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَاراً لَتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» «3».

(1) - النساء: 35.

(2) - البقرة: 229.

(3) - البقرة: 231.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 447

تلاحظون ان الله سبحانه وتعالى إلى جانب لقضية الطلاق فهو يذكر الانسان بنعمته وكتابه وحكمته وعلمه اللامتناهي بغية مراعاة الانصاف والعدل في هذه المسألة وبكل جوانبها.

من المسلم به ان الاسر إذا كانت راسخة الايمان بالله واليوم الآخر، وتتمتع بالأخلاق الفاضلة والعمل الصالح، لن يطرأ فيها ما يسمى بالطلاق، ويحيا الزوجان معاً بسلام ووثام حتى النهاية، وسينعم أولادهما بحياة ملؤها الوثام والصفاء والمحبة.

ان الخمول والعجز والكسل والاعتیاد والفشل في الدراسة وفساد الكثير من ابناء الامة الاسلامية انما منشؤه الاختلاف بين الوالدين وطلاقهما.

على الرجل الاحتراز عن الظلم والاجحاف، واداء حقوق زوجته، والالتزام بتعهداته، واتباع الاصول الانسانية والاسلامية في التعامل مع عياله، وعلى المرأة ان تكون زوجةً واثماً كما ينبغي تلافياً لوقوع الطلاق هذه العملية التي يبغضها الله سبحانه وهذا

الغول الموحش، والنار الملهبة التي تحرق صرح الاسرة، إذ ان المتسبب بوقوع الطلاق سيحاسب حساباً عسيراً يوم يقوم الناس لرب العالمين.

لنعمل على ان يصل معدل الطلاق إلى ادنى مستواه، ولنقلع عن المغازلات وارتكاب المعاصي وظلم بعضنا البعض كي ينتفي الطلاق فيما بيننا.

ينبغي لمحاکم البلاد اعداد كراسٍ يتضمن فضائل الأخلاق وقبح الطلاق وعرضه على المراجعين لمطالعتة، كي لا يعاودوا المراجعة ويقيموا حياةً هائنةً من جديد، ولئلا يدخل المطلقون والمطلقات معترك الحياة فيستغلهم ضعف الايمان ويجروهم نحو الفساد وبذلك يضاف رقم جديدٌ إلى عدد المنحرفين والغاوين.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 448

خاتمة الحياة

الموت هو منتهى الدنيا المليئة بالنشاط والفعالية، ومعترك الحياة المفعمة بالحركة والآمال والطموحات، إذ ينتقل الانسان إلى عالم الآخرة، ليرى نتائج اعماله في الحياة الدنيا وثمار معتقداته واعماله واخلاقه.

ان القرآن الكريم يدعو كلاً من الرجل والمرأة إلى التفكير بعاقبتهم ونتيجة اعمالهما وآخرتهما ما داما على قيد الحياة، وينظرا ما اعدا لآخرتهما من زادٍ ومتاع.

يقول تعالى:

«وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» 1.

فقبل الموت من الضروري جداً الوصية على ما يتركه المرء من مالٍ كان الله سبحانه قد رزقه إياه، وعلى الوصي عزل ثلث ذلك المال وانفاقه على ضوء ما مدوّن في الوصية.

والوصية عملٌ دأب عليه كافة الأنبياء والأئمة والأولياء، وليس منهم من مات دون وصية، وهي تكليفُ الهيّ ورد في الآية 180 من سورة البقرة، وأمر من رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى أمته، ومن الأئمة الاطهار (عليهم السلام) إلى شيعتهم.

يقول تعالى:

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ».

وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

(1) - الحشرة: 18.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 449

«الوصية حقٌّ على كلِّ مسلم» «1».

وقال (صلى الله عليه و آله)

«ما ينبغي لامرئٍ مسلمٍ ان يبيت ليلةً الا ووصيته تحت راسه» «2».

وعنه (صلى الله عليه و آله) أيضاً:

«مَنْ مات على وصيةٍ مات على سبيلٍ وسنةٍ ومات على تقىٍّ وشهادة، ومات مغفوراً له» «3».

في عصرنا هذا حيث نادراً ما تُنفذ الوصايا وحيث القوانين ترهق الوصي وتُعبي الورثة، أليس من الحري بالمرء ان يكون وصيّ نفسه، فيعمل بما يريد أن يُعمل نيابة عنه بعد موته؟

فإذا كان ثرياً عليه اتفاق امواله وثروته في سبيل الله من قبيل توفير الارضية اللازمة لترويج ابناء المسلمين وبناتهم، والاتفاق على الايتام، وبناء المدارس والمساجد، وشق الطرق، واسكان المستضعفين، ليتلقى أجر ذلك بعد موته.

وقد اوصى أميرالمؤمنين (عليه السلام) الانسان بذلك فقال:

«يا بني آدم كُنْ وصيَّ نفسك في مالك واعمل فيه ما تُؤثر ان يعمل فيه من بعدك» «4».

على اية حال، اعملوا على ان يكون ما تتركون من مالٍ حلالاً طيباً لان الحرام لا يورث، ولا ينبغي لكم الوصية بثلثه لعدم نفاذ الوصية، وعليكم الوصية بالثلثين الباقيين على ضوء ما ورد في القرآن الكريم تلافياً لوقوع الظلم بين

(1) - ميزان الحكمة: 494 - 495.

(2) - نفس المصدر.

(3) - نفس المصدر.

(4) - نهج البلاغة: الحكمة 254.

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 450

الورثة.

وعلى الوصي والورثة العمل بما في الوصية المدونة وفقاً لتعاليم القرآن الكريم، إذ ان تنفيذها عبادةٌ توجب الاجر العظيم للميت ولمن ينفذها.

وقبل تقسيم الارث يتعين على الورثة اداء ما على الميت من ديون وحقوق شرعية وكذلك مهر زوجته، أو اداء الحج نيابة عنه إذا كان بذمته، إذ يحرم على الورثة التصرف بالاموال التي تتعلق بها حقوق الله والناس ويترتب على ذلك عقابٌ من الله سبحانه.

ويجب دفع حصة زوجة الميت ووالديه وأولاده طبقاً لما جاء في كتاب الله، وإذا ما اجري غير ذلك فإنه تعدٍ لحدود الله عاقبته عذاب جهنم.

عليكم الرجوع إلى الرسائل العملية أو العالم المختص حين تقسيم الارث كي تجري العملية وفقاً للاحكام الالهية ويُسر الميت بعملكم.

إيها الورثة عليكم ان تُدركوا ان الميت قد عانى كثيراً في حياته من أجل تدبير شؤونكم وتحمل المشقات بأنواعها، ولعلّه قد ارتكب بعض المعاصي في هذا السبيل، فلا تُسقطوه من الحساب، فعليكم الصلاة والصوم والتصدق ورد المظالم والقيام بصالح الأعمال نيابة عنه، وخلاصة القول، أن تذكروه بكلّ ما من شأنه غفران ذنوبه وسرور روحه لا سيما في ليالي الجمعة والاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، كي يذكركم أولادكم بعد موتكم، وكذلك زيارة قبره حيث ان الله سبحانه يؤنس روحه بوجودكم وذلك مما يدفعه إلى الدعاء لكم وهو في البرزخ.

قال لي أحد اصدقائي: كان لي صديق عندما تعترضه مشكلة يتوجه مباشرة

الاسره و نظامها فد الاسلام، ص: 451

من طهران إلى قم فيجلس ساعة عند قبر والديه ويقرأ سورة الفاتحة ويتوجه بالدعاء ويتصدق ويطلب منهما الدعاء له ثم يعود إلى طهران وقد جرّب ذلك إذ أنّه ما ان يعود تحلّ معضلته قبل غروب الشمس.

ليس من الصواب ان يبذل الوالدان عصارة جهودهما من أجل حياة أولادهما وسعادتهم، ثم لا يُذكران بعد موتهما ولا يُصار إلى عملٍ من شأنه غفران ذنوبهما.

